كتابي

٨ قروش



حياة جورج صاند

وكتب اخرى

حلمي مراد

كتابى

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة
يصدر اول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثامن عشر (السنة الثانية) : أغسطس ١٩٥٣
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل
المكاتبات : ١٨ شارع العباسيين ــ مصر الجديدة
تليفون ٦٥٦٠٨

عزيزى القارئ ..

لعلك تذكر أن من أهداف (كتابى) التى وعدتك بها منذ العدد الاول ، أن نطوف معا خلال صفحاته فى سياحة فكرية ممتعة ، عبر مختلف عصور الانسانية ، وشتى بقاع الارض .. **بحيث تلم وأنت فى مخدعك أو مقعدك، لم تغادر دارك ، بصور نابضة بالحياة تنقلك على أجنحة الخيال الى بلاد قد لا يقدر لك أن تراها ، وأجواء قد لا يتاح لك أن تحياها ، وعصور سحيقة ما أحفلها بالمتع الذهنية وأعناها ..**

وأملى أن تكون قد لمست فى أعداد كتابى الماضية جميعا اننى لم أدخر وسعا كى أفى لك بما وعدت .. وجرياعلى هذا البرنامج نبدأ رحلتنا معا — فى هذا العدد — من **القاهرة** موطن القصة الاولى الممصرة .. الى **الاسكندرية** القديمة حيث عاشت غانيتها الفاتنة «تاييس» .. الى **لبنان** حيث غرد الشاعر الوجدانى « أيليا أبو ماضى » قصيدته الرقيقة الرائعة .. الى **الصين** القديمة حيث جرت وقائع قصة من أعنف قصص الغرام المشبوب وأقواها .. الى **لندن** حيث وقعت تلك السلسلة من الجرائم المروعة فى « الحانة ذات الفراش القاتل » .. الى **سويسرا** موطن البطل الحر « وليم تل » ، ألذى خلده الشاعر **«الالمانى»** شيللر فى مأساة من أروع ما عرف المسرح فى جميع العصور .. الى **روسيا** حيث صرع الطغيان القيصرى منذ أكثر من ربع قرن .. الى **اليونان** القديمة حيث جرت حوادث محاكمة واقعية من أقدم محاكمات التاريخ .. الى **فرنسا** حيث عاشت الملهمة العظمى والعاشقة الخالدة « جورج صاند » .. الى آخر سياحتنا الذهنية بين دفتى هذا العدد

وأملى أن تجد على صفحات (كتابى) على الدوام مصداق رغباتك ، وصدى أمانيك وأفكارك ..

والله ولى التوفيق .

حلمى مراد

كتابى

اعداد نفدت

كتابى **الاول** :	« خطايا الحب »	وكتب اخرى	مارس ١٩٥٢
كتابى **الثانى** :	« قلب عذراء »	«	ابريل «
كتابى **الثالث** :	« الهاربة من الجنة »	«	مايو «

أعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابى الرابع **«حواء الجديدة»** ، والخامس **«أحدب نوتردام»** ، والسادس **«جريمة حب»** ، والسابع **«عشيقة نابليون»** ، والثامن **«مذكرات كيوبيد»** ، والتاسع **«صنم تحطم»** ، والعاشر **«حديقة الله»** ، والحادى عشر **«عندما تحقد المرأة»** ، والثانى عشر **«لعبة الحب والموت»** ، والثالث عشر **«توبة خاطئة»** ، والرابع عشر **«ايها الربيع ترفق»** ، والخامس عشر **«الشيطان على الارض»** ، والسادس عشر **«ليدى هاملتون»** ، والسابع عشر **«الارملة المرحة»** ..

◆ وتطلب من صاحب كتابى (١٨ شارع العباسيين مصر الجديدة) ، وثمن كل عدد ١٠ قروش خالص أجر البريد (المسجل) ، ماعدا الاعداد الثلاثة الاولى التى نفدت ، والعدد السادس (وثمنه عشرون قرشا ، تحديدا للطلبات، نظرا لقرب نفاده وعدم امكان اعادة طبعه) .. وما عدا العددين ١٣ ، و١٦ (الممتازين) ، وثمن كل منهما بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد **MONEY ORDER** ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو أذونات البريد الخارجية .

الاشـــتراكات

◆ وتشمل ضمنا الاعداد الممتازة ايضا — وترسل جميع الاعداد الى المشتركين : فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة

◆ قيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٠٠ قرش ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٥٥ قرشا — فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن .. الخ) ترسل القيمة بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد فى كل بلد **MONEY ORDER** وتحتسب القيمة بما يوازى ١١٠ قروش (عن سنة) و٦٠ قرشا (عن نصف سنة) — أو تدفع قيمة الاشتراك الى مكاتب شركة فرج الله للمطبوعات فى بيروت أو للمكتبة العصرية بسوق السراى ببغداد

قبلات مسروقة!

قصة للمحرر

ممصرة عن "جى دى موباسان"



- ١ -

اعتاد أن يراها صباح كل يوم فى سيارة « الاتوبيس » التى تقله الى مقر عمله فى وزارة المعارف ، وتقلها هى الى مقر عملها فى أحد البنوك ..

كانت سمراء رشيقة ، ذات عينين فاحمتين ، وبشرة خمرية دافئة . وكانت تحرص على القدوم الى محطة الاتوبيس كل صباح فى موعد ثابت لا يتغير ، فاذا تأخرت يوما دقيقة أو اثنتين واقتربت السيارة من موقفها لمحها مقبلة تعدو من منعطف الطريق الجانبى كى تدرك السيارة فى آخر لحظة ثم تتهالك على أحد مقاعدها لاهثة الانفاس ..

ومنذ أول مرة وقع فيها بصر « شوقى » عليها أحس أنها قد أعجبته !.. أحيانا يلقى الرجل امرأة يشعر وبصره يستقر على محياها بارتياح عميق ، حتى ليود لو يأخذها بين ذراعيه من فوره ، قبل حتى ان يعرفها !

ونظر اليها ، برغمه ، نظرة فاحصة .. فاضطربت ، وتورد خداها .. وحين أحس ذلك حاول أن يدير بصره بعيدا ، لكن بصره كان يرتد اليها فى كل مرة بعد ثوان معدودة ، بحركة غير ارادية !.. لقد وجد فيها منذ أول وهلة مصداق رغباته الدفينة، وآماله الخفية ، وتلك الصورة النموذجية للحب التى يهدهدها المرء فى أعماق قلبه منذ صباه الباكر دون أن يتبين معالمها بوضوح الا حين تتجسم أمام ناظريه !

ولم تمض أيام حتى كانا قد تعارفا بغير أن يتبادلا كلمة !.. صار يترك لها مقعده كلما وجدا السيارة مزدحمة، أو يبقى كلاهما واقفا اذا تعذر المقعد الواحد .. وصارت هى تحييه بابتسامة رزينة لا يكاد يلحظها سواه . **ورغم أنها كانت ترخى عينيها دائما**



تحت وقر نظراته التى احست انها ((حارة)) أكثر مما ينبغي ، فانها لم تبد يوما انها استاءت من سخونة هذه النظرات !

وانتهى الامر بهما الى تبادل الكلام . . وسرعان ما نمت بينهما ألفة وطدها لقاؤهما اليومي خلال فترة العشرين دقيقة التى تستغرقها زمالتهما فى السيارة . . حتي غدت تلك الدقائق السعيدة امتع اوقات النهار بالنسبة اليه ، وغدا التفكير فى الفتاة واستعادة احاديثها وحركاتها ونظراتها وضحكاتها لنفسه — فى خياله — شغل صاحبنا الشاغل ، سواء فى ساعات عمله او راحته . . وبدا له ان الحظوة بهذه المخلوقة الفاتنة متعة قد تضن بها الحياة على انسان !

وحين صارت تصافحه كل صباح ، بات يحتفظ بأثر تلك اللمسة وذكرى ضغط أصابعها الرقيق على راحته حتى صباح اليوم التالى ! . . أما أيام الجمعة والعطلات فقد أمست بالنسبة اليه أيام قلق واكتئاب ولوعة لا توصف . .

لكن صبر الفتى قد أوتى ثمرته أخيرا ، حين لم يبق لديه أدنى ارتياب فى أن الفتاة قد أحبته كما أحبها . . فذات يوم من أيام الربيع قبلت أن تلقاه فى يوم الجمعة التالى كى يقضيا النهار معا فى مغانى « القناطر الخيرية » !

*

◆ **وعلى** رصيف محطة السكة الحديد وجدها صباح اليوم الموعود فى انتظاره . . لكنه دهش اذ سمعها تبتدره قائلة

بصوت خائر ، من فرط الانفعال المكتوم : « قبل أن نذهب أريد أن أتحدث اليك ، فأمامنا ربع ساعة قبل تحرك القطـار » ٠٠ وارتجفت وهى تستند الى ذراعه وتمضى معه الى نهاية الرصيف مطرقة الى الارض ، وقد كسا وجهها الشحوب ، متمتمة فى خجل: **« لست أريد أن تنخدع فى ٠٠ أو تمنى نفسك بأشياء لا قبل لى بمنحك اياها ٠٠ ولن أذهب معك الا اذا وعدتنى ، بل أقسمت لى ، أن لا تفعل شيئا ٠٠ غير لائق ! »**

وتورد وجهها وهى تتكلم ، ولم تزد !٠٠ أما هو فلم يدر بماذا يجيب ، فقد أحس بسعادة وخيبة أمل ، فى وقت معا !٠٠ فلعله فى أعماق قلبه فضل هذا الوضع ، ورغم ذلك فانه ٠٠ كان قد منى نفسه طيلة الليلة بأشياء ألهبت الدم حارا دافقا فى عروقه !٠٠ انه قد يحبها بدرجة أقل ، بلا ريب ، اذا عرف أنها « سهلة » ، سريعة التفريط فى نفسها ٠٠ لكن ذلك يكون فى ذاته أمرا شائقا ممتعا بالنسبة له ٠٠ وأدار الرجل فى رأسه خواطر الرجال الانانية المألوفة فى مثل هذا المقام !

واذ لم يجبها بكلمة عادت « سميرة »تقول بصوت مختلج ، والدموع فى عينيها : «اذا لم تعد بأن .. تحترمنى .. فسأعود من حيث أتيت !» .. لكنه امسكها من ذراعيها فى رفق وواجهها قائلا بصوت يبلله الحنان : « أعدك » ٠٠ فبدا عليها الارتياح وسألته مبتسمة : « هل تعنى ما تقول ؟ » ٠٠ فنظر فى عينيها وأجاب : « أقسم لك ٠٠ »

ـ الآن تستطيع أن تبتاع التذاكر ٠٠!

❖

◆ **وكان** القطار مزدحما فلم يتبادلا اثناء الرحلة حديثا يذكر . وحين وصلا الى القناطر استقلا احدى عربات «الترولى» الصغيرة فى جولة بمعالم الضاحية الغناء ، حتى بلغا بستانا من بساتين الورد والازهار الخلابة فسارا على الاقدام متشابكى الذراعين ،

يستنشقان عطر الحقول وينعمان بالشمس المشرقة التى تريق ذهبها النضير على صفحة النيل ، وتعكس فضته المتلألئة على قلبيهما ..

وقالت سميرة :

ـ ما اغبانى فى نظرك .. فيما احسب !

ـ ولم ؟

ـ لحضورى معك الى هنا .. بمفردى !

ـ لا تغالى .. انه أمر طبيعى للغاية

ـ ليس بالنسبة لى .. لكن ملل حياتى الرتيبة هو المسئول .. انك لا تتصور تأثير ذلك على الاعصاب . كل يوم كالذى يليه ، وكل شهر كأخيه ، وكل عام مثل السابق له ، واللاحق ! .. انى أعيش وحيدة مع أمى الارملة ، المحزونة الفؤاد . وأنا أبذل ما فى وسعى كى أتجاهل متاعب الحياة وأضحك ، برغم كل شىء . لكنى لا أوفق فى كل حين .. على أى حال فانى أخطأت بحضورى معك ..

ولم يجد جوابا عليها أبلغ من أن يطبع قبلة مواسية على أذنها القريبة منه .. لكنها نفرت منه بحركة مفاجئة وصاحت معاتبة :

« .. بعد كل وعودك ويمينك المغلظة ؟ »

وعادا ادراجهما الى مطعم من مطاعم الضاحية قائم فى ظل اربع من شجرات السرو الضخمة ، ومطل على النيل .. فساهمت عذوبة الطقس ، وزجاجة البيرة ، وشعورهماالمتبادل بانهما منفردين ، معا .. فى تبديد تحفظهما السالف ، واجفال الفتاة ! .. وبعد ان شربا القهوة عبـرا النهر فى زورق الى الضفة الاخرى ، وسارا يقطفان الازهار وينظمان عقود الفل والياسمين ، وينشدان الاغانى الشائعة .. وفجأة هتف شوقى بمرافقته : «انظرى !» .. كان ينبسط امامهما بساط كبير مزركش ، من الورد والزهر ، منسق مرسوم ادق رسم واروعه

.. فلم تملك الفتاة ان هتفت جذلة بدورها : «يا لله .. مـا اجمله !» .. وكان الى جوار البستان ممر ضيق تكتنفـه الأشجار ، فسلكاه ، حتى اذا بلغا رقعة فسيحة فى نهايته افترشا الحشائش كى يأخذا قسطا من الراحة .. وكانت أسراب الفراش تحوم حولهما ، وأريج الحقول الفيحاء وأنفاس الزهر العطرة تتضوع فى الهواء .. فلم يحسا الا وهما يتعانقان فى رفق ، ثم يتلاحمان فى حرارة وهما يتدحرجان على الحشائش ، غير شاعرين من دنياهما بغير تلك النشوة !.. واغمضت سميرة عينيها ، واستكانت لذراعى صاحبها وقد تاه وعيها ، وتبلبل ادراكها ، واستغرقتها متعة الترقب العذبة ..

ومنحته نفسها ، دون أن تعلم !.. لكنها لم تلبث أن تنبهت وبها احساس من اصابها ضر رهيب .. فدفنت وجهها بين يديها وراحت تغسل شجنها بالبكاء !

وحاول ان يواسيها ويسرى عنها .. لكنها اصرت على العودة توا الى بيتها ، فقطعا الطريق الى المحطة صامتين ، وقد بدت هى ملتهبة الخدين ، غائرة العينين ، مقرحة الاجفان .. وحين بلغا محطة القاهرة تركته دون حتى ان تودعه !

*

◆ **وحين** التقى بها فى السيارة صباح اليوم التالى بدت له متغيرة ، اكثر نحولا مما كانت !.. وابتدرته قائلة : «لن استطيع ان القاك بعد الان .. فليكن هذا وداعا بيننا !» .. فرجاها ، وتوسل اليها ، تعذبه الذكرى الضارية ، والرغبة المجنونة .. لكنها صمدت له ، مرددة : «كلا .. لن أستطيع ، لن أستطيع !» وتركته ومضت ..

وانقضى عليه اسبوع لا يراها ، ولا يستطيع الاهتداء الى مكانها .. حتى حسب انه فقدها نهائيا !.. وفى اليوم التاسع دق جرس الباب فى بيته ، فلما فتحه .. رآها امامه ! القت

بنفسها بين ذراعيه ، وقد كفت عن كل مكابرة او مقاومة لشوقها اليه ..

وانقضت شهور .. ثم سئمها ! .. وحين صارحته بسرها الدفين رأى ان يحسم الامور بقطيعة حاسمة : وهكذا ذهبت اليه ذات يوم فقيل لها انه قد انتقل الى مسكن آخر ، لا يعرف احد مكانه !

وكانت الضربة اشد من ان تقوى التعسة على مواجهتها بمفردها .. فألقت بنفسها عند قدمى امها ، وباحت لها بخطبها !

وبعد بضعة اشهر وضعت مولودها .. ذكرا !

- ٢ -

◆ **وتوالت** الاعوام ، و«شوقى» يحيا حياته الرتيبة التى غدت تافهة كئيبة ، مجردة من كل عوامل الترقب ، والامل ، او اليأس !.. فهو ينهض من فراشه كل يوم فى نفس الساعة ، فيخرج الى نفس الطريق ، ويمر بنفس الشوارع ، ويدخل من نفس الباب ، الى نفس المكتب ، ليجلس على نفس الكرسى ، ويؤدى نفس العمل !.. اية حياة ؟ .. انه وحيد فى هذه الدنيا ، وحيد فى النهار بين زملائه .. ووحيد فى الليل مع نفسه ..!

وكل يوم جمعة يمضى الى مقهى «الاميريكين» ، ليرقب موكب المترفين ، والسيارات الانيقة ، والنساء الحسان ، ذاهبات آيبات بين المتاجر والملاهى .. والمواخير !

وذات صباح جميل جرته قدماه الى المترو ، فاستقله الى مصر الجديدة .. وهناك جلس فى المتنزه الطويل حيث يتسكع الشباب ، وتجلس الامهات والمربيات يرقبن اطفالهن يلعبون ويمرحون .. وفجأة غاص قلب شوقى بين جنبيه ، لمرآى امرأة قد مرت به تجر طفلين : ولدا فى نحو الخامسة ، وبنتا فى الثانية .. وكانت «هى» !

لكنها لم تعرفه ، ومضت الى حيث جلست غير بعيد ، والى جوارها الصبى يعبث بطائرة صغيرة .. والطفلة تبنى قصورا من الرمال . انها هى ، ما فى ذلك شك . لكن نظراتها نظرات سيدة جادة ، وثيابها ثياب زوجة وقورة .. ورفع الصبى وجهه عن لعبته فارتجف شوقى كمن اصابه مس ! انه ابنه ، صورة مصغرة منه كما يبدو فى تذكار فوتوغرافى منذ كان فى سنه !

ولم ينم «الاب» فى تلك الليلة !.. طاردته صورة الصبى ، ابنه !.. آه من حماقته !.. وفى الصباح هرع الى حيث كانت تقطن سميرة فى الماضى وسأل عنها ، فقيل له ان جارا نبيلا يكبرها فى السن قد ادركه مس من فتنتها الحزينة واخذته الشفقة عليها فتزوجها ، رغم علمه بزلتها .. بل واعترف بالطفل الذى كان ثمرة تلك الزلة .. !

وعاد شوقى الى المتنزه فى يوم الجمعة التالى ، وفى كل يوم جمعة ، فكان يراها دائما مع طفليها .. وفى كل مرة كان يتملكه ذلك الشوق الجارف الى ان يأخذ الصبى بين ذراعيه ويغمره بالقبلات ، بل ان يأخـذه ويفر بـه !.. وقاسى فى وحدته عذابا مروعا من حنانه الابوى المكبوت ، الذى ينبع اكثر ما ينبع من الندم ، والشوق ، والغيرة ، ثم من حنـين الآباء الغريزى الى اخذ فلذات أكبادهم فى احضانهم واشباعهم لثما وتدليلا ..

ولم يجد آخر الامر بدا من ان يتخذ خطوة حاسمة : فمضى الى الام يوما حيث تجلس وابتدرها بشفتين مختلجتين ووجه شاحب : «الا تعرفيننى ؟» .. فرفعت عينيها الى وجهه ، واذ ذاك ارتسمت على وجهها علائم الذعر والفزع – كمن رأت شبحا خارجا من الظلمات ! – واسرعت فأخذت طفليها من يديهما وانطلقت مبتعدة ، لا تلوى على شىء !.. اما هو فعاد الى فراشه حيث بلل وسادته بالدموع ..

- ٣ -

◆ **وتتابعت** الشهور ، وهو على حاله من الالم واللـوعة . كانت تمر به لحظات يود فيها لو يقبل ابنه ويموت !.. بل كان مستعدا لان يقدم على اية جريمة.. يقتـل .. يسرق .. يواجه اى خطر .. يرتكب اية فعلة توصله الى هدفه الذى يذوب شوقا اليه !

كتب اليها خطابا ، فخطابا .. عشرين خطابا .. دون ان يتلقى ردا .. فلم يبق مفر من ان يخطو الخطوة الاخيرة ، ولو تلقى ردا عليها طلقة من مسدس : كتب الى .. زوجها – الكهل النبيل – يشرح له عذابه ويطلب مقابلته !.. وفى هذه المرة تلقى ردا ، يحدد له الرجل فيه موعدا لاستقباله ..

*

وفى الموعد المضروب صعد سلم الدار وقلبه يدق صدره بشده كالمطرقة ، فتوقف عدة مرات ، ثم استند الى حاجز السلم وواصل الصعود ..

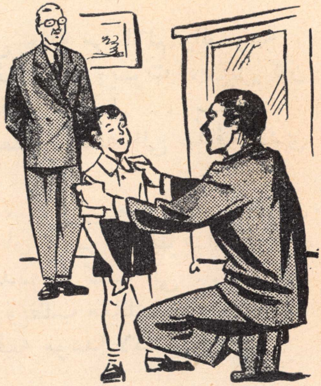
وفى غرفة الاستقبال تواجه الغريمـان ، لاول مرة فى حياتهما :

– لست اعرف اذا كنت تذكر اسمى يا سيدى ..

– نعم ، واعرف كل شىء عن الماضى .. لقـد روت لى زوجتى قصته !

– حسنا .. كل ما اريد ان اقوله يا سيدى اننى اكاد اموت غما وأسى ، وندما ، وخجلا .. ولا ابغى غـير ان .. اقبل ابنى ، مرة واحدة !

نهض الرجل النبيل فدق الجرس للخادمة وطلب اليها احضار الصبى .. ثم لبث الرجلان صامتين ، حتى دخل الصبى فهرع نحو «ابيه» ، الذى قبله ثم قال له : «والآن اذهب فقبل هذا السيد يا عزيزى» .. فمضى «عادل» الى الضيف ونظر اليه باسما .. فنهض هذا وانحنى عليه ، تاركا طربوشه



يسقط الى الارض ، بينما ذهب رب البيت فأطل من النافذة مديرا ظهره اليهما .. بدافع من اللياقة ، واللباقة !

التقط الصبى الطربوش واعاده الى صاحبه ، لكن هذا بدلا من ان يتناول من يده الطربوش اخذ الصبى كله بين ذراعيه وراح يغمره بالقبلات الضارية ، على وجهه .. وعينيه .. وخديه .. وفمه .. وشعره .. بينما الصغير يحاول مذعورا ان يتخلص من قبضته ويتجنب قبلاته ويدفع وجهه بعيدا عنه ، بيديه الصغيرتين .. !

.. اخيرا اخلى الرجل سبيله فجأة كما احتضنه فجأة ، ووضع طربوشه على رأسه وغمغم مودعا .. ثم اندفع خارجا من الغرفة فالبيت .. كما لو كان سارقا ، يفر من وجه العدالة !



تعالى..!

للشاعر الوجدانى "إيليا ابو ماضى"

تعالى نتعاطاها كلون التبر او اسطع
ونسقى النرجس الواشى بقايا الراح فى الكاس
فلا يعرف من نحن ، ولا يبصر ما نصنع
ولا ينقل عند الصبح نجوانا الى الناس

*

تعالى نسرق اللذات ما ساعفنا الدهر
وما دمنا وما دامت لنا فى العيش آمال
فان مر بنا الفجر ، وما ايقظنا الفجر
فما يوقظنا علم ، ولا يوقظنا مال

*

تعالى نطلق الروحين من سجن التقاليد
فهذى زهرة الوادى تذيع العطر فى الوادى
وهذا الطير تياه فخور بالاغاريد
فمن ذا عنف الزهرة او من وبخ الشادى

*

اراد الله ان نعشق لما اوجد الحسنا
والقى الحب فى قلبك و القاه فى قلبى
مشيئته .. وما كانت مشيئته بلا معنى
فان أحببت ما ذنبك ، أو أحببت ما ذنبى

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد الماضية من « كتابى » ، القصص الآتية على التوالى :

- أموك : لستيفان زفايج
- قلب عذراء: جون جالزورثى
- مرتفعات وذرنج: اميلى برونتى
- التلميذ : بول بورجيه
- أحدب نوتردام: فيكتورهوجو
- جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتى
- أيام بومباى الاخيرة : لورد ليتون
- مانون ليسكو : الاب بريفو
- حديقة الله: روبرت هتشنز
- عندما تحقد المرأة : جورج أونيه
- آسيا : ايفان تورجنيف
- كاس تمبرلين: سنكليرلويس
- الشيطان على الارض : برتراند رسل

واليوم أقدم لك فيما يلى هذه القصة الخالدة لاناتول فرانس « تاييس » ، التى لعلك طالما سمعت عنها واشتقت ان تطالعها .. وفى الاعداد القادمة نقرأ معا باذن الله فى هذا الباب ، المزيد من روائع القصص العالمى ، الحديث والقديم ..

أناتول فرانس

تاييس

قصة غانية وقديس



أناتول فرانس

(١٨٤٤ – ١٩٢٤)



لم ينعم أديب فرنسى ، منذ فولتير ، بالشهرة والمجد اللذين نعم بهما «جاك أناتول تيبو» الملقب بأناتول فرانس .. فقد كان فنانا ظفر بتقدير النقاد واعجاب عامة الشعب فى آن واحد ، حتى دان له قياد الادب الفرنسي وتمت له السيطرة عليه طيلة أكثر من ثلاثين عاما كاملة !

وقد ولد « فرانس » – لاب كان صاحب حانوت لبيع الكتب – فى ١٦ أبريل سنة ١٨٤٤ ، بمدينة باريس .. وشب الفتى مجدا مثابرا ، وذكيا .. ولكنه كان يميل الى القراءة أكثر منه الى الكتابة . ثم بدأ يألف الكتابة حين أسند اليه تحرير مقال أسبوعى فى صحيفة « العالم المصور » (يونيفير ايلوستريه) .

وفى سنة ١٨٨١ كتب أناتول فرانس قصته الطويلة الاولى : «جريمة سيلفستر بونار » ، فاستقبلها النقاد استقبالا حسنا .. ثم التقى – عام ١٨٨٣ – بامرأة تدعى «مدام أرمان دى كايافيه» وكانت سيدة نابهة نشطة لها أصدقاء عديدون من قادة السياسة المجتمع ، فشجعته على احتراف الكتابة وأعانته على اكتساب الشهرة التى صارت له . وقد دامت صداقتهما مدى الحياة ، واعترف لها الاديب بفضلها عليه فكتب فى مقدمة أحد مؤلفاته عبارة الاهداء التالية : « الى مدام كايافيه أهدى هذا الكتاب الذى ماكنت لأكتبه بغير مساعدتها .. وبغير مساعدتها لم أكن لأؤلف أى كتاب على الاطلاق ! »

وتابع أناتول فرانس نشاطه فى الانتاج الادبى بعد ذلك التاريخ أربعين عاما كاملة ، نشر خلالها نحو خمسين كتابا ، عدا قصائده الشعرية الباكرة . ومن أهم مؤلفاته قصص : تاييس ، الزنبقة الحمراء ، جزيرة « بنجوين » ، ثورة الملائكة ، بيير الصغير .. ثم قصة حياة جان دارك .. وفى سنة ١٨٩٥ عين ضابطا فى فرقة الشرف (لجيون دونور) ، وفى العام التالى انتخب عضوا فى الاكاديمية الفرنسية .. فدخل فى عداد الخالدين !

تاييس !

غانية الاسكندرية القديمة ، منذ عشرة قرون او تزيد ..
المرأة التى كانت قبلاتها «احر من الجمر واعذب من الشهد !» .. والتى تساقط عند قدميها يستجدى حبها ورضاها اعظم حكام المدينة وحكمائها ، فمنحتهم حبها قطرة قطرة ، وواحدا واحدا ، ثم سخرت منهم ونبذتهم ، واحدا بعد واحد !.. فلما جاءها (بافنوس) رجل الدين يسعى اليها من قلب صومعته فى الصحراء كى يهديها الى الصراط المستقيم ، ويربح للدين اجمل رعايا (فينوس) ، سخرت منه فى البداية .. ثم ارتمت عند قدميه فى النهاية تطلب حمايتها من ألد اعداء المرأة : الشيخوخة والموت !

تاييس !

.. القصة القديمة الجديدة ، التى لن تبلى جدتها مع مضى العصور .. والتى طالما نازعتنى نفسى الى تقديمها لك ، واشراكك معى فى هذه اللذة الذهنية الرائعة التى تنبعث من خلال سطورها ..

هى قصة الجسد والشيطان .. قصة الصراع الرهيب بين الخير والشر ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين التبتل والغواية ..
قصة العراك الدائم بين الهدى والضلال .. بين حب الانسان لربه ، وحبه لنفسه ممثلا فى حبه للجنس الآخر .. الى حد الاحتراق !

قصة الضعف الانسانى فى ابشع صوره واقوى مظاهره : حين ينشب اظافره فى قلب رجل الدين فينزع منه روحه ويلقى بها فى احضان ابليس !

قصة امرأة احبت واستمتعت وتبذلت ، ثم زهدت !..
ورجل حرم نفسه من متع الدنيا الفانية دهرا ، ثم اشتهى كفرا !
قصة راهب وغانية .. تقابلا ، فتصارعا ، وتأرجحت

نفساهما بين الغواية والهدى .. حتى انتصر هو ، فهداها .. ثم غوى .. ! .. فوهبت هى نفسها لله ، وباع هو روحه للشـــيطان !

تاييس !

أما تاييس المرأة ، والبطلة ، فقد ماتت ــ فى خيال مؤلفها وخالقها ــ منذ اجيال ..

وأما تاييس القصة ، فخالدة لن تموت !

- ١ -

◆ **نحن** فى صحراء مصر منذ الف ونيف من السنين ، حيث يعيش الراهب الشاب (بافنوس) رئيسا لجماعة من الرهبان اتخذوا من الصــحراء منفى اختياريا يقيهـم اغراء الجسد والشيطان ، ويضرب بينهم وبين مغانى الحضر وملاهى المدن المصرية اميالا سحيقة من الرمال ..

لكن الشيطان لا يلقى سلاحه بسهولة ، بل ينفس على الراهب المتعبد حبه لله ، وتعلقه بربه ، وايمانه بالنعيم الموعود .. دون الموجود ! .. ومن ثم يحيك الشباك لايقاعه فى حبائله ، والتربع فوق عرش قلبه وروحه ، مكان الله !!

*

واذا برؤيا تتراءى لبافنوس فتقض مضجعه ، وتتركه مبلبل الفكر ، ينصت لهمسات الشيطان ، ويقنع نفسه بأن ذاك لم يكن سوى نداء من السماء عليه ان يلبيه ، لكى ينال رضاء ربـــه !

لقد رأى التعس خيال اشــهر غانـيات الاسكندرية ، «تاييس» الفاتنة ، التى كان قد لمحها يوما وهو ما يزال صبيا فاحبها وعبدها بقلب الصبى .. من بعيد !

اما الآن فهو يتأملها فى رؤياه بعين الراهب المتعبد ، او هكذا يزعم لنفسه ــ او تزعم نفسه له ــ او يزعم لكليهمـا

الشيطان ، هامسا فى اذنيه ليل نهار ، همساته المعسولة :
«بافنوس .. بافنوس .. انها رؤيا من الله .. ان ربك يناديك كى تسعى وراء تاييس ، باحثا عنها اينما وجدت ، حتى تلقاها فتلقى فى وعيها ، وتصب فى اذنيها .. وفى نفسها وروحها .. رسالتك التى حملتك اياها السماء .. رسالة الهدى والرشاد .. فهيا قم وانفض عنك رداء الخمول وارتد مسوح الكهان ثم امض فى سبيلك تكلأك رعاية الله !»

*

◆ **ويشد** الراهب رحاله ، ضاربا فى الصحارى والوهاد ، ووجهته المدينة العظيمة ـ الاسكندرية ـ حتى يبلغ بيت صديقه وزميله القديم الفيلسوف (نيسياس) فيفضى اليه بمقصده .. لكن هذا يحذره قائلا : «ان فينوس الهة الحب ستغضب اشد الغضب اذا انتزعت منها انضر زهراتها !» .. لكنه يقبل اخيرا ـ بحكم صداقتهما القديمة ، وبدافع من الفضول ـ ان يقود الراهب الى الملعب الذى تؤدى فيه تاييس دور الممثلة الاولى .. ثم الى حفل كانت تاييس تسامر فيه جماعة من الفلاسفة .. واخيرا الى بيتها !

ـ ٢ ـ

كانت تاييس مضطجعة فى استرخاء فوق مقعد طويل تنصت لخرير المياه المتساقطة من النافورة وتتنسم شذى الزهر وعطر الورود ..

.. وامسكت بالمرآة تتأمل فيها وجهها وتطالع فيه اول نذر الغروب ـ غروب جمالها الآسر وشبابها الناضر ! ـ فتمثل لها اليوم الذى سيبيض فيه شعرها وتشوه التجاعيد وجهها .. وعبثا حاولت أن تسترد سكينة نفسها وطمأنينتها ، فقد مضى صوت صارم يصيح فى اذنيها :

ـ « انك ستهرمين يا تاييس .. ستهرمين ! »

فتصبب العرق البارد على جبينها وعادت تحـدق فى المرآة فى انزعاج .. لكن المرآة طالعتها فى هذه المرة بوجه ما يزال جميلا ، جديرا بأن يحب ، فابتسمت لصورتها وغمغمت : «ليس فى الاسكندرية من تدانينى فى جمالى ، ومرونة قوامى ، وفتنة ذراعى الفاخرتين . وما ادراك يا مرآتى ما الذراعين ؟ انهما اغلال الحب !»

وفيما هى تدير فى رأسها هذه الخواطر ، رأت مجهولا منتصبا امامها .. نحيلا ، ذا عينين ناريتين ولحية كثة وعباءة مطرزة !.. فأسقط الذعر مرآتها من يدها وافلتت منها صيحة انزعـــاج ..

اما بافنوس فوقف بلا حراك ، وقد اذهله جمال الغانية ، حتى لم يملك ان همس فى سره بهذه الصلاة : « فلتبارك يارب عبدك ولتدرأ عنه اغراء هذه المرأة !»

ثم انتزع من غمرة البلبلة التى هزت اعصابه ، القوة على ان يقول مخاطبا تاييس : **«تاييس ، انى اقطن صومعة بعيدة عن هنا ، لكن صيت جمالك الذائع قادنى رغم بعد الشقة اليك . يقولون انك افتن النساء وافتك الغانيات ، وها أنذا أرى الواقع يفوق كل ما رووا ، فانك احكم واجمل الف مرة مما يشيعون ! والآن ، وأنا اراك امامى وجها لوجه ، اكاد اقول لنفسى : «انه لمن المستحيل أن يقترب الانسان منك دون ان يترنح كالثمل !»**

وكانت تاييس تنصت له وهى تتأمل هذا المخلوق الغريب الذى اخافها وبعث رعدة غامضة فى اوصالها ، بهيئته الخشنة ، والنار القاتمة التى تشع من نظراته !.. لـكنها لم تلبث ان احست فضولا قويا الى معرفة ذلك الرجل الـذى يختلف مظهره ، ولابد ان يختلف باطنه ، عن سائر الذين عرفتهم .. فاجابته فى سخرية ناعمة :

«انك تبدو جديرا بالاعجاب ايها الغريب !.. فخذ حذرك لئلا تخترق نظراتى جسدك وتحرق عظامك .. احذر من ان تحبنى !»

لكنه اجابها فى لهجة الواثق : «بل انى احبك يا تاييس ! احبك اكثر من حياتى ومن نفسى . ومن اجلك تركت صحرائى الآمنة .. ومن اجلك لفظت شفتاى ـ اللتان نذرتا للصمت ـ اقوالا دنيوية دنسة ! من اجلك رأيت مالم يكن ينبغى ان ارى ، وسمعت ما كان محرما على ان اسمع .. من اجلك اضطربت نفسى وتفتح قلبى فانبثقت منه الافكار كما تنبثق ينابيع المياه فتروى منها الحمائم ! من اجلك مشيت الليل والنهار عبر رمال تملؤها الزواحف وتسكنها الاشباح .. من اجلك خضت بقدمى العارية وسط الحيات والعقارب ..

« نعم ، انى احبك ، احبك ولكن لا على غرار اولئك الذين يسعون اليك كالذئاب الضارية والثيران الهائجة وهم يتلظون بنار الرغبة والجسد . ان غرامهم الوحشى يفتك بك حتى قرارة روحك .. اما انا فأحبك ايتها المرأة بالروح والحق ، احبك فى الرب لاجيال الاجيال !.. ان ما اكنه لك فى صدرى هو الحرقة الحقة والبر الالهى . وما اعدك به يفوق النشوة التى فى عمر الزهر وحلم الليل القصير . اعدك بعرس دائم فى السماء . ان السعادة التى آتيك بها لن تنتهى ابدا .. انها لشىء لم يسمع او ينطق به ، لو لمح سعداء هذا العالم ظله فقط لصعقوا من فورهم عجبا ودهشة !»

فضحكت تاييس ضحكة لها رنين التحدى ثم قالت : «اذن فهيا ايها الصديق وأرنى حبك الرائع هذا واسرع ، فان «المحاضرات» الطويلة فيها امتهان لجمالى .. هيا ولا تضيع وقتا ، فلكم انا مشوقة الى تذوق هذه السعادة التى تتحدث عنها ! انك لتتحدث عن حب مجهول ، ولكنى ذقت من القبلات

ما يجعلنى استبعد ان تكون للحب اسرار اخرى اجهلها .. والعشاق مرجع فى الهوى أكثر من الكهان !»

ـ تاييس ، لا تسخرى . انى احمل اليك ذلك الحب الاعظم

ـ ولكنك جئت متأخرا ايها الصديق ، فانى اعرف كل الوان الهوى !

ـ ان الحب الذى آتيك به يعد بالمجد ، فى حين ان الهوى الذى تعرفين ينضح بالعار !

.. ونظرت اليه تاييس نظرة قاتمة ، وارتسمت على جبهتها الصغيرة غضون :

ـ انك تغالى فى الجرأة ، ايها الغريب ، وتهين مضيفتك .. فتأملنى مليا وقل اذا كنت ابدو كمخلوقة يجللها العار ؟ **كلا ! ليس فى حياتى اى عار .. انى ابذر الترف اينما حللت ، وهذا سر شهرتى فى الدنيا بأسرها . ان لى نفوذا يفوق نفوذ سادة الارض ، فلقد خروا كلهم سجدا عند قدمى ! .. انظر الى ، تأمل قدمى الصغيرتين : ان الوف الرجال يبذلون دمهم ثمنا للحظوة بلذة تقبيلهما ! . انى اخلق بين الرجال بغضا وعداء ويأسا وجرائم تملأ الارض .. افلست مجنونا اذ تحدثنى عن العار ، بينما الدنيا تحيطنى بهالة من المجد ؟**

ـ ان ما يبدو مجدا فى اعين الرجال ، هو فحش فى نظر الله ، فأين من يلهمنى كلاما كاللهب يذيبك كالشمعة امام انفاسى ؟! واين من يهب اصابعى القدرة على ان تصوغك وفق رغبتى ؟ ايا أعز نفس على ، من لى بقوة الايحاء كى اجعل الروح التى تملؤنى تخلقك خلقا جديدا ، وتطبعك بجمال علوى حتى تصيحين وانت تبكين من الفرح : «اليوم فقط ولدت !» .. ومن لى بمن يفجر من قلبى ينبوعا نقيا تغتسلين فيه من خطاياك ، وتستردين طهارتك الاولى ؟

ولم تجب تاييس ، فقد تناهبتها الخواطر ، وراحت

تهمس لنفسها : «هذا الرجل يتكلم عن حياة ابدية ، وكأنه يقرأ من لوح مسطور .. فما من شك فى انه ساحر ، وان عنده تمائم تقى من الشيخوخة والموت !»

وعند هذه الفكرة اعتزمت ان تسلم نفسها له ، وتطيعه طاعة عمياء .. فابتعدت بضع خطوات واستلقت على حافة الفراش وجذبت رداءها فوق صدرها فى حركة اغراء ، ثم ظلت بلا حراك ، صامتة ، مخفوضة الاجفان .. تنتظر ! وكانت اهدابها الطويلة تلقى ظلالا ناعمة على خديها ، وساقاها العاريتان تتأرجحان فى رخاوة ، كطفلة جلست على شاطىء نهر تفكر ..

لكن بافنوس طفق يتأملها دون ان يتحرك ! وان كانت قدماه المرتجفتان قد عجزتا عن حمله ، والكلام الذى كان فى ذهنه قد جف فى حلقه .. وثار فى رأسه اعصار مخيف !.. وفجأة سقطت على عينيه سحابة كثيفة أخفت عنهما صورة المرأة التى امامه .. وبمجهود عنيف استعاد رباطة جاشه وتساند على نفسه كى يقول ، فى صرامة تليق براهب الصحراء: «اتحسبين ان استسلامك لى يخفى على عين الله ؟»

فنكست رأسها ثم قالت : «الله ؟.. أولم يخلقنا الله هكذا ؟ اذن فلماذا يغضب حين يرانا نعيش وفق الطبيعة التى جعلها فينا ؟ ان كثيرا من النواهى التى ينسبها البعض الى الله لم تصدر عنه ، او اسىء تفسيرها .. فأنت مثلاً ، هل تستطيع ان تزعم انك مطلع على افكاره ، او تعرف نواياه ؟.. ومن انت حتى تخاطبنى باسمه ؟»

وعند هذا عاود الراهب كبرياؤه ، واعتداده بنفسه ، فقال فى لهجة الحزم : «انا بافنوس كاهن (انتينوى) ، اقف امامك ايتها المرأة ، كما لو كنت اقف امام ضريح ميت ، لاصيح فيك : «تاييس ، انهضى !»

وهزتها الكلمات ، فشحب وجهها وتهدل شعرها .. وبيديها المضمومتين فى ضراعة ، تهاوت عند قدميه تبكى

وجسدها ينتفض : «**لا تؤلمنى .. لماذا جئت ؟ ماذا تريد منى ؟ لا تسىء الى ! أنا أعلم أن رهبان الصحراء يكرهون النســاء اللواتى خلقن مثلى للغواية. ولكم يخيفنى ان يتلفنى بغضك لى، فاذهب .. لم اعد اشك فى قوتك وقــدرتك ، ولكن فلتعلم يا بافنوس انى لا استحق بغضا او احتقارا . ان الطبيعة هى التى صاغتنى على هذا المنوال ، خلقتنى لاغراء الرجال !**

« .. وانت ، الم تقل منذ لحظات انك تحبنى ؟.. اضرع اليك ان لا تنطق بكلمات سحرية تتلف جمالى او تحيلنى عمودا من الملح . لا تخفنى ، لا تجعلنى اموت .. فلكم ارهب الموت !»

فاشار لها كى تنهض وهو يقول متلطفا : «اطمئنى يا طفلتى ، ولا تراعى ، فلن اكن لك بغضا او احتقارا .. ولست بلا خطيئة حتى ارميك بحجر .. انه ليس الغضب بل الشفقة التى ساقتنى اليك .. ولئن كنت ترهبين الموت فاهجرى حياة الخطيئة والدنس ، تعيشــين الى الابــد !.. ولئــن اردت الحياة فتعالى جددى شبابك فى ينابيع العزلة المباركة..»

ــ وهل صحيح انى اولد فى السماء من جديد بجسمى هذا ، وجمالى كما هو ؟

ــ تاييس ، انى آتيك بالحياة الابدية ، فصدقينى !

ــ بودى لو اصدقك ، **فانى اعترف لك باننى لم اجد السعادة فى هذا العالم ! ان سلطانى ومجدى يفوقان امــجاد الملكات ، ومع ذلك فان حياتى حافلة بالمرارة والاحزان . والحق انى تعبت من هذه الحياة ، وصرت احسد اللواتى يحسدننى ..** احسد بائعة الحلوى العجوز التى تبيع بضاعتها عند ابواب المدينة ! وليخيل الى احيانا ان الفقراء وحدهم هم الطيبون السعداء المباركون . وان فى الحياة البسيطة المتواضعة لذة وعذوبة كبرى .. لقد حركت باقوالك امواج نفسى وجعلت ما كان كامنا فى اعماقى يطفو على السطح ..!

وفيما كانت تتكلم كان يغمر وجه الراهب فرح طاغ ، فلما انتهت تقدم منها صائحا : «يا ذات الحكمة الالهية . الآن عرفت سر القوة التى كانت تدفعنى نحوك ، والتى جعلتك عزيزة جميلة فى نظرى . فتعالى يا اختاه وتقبلى من اخيك قبلة السلام !»

ورطب الراهب بشفتيه جبين الغانية . أما هى فبكت بدموع غزيرة .. دموع التوبة !

*

◆ **وعلى** دهش من الراهب بافنوس قبلت تاييس بمحض رغبتها ان تتبعه الى حيث يقودها ، وان تحرق وفقا لرغبته كل مالها وكنوزها ، حتى صورة (كيوبيد) الرائعة التى كانت تحرص عليها اشد الحرص ، لجمالها الفنى !

ويقود بافنوس تاييس التائبة الى دير للراهبات ، حيث يعهد بها الى رئيسته (ألبينا) .. ثم يعود هو الى صومعته فى الصحراء ..

لكنه قد فقد راحة البال ، وسكينة النفس .. فان تاييس لا تكف عن ان تتراءى له فى رؤاه واحلامه .. وتستل النعاس من اجفانه .. وتوقظ فى حسه ونفسه اطماعا واخيلة تنخر فى كيانه كالسوس !

ويحاول المسكين ان يلتمس من ذلك مهربا بالصعود الى قمة معبد متهدم مهجور ، ودفن همه فى التعبد الصارم لله وسط جماعة من النساك الزاهدين ..

لكن بهرج الدنيا واهواء الحياة لا تفتأ تسعى الى قلبه سعيها الحثيث ، وتراوده عن زهده وتقواه ، وتنتزع منه الايمان ، حجرا بعد حجر ، حتى تقوض دعائمه !

وهكذا .. وتحت تأثير ملازمة خيال تاييس له فى يقظته واحلامه ، والحاح رؤاها عليه .. اسلم بافنوس اخيرا قياده

لهواه ، ومضى الى قديس عجوز يدعى (سانت انطونى) يبثه همه وبلواه !

لكن الاقدار هيأت له الخاتمة ودفعته اليها دفعا على لسان منجم من الراجمين بالغيب ساق له النبأ المفجع الذى كان خليقا ان يذرو مع الريح بقايا الرماد الذى ستر غرائزه ، ويوقظ فى حنايا ضلوعه رغبة عاتية معربدة مجنونة ..

.. فان المنجم يزعم ويؤكد ان «تاييس على وشـك ان تموت !»

- ٣ -

◆ **صعق** النبأ بافنوس ، فلم ير او يسمع مزيدا . كانت الكلمات التى ملأت اذنيه واضحة تقول : «ان تاييس على وشك أن تموت ! » .. فأى معنى جديد ورهيب ينطوى تحت هذه الكلمات : **تاييس على وشك ان تموت !.. اذن فأى فائـدة تبقى للشمس ، والازهار ، ومجارى المياه وكل الخليقة ؟.. وما جدوى الدنيا بأسرها ؟**

وفجأة هب واقفا ، وصوت يهيب به : «اذهب لتراها .. يجب ان تراها مرة اخرى !» .. فبدأ يعدو .. لم يدر الى اين ، لكن غريزته كانت تقوده بيقين تام ، فيمم وجهه شطر النيل .. وكانت مجموعة من القوارب تغطى صفحة النهر ، فهبط الى واحد منها يتولاه بعض النوبيين .. وحين استقر داخله رفع بصره نحو الافق البعيد ، وصاح مخاطبا نفسه فى حزن وغيظ : «يالى من احمق .. كيف لم انل تاييس حين كان فى الوقت متسع !؟.. وكيف بلغت بى الحماقة ان اصدق ان فى الدنيا شيئا سواها جديرا بتكريس نفسى من أجله !.. لقد كنت مجنونا اذ فكرت فى الآخرة وفى الحياة الثانية ، كأنما ذلك كله يساوى شيئا بعد رؤية تاييس !.. كيف لم ادرك ان

السعادة الابدية فى قبلة واحدة من هذه المرأة ، وان الحياة بدونها لا معنى لها وليست سوى كابوس ثقيل ؟ ما كان اغبانى اذ رأيتها ومع ذلك طمعت فى اشياء اخرى ، فى عالم آخر !.. وما كان اشد جبنى اذ رأيتها وخشيت عقابا او طمعت فى ثواب !.. وهل من شىء يساوى جزءا مما كانت تستطيع ان تهبنى اياه ؟ ايها المخبول الاحمق ، الذى بحث عن السعادة الخالدة فى غير شفتى تاييس ! اى يد ختمت على بصرك وحجبت الحقيقة عن عينيك ؟

«لقد كان فى امكانك ان تشترى لحظة من حبها ولو حلت عليك اللعنة الى الابد ، لكنك لم تفعل ! بل لقد فتحت لك ذراعيها ، المصوغتين من اللحم وشذى الازهار ، ومع ذلك لم تدفن نفسك فى احضان صدرها العارى .. اطاعة منك لصوت ضمير دفعته الغيرة وحدها كى يحذرك منها !.. والآن ماذا يجدى الندم ، والاسف ، واليأس ، بعد ان اضعت فرصة الهناء الطاغى الذى كان فى متناول يدك ، والذى كنت خليقا ان تحسه حين تحمل معك الى جهنم ذكرى متعة لا تنسى !.. يا الهى ، احرق لحمى وهشم عظامى وجفف الدم فى عروقى ، ولكن .. لاتسلبنى الذكريات التى ستعطرنى وتنعشنى على مر الاجيال !.. تاييس على وشك ان تموت ؟.. رباه ، انها لن تكون من نصيبى ابدا ، ابدا ، ابدا !»

وفيما كان القارب يمرق به منساقا مع التيار الجارف ظل الراهب اياما يهمس لنفسه فى حشرجة مروعة وحسرة من نار : « ابدا ، ابدا ، ابدا !» .. وحين تجسمت فى ذهنه فكرة انها قدوهبت نفسها لغيره واراقت على الدنيا موجات حبها ، وانه لم يرطب شفتيه منها .. هب واقفا والشرر يتطاير من عينيه وصرخ من اعماق نفسه الحزينة ، ثم انشب اظافره فى صدره وراح يمزق جلده ويعض ذراعيه وينتحب !.. ثم انتابه حنين

طاغ ورغبة جارفة فى ان يلقى بنفسه بين احضان رفيق شبابه «نيسياس» ويناشده : «نيسياس ، انى احبك كما احببتها انت ، فحدثنى عنها .. اعد على سمعى كل ما قالته لك ..» .. وفجأة عادت تطرق قلبه بقسوة هذه الكلمات : «تاييس على وشك ان تموت !»

.. ايا ضوء النهار ، ويا ظلال الليل الفضية .. ايتها النجوم ، والسماوات ، والاشجار ذات الهامات المتمايلة .. ويا وحوش البرية ، وحيوانات الادغال ، وقلوب الرجال ، الا تفهمين : «ان تاييس على وشك ان تموت !» .. ويا ايها النور والنسيم والعبير ، اختف كلك من الوجود !.. وانت يا جميع الاشياء والافكار ، امحى من الارض .. فان تاييس على وشك ان تموت ! لقد كانت جمال الكون ، والآن صار ذلك كله مجرد حلم .. فان تاييس توشك ان تموت ! .. فكيف لا اموت بموتها ؟.. ولكن ما اغبانى اذ اظن اننى استطيع ان اتذوق الموت ، انا الذى لم اعرف الحياة !

*

◆ **وعند** الفجر استقبلت الراهبة (البينا) بافنوس على عتبة الدير :

« مرحبا بك فى دار السلام أيها الاب المبارك ، فانك ولاشك قد جئت لتبارك القديسة التى اهديتنا اياها . ان تاييس تدنو من نهايتها السعيدة بعد ان اتمت رسالتها .. وسأذكر لك فى اختصار مسلكها فى الفترة التى اقامتها بيننا :

«بعد رحيلك مباشرة ارسلت لها فى الكوخ الذى اغلقته عليها قبل ذهابك ، قيثارة كتلك التى تعزف عليها عادة فى الولائم مثيلاتها من الغانيات . وقد فعلت ذلك عامدة كى لا تفقد صوابها من الوحدة والوحشة الجديدة عليها ، ولكى اتيح

لها فرصة تظهر فيها لله بعض مواهبها التى طالما اظهرتها امام اعين الرجال ! وقد صدق حدسى ، فقد صارت تاييس تعزف على القيثارة كل يوم بعض الاناشيد الدينية ، وفتن صوت القيثارة بقية الراهبات فازددن حمية فى اداء واجباتهن الروحية . وهكذا كانت تاييس تؤدى رسالة التكفير يوما بعد يوم .. **حتى فوجئنا بعد ستين يوما بالباب الذى احكمت اغلاقه بنفسك ينفتح من تلقاء نفسه ، وبالختم الذى وضعته عليه ينكسر دون ان تمسسه يد بشر ! .. وامام هذه العلامة ادركت ان العقوبة التى فرضتها انت عليها يجب ان توقف وأن الله قد غفر خطايا عازفة القيثار !**

«ومنذ ذلك اليوم شاركت تاييس بقية الراهبات حياتهن وتعبدهن . بل تفوقت عليهن بالتواضع الذى لازم حركاتها واقوالها .. حتى صارت تبدو بينهن وكأنها تمثال حى للخجل والعار ! واحيانا كانت تنتابها الكآبة ، لكن هذه النوبات كانت لا تلبث ان تمر . وحين لمست مقدار تعلقها بالله وايمانها به لم اتردد فى استغلال فنها وجمالها لنفع زميلاتها فدعوتها لتمثل امامنا امجد اعمال القديسات والعذاري والنسوة الطاهرات ، فمثلت صورا من حياة كل من استير ، ودبورة ، واخت أليعازر ، ومريم العذراء !.. وانا اعلم أيها الاب المبارك أن هذه الفكرة قد ازعجت وصدمت قداستك ولكنك كنت خليقا ان يغلبك التأثر لو رأيتها فى تلك المشاهد الورعة وهى تسكب الدموع الغزار وتمد ذراعيها كأعواد النخيل نحو السماء .. !

«لقد خبرت طويلا طباع النساء بحكم سيطرتى على الراهبات ، ومن مبادئى التى اطبقها معهن دائما ان لا اقهر واحدة على عمل يخالف طبيعتها ، فان كل البذور لا تنتج ذات الثمار .. وكل النفوس لا تتوب بطريقة واحدة .. **ثم اننا يجب**

ان نذكر ان تاييس هجرت العالم ووهبت نفسها لله وهى ما تزال جميلة ، وهذه التضحية وان لم تكن فريدة فهى ولاشك نادرة جدا !.. وها انت سترى ان جمالها ، ذلك الثوب الذى خلعته عليها الطبيعة ، لم يخلق او يبلى برغم الحمى التى تحرق جسدها منذ ثلاثة اشهر وتوشك ان تقضى عليها !..
ولما كانت لم تكف طوال مدة مرضها عن الضراعة وطلب تمكينها من التطلع الى صفحة السماء ، فقد جعلتها تحمل كل صباح الى الفناء الخارجى قرب البئر التى تقع تحت شجرة التين العتيقة .. وهناك تستطيع ان تراها الآن ايها الاب المبارك ، فقط عليك ان تسرع لان الله يدعوها الى سماواته .. والليلة سيسدل الغطاء على الوجه الذى خلقه الله للضلال والهدى !»

❖

❖ تبع بافنوس الراهبة (البينا) الى فناء الدير ، الغارق فى ضياء الصباح .. وكانت الحمائم البيضاء فوق الاسقف المصنوعة من الطوب اشبه بعقود من اللؤلؤ !.. وفوق فراش متواضع ، فى ظل شجرة التين ، كانت تاييس مضطجعة يكسوها شحوب الموت ، وقد عقدت ذراعيها فوق صدرها .. والى جوارها وقفت الراهبات وعلى وجوههن الانقبة يرتلن صلاة الاحتضار من مزامير داود : «ارحمنى يا الله حسب رحمتك . حسب كثرة رأفتك امح معاصى»

ونادها بافنوس : «تاييس !»

فرفعت اجفانها فى بطء ، وادارت نحو مصدر الصوت حدقتيها البيضاوين ، فأشارت البينا الى الراهبات ان يرجعن خطوات الى الوراء ..

وعاد صوت الراهب يناديها : «تاييس !» .. فرفعت رأسها قليلا ، وخرجت من شفتيها الشاحبتين غمغمة خائرة : « أهذا انت يا أبتاه ؟ »



ثم كفت عن الكلام ، وسقط رأسها الى الوراء . كان الموت يجثم فوقها ، وعرق النزع يكلل هامتها .. وفجأة قطع الصمت المخيف صوت حمامة تصيح متوجعة .. ثم اختلط نشيج الراهب بترتيل العذارى من جديد : «اغسلنى كثيرا من اثمى ومن خطيئتى طهرنى . لانى عارف بمعاصى وخطيئتى أمامى دائما »

وفجأة نهضت تاييس فى فراشها وانفتحت عيناها ، اللتان كساهما الشحوب بلون البنفسج ، الى آخر مداهما . وبنظرات ترنو الى بعيد ، وبذراعين ممدودتين نحو التلال البعيدة ، قالت فى صوت واضح مسموع :

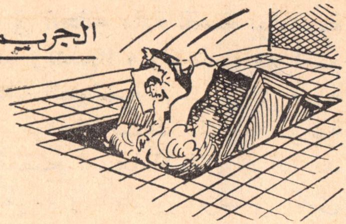
«ها هو الفجر الوردى للصباح الابدى» .. ثم اشرقت عيناها ، ولونت وجنتيها حمرة خفيفة ، وبدت اجمل واعذب مما كانت فى اى يوم من الايام !.. فجثا بافنوس امامها واحتواها بين ذراعيه السمراوين ، وهو يصيح بصوت غريب انكره هو ذاته : **« تاييس ، لا تموتى .. انى احبك .. لا تموتى! انصتى يا تاييس ، انك ملك لى وحدى . لقد خدعتك ، ولكم كنت بائسا احمق . ان الله والسماوات لا تعنى شيئا فى نظرى! لا شىء حقيقى سوى الحياة على الارض ، وسوى الحب ! انى احبك يا تاييس ، فلا تموتى . هذا مستحيل . انك اثمن من ان يعدو عليك الموت . تعالى ، تعالى معى . سأحملك بعيدا بين ذراعى . هيا ودعينا نتحاب . اسمعى يا محبوبتى ، وقولى: «ساعيش .. اريد ان اعيش» .. تاييس ، تاييس ، انهضى !»**

لكنها لم تسمعه ، فقد سبحت عيناها فى فضاء اللانهاية .. ثم غمغمت : «هاهى السماء تنفتح .. انى ارى ملائكة ، وانبياء ، وقديسين .. وبينهم «تيودور» القديس النوبى . ان يديه مليئتان بالازهار .. انه يبتسم ويناديني .. وها ملاكان يقبلان نحوى .. انهما يقتربان .. كم هما جميلان .. ها أنذا ارى الله !!»

واطلقت آهة فرح .. ثم سقط رأسها على الوسادة بلا حراك . لقد ماتت تاييس !.. واذا بافنوس يحتضنها فى حركة يأس تفيض بالشهوة والحب والغيظ .. فصاحت به البينا : «اغرب من هنا ، ايها الشرير !» .. فأجفل بافنوس متراجعا وهو يرتعد . كانت عيناه تتلظيان بلهب من نار ، واحس بالارض تميد تحت قدميه ..

.. بينما استطردت العذارى مرتلات : «مبارك اسمك يا الله » .. **وفجأة ماتت الكلمات فى حناجرهن ، فقد رأين وجه الراهب بشعا مخيفا ، فانطلقن هاربات وهن يصحن فى فزع : «شيطان !.. شيطان !»**

.. لقد انقلبت سحنة بافنوس الى حد انه حين مر بيده على وجهه ، احس هو نفسه ببشاعة صورته !



الجريمة لاتفيد!

الحانة ذات الفراش القاتل

◆ **على** بعد خمسة عشر ميلا من لندن ، وعلى بعد امتار قليلة من حركة المرور الصاخبة فى طريق «١ ٤٠» الذى يؤدى الى غرب انجلترا ، تقوم حانة قديمة قاتمة المنظر ، قليلة الارتفاع ، تكاد تكون واجهتها الخارجية كلها خشبية ..

فى هذه الحانة وقع منذ ثمانمائة سنة ـ فى عهد الملك هنرى الاول ـ حادث كشف الستار عن سلسلة من الجرائم المروعة : فعلى اثر اخلاد خدم الحانة الى النوم ذات ليلة ، اقدم صاحب الحانة وزوجته على قتل احد النزلاء بطريقة مبتكرة مثيرة .. ثم ظهر ان تلك الجريمة قد سبقها عدد كبير من الجرائم المماثلة التى حار رجال الامن فى اكتشاف سرها فى حينهـــا !

بين الواقع والخيال

◆ **والحانة** المذكورة يطلق عليها اليوم ـ فهى ما تزال قائمة فى مكانها ! ـ «أوستريش» (اى النعامة) ، وهى تقع فى «كولنبروك» بمقاطعة «بكنجهام شاير» .. اما فى عهد هنرى الاول فكانت تسمى «كرين» ـ وهى ترجمة اسم طائر «الرهو» المنتشر فى تلك الاقاليم .. **وما تزال الحانة حتى اليوم محتفظة بطابعها القديم الذى وصفه ادق وصف كاتب صحفى من معاصرى شكسبير يدعى «توماس ديلونى» حين اتخذ من قصة تلك**

الحوادث الواقعية التى حدثت فى الحانة مادة لقصة بوليسية مثيرة اطلق عليها «توماس اوف ريدنج» ، وتوماس هو اسم آخر ضحية من ضحايا تلك الحانة الجهنمية !.. وترتكز قصة ديلونى فى اساسها على تصوير مراحل تنفيذ تلك الجريمة «الكاملة» الرهيبة ، التى لم يفتضح امرها الا لان جوادا قد فر من حظيرته ومضى يخب بمفرده فى الطريق الرئيسى الذى يمر بالحانة !

وقد كتب ذلك الجزء من قصة ديلونى حافلا بجو الفزع والرهبة المحيط بالجريمة ، والذى يزيد من روعة وصفه وقوة سياقه امتزاجه بحوادث الحياة اليومية العادية التى تتخلل فصوله ، مثال ذلك قول الكاتب : «فى كل مرة كان الزوجان يدبران قتل احد النزلاء كان الرجل يقول للمرأة ـ او المرأة تقول لزوجها ـ عبارة من هذا القبيل : «زوجتى ، هناك خنزير دسم قد وقع فى ايدينا ، اذا اردت !» فتجيبه الزوجة : «اذن فلتحتفظ به فى (الحظيرة) الى الغد !» .. وكان ذلك يحدث عادة كلما هبط الحانة نزيل يحمل قدرا كبيرا من المال ، وكان بمفرده !»

والآن ننتقل بالقارىء من جو قصة ديلونى الى سرد الوقائع الحقيقية :

الشـــرك !

◆ **كان** يملك الحانة فى تلك الحقبة نجار يدعى «جارمان» ، وكان قد زود احسن غرفة فى حانته ـ وتقع فوق المطبخ ـ بفراش وثير دقيق الصنع جميل المظهر ، سمرت ارجله فى الارض . وكان ذلك الجزء من ارض الحجرة ـ اى سقف المطبخ الذى تحتها ـ قد صنع بحيث يمكن فتح ثغرة كبيرة فى وسطه ، تقع تحت الفراش مباشرة ، بواسطة جذب

مسمارين حديديين فى المطبخ .. **فاذا انفتحت الثغرة سقط النزيل النائم فى الفراش الوثير ، فى وعاء كبير «قزان» فى وسط المطبخ ، مملوء بالماء المغلى !.. وكان القزان المذكور يستعمل عادة فى تخمير النبيذ وتقطيره .**

وكانت هذه هى «الحظيرة» التى يحتفظ فيها الزوجان الآثمان «بخنزيرهما الدسم» حتى تحين ساعة مصرعه !.. وكانا قد صرعا بهذه الطريقة عشرات المسافرين والنزلاء قبل تلك الليلة التى اقبل فيها على الحانة التاجر «توماس كول» فى طريق عودته من لندن الى بيته فى «ريدنج» .. وكان كول تاجر نسيج ثرى اعتاد ان يقصد كل حين الى لندن ، على رأس موكب طويل من العربات المحملة بالبضائع ، كى يبيعها لتجار العاصمة ثم يعود حاملا ثمنها الوافر فى جيبه .. وفى الطريق يبيت ليلته فى حانة «كرين» ، بعد ان يودع لدى صاحبيها ما يحمله من الاموال كى يحفظاها فى خزانتهما الى الصباح !

وكان كول قد جاء الى الحانة ذات ليلة ، حافل الجيب بالنقود ، فأنزله صاحباها فى «حجرة الموت» التى تعلو المطبخ، تأهبا لتنفيذ خطتهما المرسومة .. لكن القدر تدخل فى آخر لحظة فى هيئة صديق لكول من تجار (جلوسستر) يدعى «جراى» جاء ليقضى بدوره الليلة فى الحانة ، فرأى المجرمان ان من الاحوط العدول عن ارتكاب جريمتهما فى تلك المرة ..!

المصادفة الثانية !

◆ **وفى** رحلته التالية وضع كول عند عودته من لندن فى تلك الغرفة اللعينة ، للمرة الثانية .. وفى هذه المرة استسلم الرجل للنعاس وكل شىء على ما يرام ، يوحى بانه قد بات فى قبضة القاتلين !.. ولكن قبل ان ينفذ الآثمان خطتهما وصل الى الحانة رسول قادم من لندن يقول ان حريقا كبيرا قد

شب فى العاصمة والتهم فيما التهم متجر «توماس بيكيت» الكبير الواقع فى حى «ويست تشيب» .. وكان كول قد تعامل فى ذلك اليوم مع المتجر المذكور وترك فيه اوراقا هامة ، فهب من فراشه على عجل وغادر الحانة عائدا من فوره الى لندن .. وبذلك نجا من الموت ، للمرة الثانية !

وفى مرة ثالثة نجا الرجل من الميتة المدبرة له ، بسبب مرضه .. فقد وصل الى الحانة مريضا ، فطلب ان يشاركه الغرفة فى تلك الليلة شخص آخر ، كى يلبى طلباته اذا احتاج لشىء اثناء الليل .. ولم يكن فى وسع صاحب الحانة ان يرفض طلبه ، او يرتكب جريمته امام شاهد عيان !

وكانت تلك فرصته الاخيرة للنجاة .. ففى المرة الرابعة كان القدر له بالمرصاد . ورغم أن جواده اصيب بكسر فى ساقه خلال الطريق ، قبل وصوله الى الحانة ، فانه اصر يومئذ على استئجار جواد آخر ، كى يصل الى الحانة قبل غروب الشمس فيقضى فيها ليلته .. !

ويالها من ليلة !

احساس غامض .. بالخطر !

◆ **احس** كول بمجرد وصوله الى الحانة بخوف غامض من الموت يثقل على قلبه ، بحيث لم يستطع ان يتناول طعاما ! .. واذ ذاك لجأ صاحبا الحانة الى التسرية عنه ، وتنبآ له بانه سيعيش سنوات أخرى كثيرة .. ثم استحثاه على ان ينهض لينام ، كى يتخلص من هواجسه .. فلما ابى استدعيا له اثنين من عازفى الموسيقى كى يساهما فى الترفيه عنه .. لكن احساس الرجل المبهم بالخطر هيأ له ان الموسيقى التى يعزفانها ان هى الا اجراس كنيسة تدق لحنا جنائزيا ..!

فلما رحل عازفا الموسيقى نبه صاحب الحانة ضيفه الى ان الساعة قد قاربت الحادية عشرة ، وسأله عما اذا كان يروق

له ان يأوى الى فراشه ؟.. وعندئذ بدأ كول يتراجع مذعورا وهو يقول لمضيفيه : «رباه ! ماذا فعلتما ؟ ان ايديكما ملطخة بالـــدم !»

فأجابه «جارمان» صاحب الحانة : «ماذا ؟ ايدينا ملطخة بالدم ؟ ليست ايدينا ملطخة بالدم ولا هى حتى قذرة !.. فاما ان تكون عيناك قد اصيبتا بشىء ، او يكون عقلك هو الذى اصيب بما يهىء لك هذه الاوهام !»

فأجابه النزيل معتذرا : «عفوا ، يبدو انى اخطأت .. هيا اعطنى كأسا اخرى من الخمر كى يغلبنى النعـاس ولا اعود ازعجك !»

فأحضر له جارمان الكـأس ، بينما أحضرت له زوجتـه منديلا دافئا لفته حول رأسه فى مزيد من الرقة والعناية .. فهتف بها الرجل فى انفة : «يا الهى ، اتحسبننى مـريضا ؟ معاذ الله .. وانما هو شعور غريـب يراودنى لاول مـرة فيما اذكـــر !»

وفى تلك اللحظة نعقت بومة قريبة نعيقـها البغيض ، وبعد برهة شرع غراب يردد نعيبه الكئيب على مقربة مـن نافذة النزيل ، الذى صاح اذ ذاك متطيرا : «ارحمنى يا ربى ، ياله من صياح ينذر بالشؤم !» .. لكن صاحب الحانة سخر منه وحمله الى فراشه وقد دارت الخمر برأسه وغلبه النعاس!

قلبه دليله !

ثم مضى جارمان الى زوجته يقترح عليها ان يعدلا عن تنفيذ جريمتهما فى تلك الليلة ، فقد اخافته هذه الهواجس والنبوءات العجيبة التى صدرت من الرجل !.. لكن الزوجة سخرت من مخاوف زوجها ولامته على ضعفه ، محرضة اياه على تنفيذ جريمته ـ كما تفعـل ليدى «مكبـث» فى رواية شكسبير الخالدة .. !

وكان الخدم قد أووا جميعا الى فراشهم ، فأصغى الزوجان الى ما وراء باب «غرفة الموت» ليطمئنا الى استغراق ضحيتهما فى نعاسه .. ثم هبطا فى حذر الى المطبخ فجذبا المسمارين الحديديين ، فانفتحت الثغرة الجهنمية .. وسقط «توماس كول» فى الوعاء الذى يغلى ! وكانت الصدمة مباغتة لاعصابه وحواسه بحيث لم يطلق صرخة واحدة !

ثم عمد القاتلان الى اجراءاتهما المألوفة ، فصعدا بسلم صغيرة الى حجرة القتيل ، عن طريق الثغرة نفسها .. وبعد ان جمعا حوائج النزيل وازالا كل آثاره هبطا من حيث جاءا ثم اغلقا الثغرة باحكام كما كانت !

ولكن بقى القتيل ذاته ، جثته !.. كما بقى فى حظيرة الحانة جواده المستأجر ..!

اما الجثة فكان امرها هينا : فقد كان النهر يجرى امام الحانة ، كما يجرى اليوم ، ومن ثم حمل الزوجان الجثة فألقياها فى لجته ..

واما الجواد فلم يكن امره عسيرا بدوره ، فقد كان لصاحب الحانة مخزن تبن مغلق على الدوام لا يبعد عن الحانة اكثر من ميل او اثنين ، فكان من عادة «جارمان» ان يخفى جواد ضحيته فى هذا المخزن فترة من الوقت ثم يغير معالمه على مهل بشتى الطرق كأن يبتر ذيله ويقص عرفه او يفقأ احدى عينيه او يقطع اذنيه .. ثم يضمه الى جياده !.. واذا استفسر احد عن الضحية أجابه بانه قد غادر حانته عند الفجر ولم يره بعد ذلك .. !

لكل قاتل هفوة .. !

◆ **لكن** هذه الخطة لم تسلم من العراقيل فى حالة مصرع توماس كول ، فحين توجه جارمان الى مخزن التبن ليغير معالم الجواد وجد الباب مفتوحا والجواد اثرا بعد عين !..

وكان الحصان قد انطلق الى الحقل المجاور حيث وجد فرسا وركض الاثنان معا عبر الحقول حتى بلغا الطريق الرئيسى ، وهناك تعرف احدهم على الفرس فأخذ الجوادين الى صاحبها !

وفى هذه الاثناء توالت الاستفسارات عن القتيل فى الحانة، فقد عاد عازفا الموسيقى فى الصباح ليعزفا له شيئا من موسيقاهما .. ثم جاء صديق للقتيل كان قد اتفق معه على ان يلتقيا فى الحانة ليواصلا سفرهما معا الى «ريدنج» .. فقيل لهذا واولئك ان الرجل قد أستيقظ قبيل الفجر وانطلق بجواده الى حيث يقصد .. !

وعند الضحى جاء صاحب الفرس ليستفسر عما اذا كان قد فقد من احد النزلاء جواد ما ، فأجابه سائسو الحانة ـ الذين كانوا يجهلون كل شيء عن الجريمة ـ بالنفى !.. وعلى اثر ذلك هدأت الامور طيلة ذلك النهار والليلة التالية ، بحيث ظن الآثمان انهما قد نجحا فى اخفاء معالم جريمتهما ككل مرة !

يد القدر !

◆ **وانتظرت** زوجة كول عودة زوجها ، دون جدوى .. فرأت ان ترسل رسولا الى الحانة ليستفسر عنه ، بحيث اذا لم يصل الى نتيجة واصل بحثه فى لندن .. فلما بلغ الحانة قيل له ان النزيل الذى يسأل عنه قد استأنف سفره فى فجر اليوم السابق .. **لكنه لم يقنع بهذه الاجابة ، فراح يتقصى الانباء فى المناطق المجاورة حتى علم ان جوادا قد وجد ضالا فى الطريق على غير هدى وان أحدا لم يطالب به او يتعرف عليه .. فساءل الرسول نفسه : ترى هل هو جواد سيده ؟ واذا كان هو .. فأين راكبه ؟**

وثارت شكوكه .. فرأى ان يلجأ الى سلطات الامن فى البلدة ، التى انتدبت محققا يتقصى جلية الامر .. واثنـاء

التحقيق ذهب المندوب يستفسر من صاحب الحانة عن معلوماته ، لكن الرجل كان قد علم فيما يبدو بان الحلقة قد بدأت تضيق حوله فلاذ بالفرار الى مكان مجهول !.. وحاصر المحقق زوجته باستجواباته حتى خارت عزيمتها فاعترفت بالقصة كلها !

وقبض البوليس على «جارمان» فى غابة وندسور حيث فر .. وقدم وزوجته الى المحاكمة فقضى عليهما بالاعدام شنقا، بعد ان اعترفا بانهما قتلا بتلك الطريقة الجهنمية ستين نزيلا من الذين شاء لهم سوء حظهم ان يبيتوا فى حانتهما !

بقى اعجب ما فى القصة ، الامر الذى كان عبرة لكل من وقف على ظروف المأساة : وهو ان القاتلين ، برغم كل الاموال التى سرقاها من ضحاياهما ، ماتا مثقلين بالديون !

تسميات خاطئة !

◆ **عندما** اكتشف الرحالة المعروف « الكابتن كوك » قارة أستراليا ، جلب بعض بحارته الى السفينة حيوانا غريبا لم يعرفوا اسمه ٠٠ فأرسلوا نفرا منهم الى الشاطىء ليسألوا أهل البلاد عن اسم الحيوان المذكور ٠ وبعد حين عاد أولئك يقولون انه يدعى « كنجارو » ٠٠ واشتهرت هذه التسمية منذ ذلك التاريخ حتى الآن ، برغم أنه قد تبين بعد ذلك ان البحارة حين سألوا أهل البلاد عن اسم الحيوان ، لم يفهم هؤلاء سؤالهم ، فسألوهم مستفسرين بدورهم : « كنجارو ؟ » وهو لفظ يعنى بلغة تلك البلاد : « ماذا تقولون ؟ »

الارق ٠٠ وهم !

◆ **يروى** الكاتب المعاصر « ستيفن ليكوك » هذه القصة، مدللا بها على أن الارق ، فى ٩٠ فى المائة من الحالات، هو مجرد وهم :

« عندما كنت شابا كنت أقطن « بنسيونا » فى مدينة تورنتو (بكندا) ، وذات يوم جاء أخى جورج ليزورنى ، ولم يكن فى البنسيون غرفة أخرى خالية ٠٠ فاضطررنا الى أن نقضى ليلتنا فى فراش واحد ٠ وفى الصباح سألت أخى :

ــ هل نمت جيدا ؟

ــ لم أنم لحظة واحدة !

ــ ولا أنا ٠٠ ظللت طوال الليل أسمع كل حركة وسكنة فى الشارع !

وعندئذ نهضنا من السرير ٠٠ وكم كانت دهشتنا حين وجدنا الفراش كله مغطى بالجير ٠٠ فان « بياض » السقف كله سقط علينا أثناء الليل ، لكننا لم نشعر به لاننا كنا فى حالة ٠٠ أرق ! »

كتب الأولون



كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد الماضية من كتابى ، من روائع الكتب القديمة ، هذه الكتب على التوالى :

«ديكاميرون» : بوكاشيو
«دون كيشوت» : سرفانتس
«الالياذة» : هوميروس
«اميل» : جان جاك روسو
«حى بن يقظان» : ابن طفيل
«روبنسن كروزو»: دانييل ديفو
«غرام الاخوين» : (كاتب فرعونى مجهول)
«يوتوبيا» : توماس مور
«الجمهورية» : افلاطون
«الكوميديا الآلهية» : دانتى
«الاوديسة» : هوميروس
«العالم كما يسير» : فولتير

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه القصة الصينية للشاعر القديم «يوان شين»، وقد أعاد كتابتها باسلوب حديث فيلسوف الصين المعاصر «لين يوتانج» .. وفى الاعداد القادمة نواصل باذن الله سياحتنا معا عبر الاجيال والاقطار ، فتقرأ معى فى هذا الباب :

الامير : مكيافيللى
العقد الاجتماعى : جان جاك روسو
السياسة : ارسطو
البخلاء : الجاحظ .. الخ

غرام مشبوب

للشاعر الصينى القديم "يوان شين"

أعاد كتابتها بأسلوب عصرى :
فيلسوف الصين المعاصر "لين يوتانج"



القصة .. والمؤلف



◆ من قلب تلك «القارة» الصفراء المترامية الاطراف، ومن أعماق الماضي السحيق، يستخرج لنا الفيلسوف الصيني المعاصر «لين يوتانج» هذه القصة العاطفية الرائعة، التي يصفها - وهو الحجة الخبير - بانها «اشهر قصة حب في الادب الصيني قاطبة !»، حتى لقد اقتبست منها وبنيت عليها ثماني مسرحيات مختلفة، أشهرها المسرحية التي أطلق عليها مقتبسها «الغرفة الغربية»، وقد صيغت في أروع أساليب الشعر الصيني وأرقها ..

أما المؤلف « الاصلي » للقصة الحالية فهو الشاعر الصيني القديم «يوان شن»، الذي عاش في أوائل القرن التاسع، وتدرج في الوظائف حتى شغل منصبا رفيعا من مناصب الدولة، وصار معدودا واحدا من أثنين كانا أشهر شاعرين في عصرهما ..

وقد كتب «يوان» القصة باعتبارها من نسج الخيال، لكن مقارنة حوادثها وتواريخها وشخصياتها بما عرف من وقائع حياة مؤلفها، تقطع بانها واقعية و«شخصية» .. سيما وان حرارة العاطفة التي تبدو من خلال سطورها تؤيد هذا الرأي وتعززه .. وقد أثارت القصة اثناء حياة مؤلفها كثيرا من النقاش بين اصدقائه وعارفيه الذين أدركوا واقعيتها، الامر الذي أحرج مؤلفها حرجا شديدا، سيما وان نهاية القصة تظهره في مظهر خلقي غير كريم، ولا يوحي بالاحترام .. كما سترى !

وقد أطلق المؤلف على بطل قصته - في صورتها الاصلية - اسم «شانج» .. لكن كاتبها الجديد الذي صاغها في هذه الصورة العصرية، آثر - بعد تحقيق دقيق - أن يرفع القناع عن شخصية «شانج» هذا، ويسمي الاشخاص بأسمائهم، فأطلق على البطل أسمه الحقيقي، أي أسم المؤلف نفسه «يوان شن» !

والآن، تعال معي تتقبل هذه النفحة العطرة من جو الصين القديمة .. الغامضة !

١ ـ خفقات قلب ٠٠

◆ **ما نزل** « يوان شن » مرة ببلدة « بوشنج » ـ أثناء رحلاته الرسمية ـ وسمع أجراس الدير القريب ، الا خفق قلبه شجى ٠٠ لا سيما اذا تناهى اليه رنين تلك الاجراس فى الفجر وهو فى فراشه ، فاذ ذاك كان يرتد الى عهد الشباب بأحاسيسه وأحلامه، برغم انه كان في العقد الرابع من عمره : زوجا سعيدا ـ (فى الحدود التقليدية التى اصطلح عليها المجتمع للسعادة الزوجية !) ـ وشاعرا ذائع الصيت ، وموظفا حكوميا كبير الشأن ، خبر الحياة حلوها ومرها ٠٠ **فكان خليقا به أن ينسى غراما تقادم عهده ، أو أن يذكره فى هدوء رزين ٠٠ بيد انه كان فى عجب من نفسه ، فلقد انقضى عشرون عاما وما زال رنين أجراس الدير تلك ، فى صليلها الرتيب وهى تؤذن بمطلع الفجر ، تثير فى نفسه أسى فياضا ٠٠ وتوقظ فى أعماقه شعورا خفيا ، متغلغلا تغلغل الحياة ٠٠ وتوحى اليه بنضارة وجمال للحياة ، يعجز قلمه الشاعر عن تصويرهما !**٠٠ فكان يذكر ـ وهو مستلق فى سريره ـ منظر السماء المعتمة وقد راحت النجوم المتألقة تصارع ظلمتها ٠٠ ويذكر الاحاسيس الجياشة التى كانت تواتيه ٠٠ والعطر القوى الشذى الذى كان يملأ خياشيمه ٠٠ ثم شبح ابتسامة واهنة تتراقص مترددة على وجه الفتاة التى كانت ٠٠ حبه الاول !

الغرفة الغربية !

◆ **كان** « يوان » اذ ذاك فى الثانية والعشرين ، يسعى الى العاصمة للحصول على شهادات رفيعة فى الادب ٠٠ ولم يكن قد عرف الهوى ، أو علق بالنساء ، فان شبابه وذكاءه وحسه المرهف ، صورت له أهدافا أسمى من الغرام ٠٠ لذلك كان بعيدا عن المرح ، متباعدا عن المجتمعات ٠٠ لا تكاد الحسناوات اللاتى كن يستهوين أقرانه يثرن فيه أتفه شعور ، وان اعترف بأن قلبه

كان يخفق اذا التقى بفتاة ذات جمال فذ أو مواهب ممتازة !

وكان طلاب العلم فى عهد امبراطورية « تانج » يسعون الى العاصمة قبل موعد الامتحانات الرسمية بشهور قد تبلغ نصف العام ، منتهزين الفرصة كى يجوسوا خلال البلاد فى سفرهم ٠٠ ومن ثم فقد رحل « يوان » مبكرا ، حتى اذا مر ببلدة « بوشنج » ـ عند منعطف النهر الاصفر ـ عرج ليزور صديقه « يانج » زميل الصبا والدراسة ، فما زال به « يانج » حتى قبل أن يطيل البقاء فى البلدة ٠٠ وصارا كثيرا ما يتمشيان حتى دير معبد « بوشيو » ـ القائم على ثلاثة أميال شرقى المدينة ـ يمليان البصر بالتلال وقد وشيت سفوحها بالزهور فى فصل الشتاء ٠٠ وكان الجو باردا ، ولكنه امتاز بصحو شمسه ، وجفافه ، مما استهوى « يوان » فدبر الامر مع أهل الدير لينزل فى احدى الغرف المعدة لاستضافة الحجاج ٠٠ واختار غرفة فى الركن الشمالى الغربى من مبنى الدير الكبير ، أعجبه فيها عزلتها عن بقية الغرف ، وانها كانت تشرف على جزء من الساحة تظله الاشجار السامقة المورقة ، وتتصل بردهة مسقوفة تتخلل جدرانها نوافذ سداسية الشكل تطل على النهر العظيم والجبال المترامية وراءه ٠٠

وسر « يوان » بالحجرة ، وراق له أن يقضى فيها مدة برفقة كتب الشعر التى كان يصطحبها ٠٠

وقال له (يانج) : « انك خيالى النزعة ، فان هـذا المكان لا يروق لغير ذوى الخيال والهوى ٠٠ »

ـ دع عنك هذا السخف ، فلو اننى كنت أنشد متعة لبادرت الى العاصمة ٠٠ ولكننى أؤثر أن أنقطع عن العالم بضعة أسابيع أخلو فيها الى كتبى ٠٠

أنغام ٠٠ فى سكون الليل !

على أنه لم يكد يقضى فى الدير يوما ، حتى تبين أن ثمة قصرا صغيرا ـ « فيلا » ـ يقع لصق الجدار الغربى للمعبد ، يتصل بمؤخرته بستان نمت فيه الزهور والفواكه ، وامتد على مرأى

من النافذة الخلفية لغرفته ·· وعرف « يوان » من الخادم أن « الفيلا » من أملاك الدير ، وقد شغلتها أسرة كان ربها من رعايا هذا الدير ، ومن الاصدقاء المقربين لدى كاهنه الاكبر ، وقد اعتاد أن يفد فيقيم فى تلك الدار كلما شاء البعد عن المدينة ·· فلما مات ، جاءت أسرته فاتخذتها مقاما ، اذ كانت أرملته « مسز تسوى » مهيضة الجناح ، هيابة ، فأتت تنشد الطمأنينة فى حمى المعبد ·· وقد سمح لهـا الكاهن الاكبر بذلك رعاية لذكرى صديقه وعرفانا بفضله ، اذ أنه كان صاحب المنحة التى أنفق منها على بناء الدار ··

وفى الليلة الثالثة لاقامة الشاب فى الدير ، سمع موسيقى تناهت أنغامها الى أذنيه من بعد ، عذبة ، حزينة ، خافتة ·· وأدرك أنها تصدر عن آلة وترية كالعود ·· على أن الذى أثار عجبه انبعاثها فى هدوء الليل الساكن ، وفى نطاق الدير !·· فدفعه الفضول فى الصباح التالى الى أن يطوف بالبقعة المجاورة ·· واذا به يتبين أن القصر الصغير كان محوطا بسياج يذود الابصار عن داخله ·· ولمح مجرى مائيا صغيرا ينساب من حديقة القصر خلال ثغرة فى السياج ليصب فى جدول كبير يمتد بمحاذاته ·· وكان الجو عبقا بأريج الزهور ، فألفى «يوان» نفسه يشغل بأمر الاسرة التى تحيا فى تلك العزلة البديعة ·· وراح يتصور عازفة اللحن الشجى الذى سمعه فى هدأة الليل، ويعجب من حرصها على أن لا تصل اليها الابصار ··

وفيما كان عائدا ، بعد انتهاء جولته ، تبين ان مؤخرة القصر هى التى كانت تلاصق الدير عند الساحة المترامية تحت غرفته ··

محنة تمهد للتعارف !

◆ **وكان** من المحتمل أن لا يعبأ الشاب بعد ذلك بجيرانه المجهولين ، لولا حادث وقع فى الاسبوع الثانى لاقامته ·· فقد

شاع ان قائد حامية المدينة قد توفى ، وان الفوضى دبت فى صفوف جنوده فانطلقوا يعيثون فى المدينة فسادا ، ينهبون متاجرها ، ويقتحمون دورها فيختطفون النساء منها !٠٠ وكان « يوان » قبيل ظهر ذلك اليوم يجلس فى مقعد مريح بغرفته، وقد انصرف الى أحد كتبه ، واذا به يسمع أصوات نساء يتبعها وقع أقدام تهرع مهرولة فى الردهة الممتدة أمام غرفته ، فأسرع يستجلى الخبر وهو فى دهشة من أمر هـــذه الضجـــة التى أوشكت أن تبلغ غرفته رغم كونها فى نهاية الردهة ٠٠ ثم زاد من دهشته ان بابا كان قد ألف أن يراه على الدوام مغلقا ، ألفاه الآن مفتوحا ٠٠ وأبصر امرأة فى أواسط العمر تهرع من الردهة وخلفها فتاتان نحو حجرات الـــدير الداخليـــة ٠٠ واستطاع أن يتبين ان المرأة كانت ترتدى ثيابا غالية ، وان الفتاة التى خلفها مباشرة كانت ولابد ابنتها ، وكانت فى حوالى السابعة عشرة أو الثامنة عشرة، ترتدى ثوبا بسيطا كحلى اللون، وقد أطلقت شعرها وجمعته فى مؤخرة رأسها بمشبك كبير ٠٠ أما الفتاة الاخرى ، فقد حدس انهـــا خـــادم ٠٠ وأدرك من اضطرابهن انهن كن فريسة لانزعاج مروع !

وأسرع « يوان » خلفهن وقد استخفه الانفعال واستهواه مرأى الفتاة الوسطى بصفة خاصة ٠٠ وكان الهرج يســـود الرهبان والخدم ، بينما مضت امرأة تروى لهم ـ وهى تبكى ـ كيف قتل الجنود زوجها وهو يذود عن ابنتهما !٠٠ **ولمح (يوان) الفتاة ـ التى كانت تهرع فى الردهة مع أمها وخادمتها ـ تنصت الى المرأة فى اهتمام ، غير حافلة بما انصب عليها من نظرات ٠٠ وكان شعرها الاسود الغزير جميلا ، وقد أوتيت عنقا أبيض ، وفما دقيقا ، ووجها صغيرا ، مستديرا** ٠٠ أما أمها فقد كانت بالغة القلق واللهفة ، بادية الخوف من أن يجتاح الجنود دارها ، سيما وانها كانت معروفة بثرائها !

وما لبث كبير سدنة الدير أن تقدم الى الام وابنتها يطمئنهما الى أنه سيهيىء لهما مخبأ آمنا ، لكن الابنة قالت معلقة فى هدوء، وقد بدا صوتها كتغريد الطيور :

ـ بل يجب أن نبقى فى دارنا ياأماه ، فاننا ان هجرناها شجعنا الطامعين على سرقتها .. ولو حدث ضر فسنجد متسعا من الوقت كى ننفذ من الباب الخلفى ونختبىء فى الدير ..

وأخذت المرأة بنصح ابنتها ـ وقد بدا انها تعول على آرائها الى حد كبير ! ـ بينما دفع الشباب والشهامة « يوان » الى ان يتقدم الى رئيس السدنة قائلا فى اهتمام واضح ـ دون أن ينظر نحو الفتاة ـ ان من الحكمة فى تلك الظروف اتخاذ الحيطة الكافية لحماية السيدتين ، وان له صديقا على معرفة طيبة بقائد الاقليم ولن يحجم عن الذهاب اليه وسؤاله حمايتهما بتعيين عدد من الجنود ليرابطوا عند باب الدار .

ورمقته الفتاة بنظرة رجاء وهى تقول : « هذا معقول ».. وذهب « يوان » من فوره الى « يانج » فلم يأت المساء حتى عاد يرافقه ستة من الجنود ، وانذار رسمى من قائد الاقليم للغوغاء بتجنب دار أسرة « تسوى » !

وسعد « يوان » بتوفيقه ، **وطمع فى أن يحظى بابتسامة عرفان بالجميل من الفتاة الساحرة التى تطلعت اليه فى الصباح فى رجاء ، فلم يكد يعود حتى سعى الى الدار .. واقتيد الى قاعة أنيقة الرياش . ولكن الام وحدها هى التى خفت لاستقباله،** فأزجت اليه من عبارات التقدير أحلاها ، مما أوحى اليه بأن ما وفق اليه من نفوذ رسمى قد رفعه فى عينيها .. ولكنه لم يحظ بنظرة أخرى من الفتاة .. فعاد الى الدير مستاء خائب الامل !

اللقاء الاول ..

◆ **واستطاعت** قوات قائد الاقليم أن ترد على المدينة أمنها بعد أيام ، وسحب الجنود من حراسة دار أسرة «تسوى» ، فدعت

الام « يوان » الى العشاء٠٠ ومدت المائدة فى القاعة الكبرى ، مما أضفى على المناسبة طابعا رسميا ٠٠ ثم قالت له المرأة :

ـ اننى أود أن أشكر لك كل ما فعلت من أجلنا ، وأحب أن أقدمك لافراد أسرتى ٠٠

ودعت صبيا فى الثانية عشرة من عمره وأمرته بأن يحيى « أخاه الاكبر » بالانحناءة التقليدية ، ثم قالت مبتسمة : « هذا ابنى الاوحد » ٠٠ وعادت تنادى قائلة : « انجينج ٠٠ تعالى فاشكرى السيد الذى أنقذ حياتنا ! »

وانقضت فترة طويلة دون أن تظهر الفتاة ، فخيل للضيف انها خجلى من أن تقدم رسميا الى شاب غريب ، فهذه عادة بنات الاسرات الراقية ٠٠ وبالفعل لم تلبث الام أن صاحت ثانية بلهجة من نفد صبرها : « انجينج ! لقد دعوتك الى المجىء ٠٠ ان السيد يوان قد أنقذ حياتك وحياة أمك ، فهل هـذا وقت تتشبثين فيه بالتقاليد ؟ »

وأقبلت الفتاة أخيرا ، فانحنت فى استحياء يغالبه كبرياء ٠٠ وكانت ترتدى ثوبا بسيطا التف فى احكام حول جسمها، وقد تأنقت فى زينتها فى غير اسراف ولا تبرج ٠٠ وككل فتاة مثقفة من أسرة راقية ، اتخذت مجلسها الى جانب أمها ، فى مظهر يوحى الى « يوان » بأن حظوته برؤيتها شرف عزيز !

وسأل « يوان » الام وفقا للتقاليد ، عن عمر ابنتها ، فأجابته بأنها فى السابعة عشرة ٠٠ ومع ان العشاء كان عائليا ، وليس من ضيف عدا « يوان » ، فان الفتاة ظلت متشبثة بالكلفة ، متحفظة فى مسلكها طيلة الوقت ٠٠ وعبثا حاول « يوان » أن يثير من الموضوعات ما يستدرجها الى الحديث ، مع أن أية فتاة أخرى فى مكانها كانت لتتصرف فى حضرة شاب مثـله غير تصرفها ، مهما كانت مبالغة فى التحشم والتحفظ ٠٠ ولكن هذه الفاتنة بدت له لغزا محيرا ، فكأنما هى فى صمتها «أبو الهول»!

٠٠ أو كأنها أميرة من الجن لا سبيل للعواطف البشرية الى قلبها ٠٠ **وتساءل « يوان » ، وهو غير مصدق : أتراها حقا شديدة الصرامة والعفة ٠٠ أم ان ما بدا منها لم يكن سوى مظهر بارد يخفي وراءه احساسا عميقا متأججا ؟ ٠٠ أو هو اسراف في التحفظ اعتادته الفتيات اللاتى نشئن على تعاليم «كونفوشيوس» في صرامة قاسية ؟**

وعلم « يوان » أثناء العشاء ان الارملة تنحدر من أسرة «شنج» ٠٠ واذ كانت هذه أسرة أمه ، فقد تبينا انها تمت اليه من بعيد بصلة القربى ! ٠٠ وبدت الام فرحة حقا لهذه المصادفة، واذ ذاك فقط لان وجه الفتاة ليرتسم عليه ٠٠ طيف ابتسامة !

وبات « يوان » ليلته موزعا بين الدهشة والافتتان بمسلك الفتاة ، فما التقى يوما بفتاة مثلها فى الصلف والتحفظ ، وصعوبة التقرب اليها ٠٠ وكان كلما كافح مشاعره لم يزدد الا افتتانا بها ، ورغبة فيها !

الاعجاب يختمر !٠٠

◆ **ومنذ** ذلك اليوم راح الشاب ينتحل المعاذير كي يتردد على الاسرة ٠٠ وكان يبذل قصارى جهده كي يشعر كل فرد من أفرادها بوجوده ! ٠٠ ولابد ان «انجينج» كانت تراه فى زياراته هذه ، رغم عدم مقابلتها اياه ، فقد اعتادت فتيات الاسرات الموسرة ان يلمحن ويسمعن الكثير من خلال السجف الموشاة بالثقوب ! ٠٠ ولكنها كانت نفورة على الدوام ، كالغزال اذا ما اقترب منه وحش كاسر ٠٠ وحدث ان رآها مرة تلاعب أخاها فى الحديقة الخلفية قبيل الغروب ، ولكنها لم تكد تلمحه حتى مرقت كالسهم واختفت، فلم يتمالك ان هتف لنفسه: «عصفورة! ٠٠عصفورة ! ٠٠ يالها من عصفورة رواغة ! »

والتقى يوما بخادمتها على انفراد ، فى الدرب المفضى من الدار الى الباب الخارجى ٠٠ وكانت الخادم فتاة ساذجة ، صريحة،

أوتيت نصيبا من الملاحة والجاذبية والفطنة بشئون الدنيا ، فانتهز الفرصة وسألها عن سيدتها الصغيرة ! ·· وتضرج وجه «وردة» ـ كمـا كان اسـمها بالصينية يعنى ـ وابتسمت ابتسامة العارفة بما وراء السؤال ·· فقال لها : « نبئينى ·· أمخطوبة سيدتك ؟ »

ـ وفيم سؤالك ؟

ـ ان بيننا قرابة بعيدة، ويهمنى أن أعرف المزيد عنها·· ألا خبرينى : لماذا تتحاشانى ؟ ·· انها تبدو رائعة ، رقيقة ، حسنة المسلك ·· وانى لمعجب بها كل الاعجاب !

ـ آه ·· ولم لا تسأل أمها أن تسمح لك بلقائها ؟

ـ انك لا تدركين ·· انها لا تكاد تنطق بكلمة فى حضور أمها ! ·· **فهل لا توجد فرصة كي أراها على انفراد ؟ ·· اننى مذ رأيتها لا أفكر فى غير هذه الامنية ··**

وأخفت الخادم فمها براحتها ضاحكة ، ثم ولت هاربة ·· فناداها قائلا :

ـ وردة ! ·· وردة ! ·· أتوسل اليك أن تساعدينى

فتفرست فيه مليا ، ثم قالت فى اشفاق :

ـ ما أرانى أجرؤ على أن أحمل اليها مثل هذه الرسالة ، فهى صارمة ، مستقيمة ، وما تكلمت قط الى شاب ·· غير انك مهذب ، وقد أديت للاسرة خدمة جليلة ، مما جعلنى أميل اليك ·· ومن ثم فسأسر اليك بأمر : انها تقرأ الشعر وتقرضه ، ففى وسعك أن تنظم لها قصيدة ·· هذه هى الوسيلة الوحيدة التى تفتح لك مغاليق قلبها !

وغمزت بعينها فى خبث ··

أما « يوان » فلم يحن اليوم التالى ، حتى نفذ نصيحة الخادم فأرسل معها الى فتاته قصيدة ، قال فيها :

« وإذ راقبت القمر الآفل عند الفجر ، تاهت روحى فى ذكرى وجهك

الحبيب ، وهفت بالامل الواهن .. فى أن تنال منك اشارة رحيمة ، أو ابتسامة كريمـــة »

وكم كانت فرحته ، حين حملت اليه «وردة» فى مساء اليوم ذاته قصيدة من « انجينج » أسمتها «ليلة مقمرة » ، قالت فيها:

« ان شخصا يرتقب فى الليلة المقمرة ، فى الغرفة الغربية .. وبابهـا مفتوح ، وأطياف الزهور تتحرك عبر السياج .. آه ، لعله حبيبى قد أتى ! »

واستخف الفرح « يوان » وقد رأى فى القصيدة « دعوة » صريحة وموعدا !٠٠ وكان هذا فوق ما حلقت اليه آماله ، فلم تنقض ليلتان حتى تسلق السياج الذى يفصله عن دار الفتاة، وهناك ألفى باب الغرفة الغربية مواربا حقا ـ كما وعدته فى قصيدتها ـ فلما تسلل الى الداخل وجد «وردة» نائمة ، فأيقظها ٠٠

وهتفت الفتاة مأخوذة : « لم جئت ؟ ٠٠ وماذا تبغى ؟ »

ـ لقد دعتنى الى المجىء ، فاذهبى واخطريها ٠٠

وسرعان ما عادت « وردة » تهمس له بأن الفتاة قادمة ٠٠ ومرت عشر دقائق وهو ينتظر ، فى قلق ممض ٠٠ وحين أقبلت « انجينج » ، فى النهاية كان الانفعال والارتباك مستوليين على محياها ، ولكن عينيها السوداوين العميقتين كانتا تستخفيان وراء قناع من الغموض ! ٠٠ ومضت لحظة غمرها فيها الحياء ، ثم قالت الفتاة فى شىء من الجفاء :

ـ لقد سألتك ان تأتى ، لانك رغبت فى أن ترانى ٠٠ وانى لعارفة لك ما فعلت لحماية أمى وأسرتنا ، ومن ثم أردت أن أشكرك شخصيا ٠٠ على اننى أعجب لاقدامك على ارسال مثل ذلك الشعر الغرامى مع الخادم٠٠ وقد كان فى وسعى أن أريه لامى ، لكنى لن أفعل ، اشفاقا عليك ٠٠ وانما آثرت أن أراك شخصيا لارجوك أن تقلع عنه !

بهت « يوان » ٠٠ وهم أن يذكرها بلهجة رسالتها الشعرية لكنها قاطعته فى صوت متهدج :

ــ تخطىء اذا ظننتنى أقدمت على هذه المخاطرة لغرض غير مشروع !

ثم تحولت وغادرت الحجرة مسرعة ٠٠

٢ ــ زيارة ٠٠ فى الليل !

◆ **تجاذبت** «يوان» مشاعر الاستياء، والاستحياء، والغضب ! وأبى ذهنه أن يصدق ما جرى ، والا فلم كتبت له ذلك الشعر الذى أوحى اليه بالقدوم ، بدلا من أن ترسل له مع الخادم ردا مقتضبا ؟ ٠٠ ولم دعته وجشمت نفسها عناء القاء تلك المحاضرة عليه ؟ ٠٠ أو تراها غيرت رأيها فى اللحظة الاخيرة خوفا مما كانت مقدمة عليه ؟ ٠٠ وأحس بأن حبه لها يكاد يتحول الى كراهية ، كيف لا وهى قد تعمدت أن تهزأ منه !

وانقضت ليلة ٠٠

وفى الليلة التى تليها ، فيما كان مستغرقا فى النــوم ، استيقظ على يد تهزه فى ظلام غرفته ٠٠ فاستوى ناهضــا ، وأوقد المصباح ، واذا « وردة » تهمس له :

ــ انهض ٠٠ انها قادمة !

وأسرعت خارجة ، فجلس يفرك عينيه وهو غير مصدق ٠٠ ثم بادر فارتدى ثيابه وجلس ينتظر ٠٠ وما لبثت أن أقبلت وردة تقود الفتاة وقد تضرج وجهها خجلا ، وبدا التردد والوهن فى مشيتها ، حتى لكأن ساقيها لا تكادان تحملانها ٠٠ وبدا له ان كل كبريائها وتعاليها قد تلاشيا ! ٠٠ ولم تعتذر ٠٠ لا ولم توضح ما كان من تصرفها ٠٠ بل وقفت أمامه وقد تهدل شعرها على كتفيها ، وراحت تحدق فيه بنظرات طويلة ، عميقــة ، انبعثت من أغوار عينيها السوداوين الجميلتين ٠٠

وخفق قلب «يوان» ‥ وبدا له هذا التسليم المفاجىء ، وقد أقدمت عليه بمحض اختيارها ، ادعى للعجب من ذلك التراجع الذى فاجأته به فى المرة السابقة! على أن غضبه السابق ودهشته الحالية زالا حين رأى الفتاة التى أحب ‥ **وانسحبت الخادم مسرعة، فكان أول ما بادرت اليه الفتاة أن أطفأت المصباح، ولما تنبس بعد ببنت شفة !‥ فسار اليها ، واحتواها بين ذراعيه ‥ وراحت شفتاها تبحثان عن شفتيه فى تعجل ‥ وأحس بجسدها يرتجف فى أحضانه ‥ وبدون أن تنطق بكلمة واحدة ، تهالكت على الفراش فى حركة طبيعية ، وكأنما عجزت ساقاها عن أن تحتملاها !**

‥ ودقت أجراس الدير مؤذنة بالفجر ‥ وأقبلت «وردة» تستحث مولاتها على الانصراف ‥ فأصلحت الفتاة من شأنها وغادرت الغرفة وعلى محياها علائم التعب والكلال ‥ وأغلق الباب فى سكون ‥ ولم تكن قد نبست طوال الليلة بكلمة واحدة ! حتى مناجاته لم تنتزع منها سوى آهات حرى كانت شفتاها الدافئتان تلتصقان بعدها بشفتيه ‥

ولولا نفحات عطرها فى الغرفة ، وآثار شفتيها على المنشفة ، لخال الامر كله حلما ‥ ولكنه كان حقيقة ‥ ان الفتاة الصموت – كأبى الهول – النافرة فى جمود وجفوة ، قد استسلمت لجماح شهوة عرمة فوق ارادتها ! ‥ ولكن ترى أكانت شهوة أم حبا ؟ لقد جاءته فى غير استحياء !‥ وتذكر كلماتها التى قالتها فى صوت متهدج غضبا : « تخطىء اذا ظننتنى أقدمت على المخاطرة لغرض غير مشروع » ، فماذا كانت تعنى اذن ؟ ‥ على أنه لم يشأ أن يثقل على فكره، فالمهم انها جاءته !

ولم يكن له عهد بمثل تلك السعادة التى نقلته الى عالم آخر

٠٠ جديد ٠٠ لا حدود لجماله ونشوته ٠٠ فـــراح يستبطىء الساعات فى انتظار الليل ، لعلها تقبل فتتألق فى غرفته من جديد وتحيلها بسحر الحب الى جنة !

ولكنها لم تأت ٠٠ وساءل نفسه : أتراها جاءته فى الليـلة السابقة بدافع من شهوة مشبوبة طارئة ، لا تنوى أن تستسلم لها مرة أخرى ؟ ٠٠ أم انها بعد تلك الليلة شاءت أن تحظى بوقت تفكر فيه فى تلك المغامرة الغرامية التى أقدمت عليها فى تهور ٠٠ ؟

وراح ينتظرها ليلة بعد ليلة ، والدم يتدافع فى عروقه ٠٠ وكان يجلس فى غرفته وحيدا فى الليل ، يرقب فى صمت واجم رماد البخور الذى أحرقه ليعطر الغرفة فى انتظارها ! ٠٠ وحاول أن يصرف ذهنه عن أمر لاح له غير ذى جدوى ٠٠ ولكن محاولاته ذهبت سدى ٠٠

وتسلل مرة كاللص ليختبر باب الردهة المتصل بدارهـا ، ولكنه ألفاه محكم الرتاج ! ٠٠

وتفادى فى الايام التالية أن يذهب الى دارها ، ولكنه لـم يقو بعد اليوم الثالث ، فذهب يزور أمهـا ٠٠ وتلقتـــه الام مرحبة كالعادة ، واستبقته للغداء ٠٠ وانضمت اليهما «انجينج» حول المائدة ٠٠ وأذهله أن يراها قد استردت مظهرها البارد ، ونظرتها البريئة الجادة التى لا تكشف عن أقل بادرة توحى بما كان بينهما من ود ! ٠٠ كانت الفتاة أستاذة فى الخداع ! ٠٠ وراح يتفرس فيها ، فلم يختلج هدب واحد من أهدابها ٠٠ وفى النهاية رجح أن الريب لابد قد انتابت أمها بحيث آثرت الفتاة ان تضاعف من حذرها ٠٠ !

وانقضى أسبوعان ، لم يبح « يوان » خلالهما لصديقه «يانج» بشىء عن غرامه ، وان نظم قصيدة من ستين بيتا سجل فيها لقاء غريبا مع حورية من الجن ، وضمنها وصف انفعـــالاته ونشوته ، وحنينه الطاغى ٠٠

وبعيد منتصف احدى الليالى ، سمع صريرا فى باب الردهة، وكأنما أستجيبت صلواته ! ٠٠ وهرع ليجد « وردة » فى ارتقابه تنبئه بأن مولاتها ، قد اصطنعت مفتاحا لقفل الباب كى يتسنى لهما ان يلتقيا فى الغرفة الغربية كلما أرادا ٠٠ وفى غمرة فرحه ، ألفى نفسه يعجب بدهاء محبوبته وجرأة خططها !

واعتادت « انجينج » أن تلقاه بعد ذلك كل ليلة تقريبا فى الغرفة الغربية ، فاذا لم تستطع ، أرسلت اليه كلمة مع الخادم ٠٠ وكانت توافيه فى كل لقاء بعيد منتصف الليل ، ولا تؤوب الى حجرتها الا قبيل الفجر !

وثمل « يوان » بخمر السعادة ٠٠ وفتحت له الفتاة قلبها فأحبته متدلهة ، وبادلته العهد أن يكون كل للآخر مهما حدث! ٠٠ وكانا يتهامسان فى الظلام وقد استلقيا جنبا الى جنب ، فكان حديث الفتاة يوحى بأنها لم تندم على مسلكها ! ٠٠ كانت ـ اذا سألها ـ تجيبه وهى تقبله فى وجد :

ـ لست أملك أن أصد نفسى عن هواك !

ـ واذا كشفت أمك سرنا ٠٠ ؟

ـ وجب عليها أن تزوجك من ابنتها ٠٠

وكان لا ينفك يعجب بقوة أعصابها وحدة ذهنها ، وكانت هى فى الواقع من نضوج التفكير بحيث كانت تبدى اهتماما بكل أعماله وخطط مستقبله ٠٠

ذهب ٠٠ لكنه سيعود !

◆ ثم آن لهما أن يفترقا ، اذ كان عليه أن يرحل الى العاصمة ٠٠ ولم تؤخذ « انجينج » بالنبأ ، بل قالت فى هدوء :

ـ اذهب اذا لم يكن من ذهابك بد ٠٠ ولكن ، على أن تعود فى الصيف !

وعاد فى أواخر الصيف ٠٠ ولكن زيارته لم تطل ، اذ كان الامتحان فى الخريف ٠٠ ولم يبد على أم « انجينج » انها عرفت

شيئا من أمرهما ، بل انها استقبلته بما اعتادت أن تستقبله به من ترحاب ، واستضافته فى البيت ..

وسر « يوان » اذ بات فى وسعه أن يرى «انجينج» فى ساعات النهار .. وقضيا معا أسبوعا رائعا . كانت قد تخلت عما كانت تبديه أمامه من استحياء .. **ولعل سعادتهما أوحت الى الام بشىء من سرهما ، فقد سألت ابنتها عن ضيفهما الشاب، قبيل سفره بيوم ، فأجابتها الفتاة فى اعتداد وثقة : « لابد له من الرحيل من أجل الامتحان .. ولكنه سيعود »**

وأتيح للعاشقين أن يختليا معا فى تلك الليلة ، فبدا « يوان » شقيا حزينا ، لم ينفك يزفر فى أسى ! .. ولكن « انجينج » كانت مليئة بالثقة فى حبه .. وراحت تقول له فى هدوء :

ـ لا تبد مهموما ، وكأن هذا وداعنا الاخير..سأظل ارتقب عودتك ..

وأعدت الام فى تلك الليلة وليمة للاسرة ، تحية له قبل رحيله .. وعزفت « انجينج » على آلتها الموسيقية ، بينما جلس الشاب مفتونا بجمالها وشجى لحنها..وفجأة ، جاشت عواطف الفتاة ، فألقت بالآلة جانبا ، وانفلتت هاربة من الحجرة ..

خريف الحب !

◆ **ولم** يلتق الحبيبان بعد ذلك الا مرة .. وأخفق « يوان » فى الامتحان ، فخجل من أن يعود ويطلب يدها ! .. لكنه حرص فى البداية على أن يكتب اليها خطابات متتابعة من العاصمة ، ثم أخذت الفترات بين الخطابات تتباعد .. وكانت « انجينج » تلتمس له المعاذير ، دون أن تسمح للقنوط يوما بأن يتسرب الى قلبها ..

وفى تلك الاثناء ، أخذ « يانج » يكثر من التردد على أم « انجينج » ، فكانت تحدثه عن « يوان » وتطلعه على رسائله ـ

فقد كان « يانج » متزوجا ، ويكبره فى السن ٠٠ وأوجس « يانج » من تباعد خطابات صديقه ، وخشى أن تكون مفاتن العاصمة قد خلبت لبه ، لذلك لم يلبث أن كتب اليه٠٠ ولكن الرد الذى واتاه لم يزده الا قلقا ٠٠ فى حين كانت الفتاة لا تفتأ تطمئن أمها الى أنه لن يلبث أن يعود بعد أن ينجح فى الامتحان فى الخريف التالى !

وانقضى الربيع ، وأقبل الصيف٠٠

وذات يوم تلقت « انجينج » من «يوان» قصيدة صيغت فى لهجة مبهمة ، تحدث فيها عن سعادتهما الماضية وحنينه اليها٠٠ ولكن السطور كانت تنطوى على معنى لم يغب عنها ، فأيقنت انها قصيدة وداع ٠٠ اذ وصف فيها لوعته خلال الفراق الذى امتد عاما ، ثم استطرد قائلا :

« ان مستقبل حياتى غير واضح ولا ثابت ، بل هو كالسحب ٠٠ فمن يضمن لى أنك ستظلى فى نقاء الجليد؟٠٠واذا ماتفتحت زهرة الخوخ فى الربيع ، فما الذى يحول بين المعجبين واقتطافها ؟ ٠٠ ما أسعدنى اذ كنت أول من امتص رحيقك ، ولكن ترى من المحظوظ الذى سيجنى القطاف ؟ ٠٠ آه ، ماأطول العام الذى ينقضى فى انتظار ، ولكن ، ترى هل تقوين على الصبر عاما آخر ؟ ٠٠ ألا يحسن أن يكون فراقنا الى الابد ، بدلا من أن تعانى هذا الانتظار الذى لا يبدو له أمد ؟ » ٠

وحز فى نفسها ان الرسالة انطوت على طعن فى مسلكها ، وتعريض بأخلاقها ! ٠٠ وفى تلك الاثناء أقبل « يانج » فألفاها جالسة والرسالة فى يدها ، وقد قرح البكاء عينيها ٠٠ وأدرك ان « يوان » يحاول ولابد أن يتحلل من هواه ، فلم يتردد فى اعلانها باعتزامه الرحيل الى العاصمة ليلقاه ويتعرف حاله !

وتطلعت اليه « انجينج » ٠٠ وأذهله أن سمعها تقول فى هدوء :

ــ أحقا ؟ اذن فلتقل له اننى بخير ··

وبادر يعد العدة للرحيل ، ليرى ماأصاب صديقه، فيرد اليه عقله : كان لابد له من أن يتزوج « انجينج » ان كان شريفا ، ولو ان الفتاة كانت آخر من يطالبه بأن يفى بعهده !

وان هى الا ثلاثة أيام حتى رحل « يانج » الى العاصمة ، ومعه رسالة من « انجينج » الى « يوان » ·· رسالة لحمتها الاخلاص وسداها الصدق ، وقد ضمنتها دفاعا أبيا كريما عن نفسها :

« ان هداياك تزيدك منى قربا فتذكى شوقى اليك ·· وانى لمسرورة اذ تمكنت من أن تتابع دراستك فى العاصمة ، وان كنت حزينة لاننى سجينة هذه البلدة لا أقوى على اللحاق بك ·· ولكن لا جدوى من وراء الاسى لما يأتى به القدر ·· بل لقد رضت نفسى على تقبل ما يضمره لى دون تذمر ··

« اننى افتقدك منذ رحيلك، ومع اننى أحاول التظاهر بالهناءة والمرح أمام الغير ، الا اننى اذا انفردت بنفسى عجزت عن كبح دموعى ·· وكم رأيتك فى المنام، فخلت اننا ننعم بسعادة الماضى، ولكننى كنت لا ألبث أن أستيقظ فأجد نفسى متشبثة بالوسادة فى لوعة ··

« مر عام بطوله على رحيلك ، وكم أنا حامدة للمدينة الطروب أنها لم تلهك عن حبيبتك القديمة تماما ·· الا اننى سأبقى على الدوام وفية للعهد ·· لقد فقدت سيطرتى على نفسى واستسلمت لك ، ولقد أقسمت فى ليلتنا الاولى اننى لن أحب سـواك ، وتعاهدنا ان نبقى على وفاء ·· فاذا حرصت على عهدك ، كنت بك أسعد نساء العالم! ·· أما اذا هجرت القديم من أجل جديد، فسأظل أهواك ، ولكننى سأحمل الى قبرى وبين جنبى أسى خالد ·· والامر كله بعد ذلك اليك

« ألا فلتعن بنفسك ٠٠ اننى أرسل اليك خاتما من حجر اليشم يحمل أملى فى أن يظل حبك لى نقيا كذلك الحجر الذى يتخذ رمزا لتشابك عواطفى واندماجها فى حبى ٠٠ وقطعة من أعواد الشاى، رويتها بدموعى ٠٠ **ان قلبى قريب منك، ولكن جسدى بعيد عنك ٠ ولو تحققت الامانى لكنت دائما بجوارك ، فاننى لا أنفك أفكر فيك ٠٠ اننى أبث خطابى حنينى المتقد ، وأملى فى ان أراك ثانية ٠٠ »**

سر الجفاء !

وشحب وجه « يوان » حين أتى على نهاية الرسالة ، وظل برهة ساهما ٠٠

وسأله « يانج » أخيرا :

ـ ما أراك قد أنصفتها ٠٠ فماذا جرى ؟

ـ لست أملك أن أتزوج وأمامى دراستى أريد أن أتمها ٠٠ صحيح اننى كنت على علاقة بها ٠٠ ولكنها التى سعت الى بنفسها ٠٠ وما أظن ان طيش الشباب ينبغى ان يلهينى عن دراستى ٠٠

ـ طيش الشباب ؟ ٠٠ ربما لاح الامر كذلك بالنسبة اليك ، ولكن ٠٠ هلا فكرت فى الفتاة التى كتبت لك هذه الرسالة ؟

ـ كل شاب معرض لان يخطىء ، ولكنه مطالب بأن لا يضيع وقته مع النساء !

ـ اذا كنت قد تحولت، فلا تجشم نفسك عناء تبرير تحولك ٠٠

وأيقن « يانج » ان صديقه لم يكن أمينا ٠٠ حتى مع نفسه ! ٠٠ وأدرك ان لابد لذلك من سبب ، فمكث فى العاصمة أسبوعا يراقبه ٠٠ حتى تبين انه على علاقة بفتاة من أسرة مفرطة الثراء ٠٠ فلم يسعه الا أن يزدريه ، وان يبادر عائدا من حيث أتى !

٣ ـ تحطيم قلب !

◆ **ووجد** الصديق مشقة فى أن يفضى للفتاة بالامر ، فقد خشى أن يشتد بها الاسى ⋅⋅ لذلك آثر أن يفاتح أمها أولا ⋅⋅

واذ أقبلت الفتاة تحييه ، بادرته متسائلة :

ـ هل حملت الى رسالة ؟

لكنه ظل صامتا وقد عز عليه القول ⋅⋅ ولمح وجه الفتــاة يربد ، وعينيها السوداوين العميقتى الغور ترسلان وميضــا نافذا ⋅⋅ وبدت كامرأة لم تفهم الموقف فحسب ، وانما ألمت بكل شىء عن الحياة والخلود⋅⋅واتقدت عيناها ، فأرخى «يانج» جفنيه على الرغم منه ⋅⋅

وقال أخيرا : « لقد كانت قصيدته وداعا ! »

وسمرت «انجينج» فى مكانها ، وقد ألجم لسانها فترة ⋅⋅ وخشى « يانج » ان تنهار تحت وطأة الصدمة ، ولكنه أحس فى لهجتها حين تكلمت، بكبرياء وقسوة ⋅⋅ وقالت فى ايجاز : « فليكن ما شاء ! »

واستدارت فجأة وهمت بمغادرة الحجرة ⋅⋅ لكنها ما ان بلغت الباب ، حتى أرسلت ضحكة هستيرية ⋅⋅ فهرعت أمها خلفها ⋅⋅ وظل « يانج » خمس دقائق يسمع الضحك يرن فى جو البيت ⋅⋅ فاستبد به الانزعاج !

ولكن الارتياح عاوده فى اليوم التالى حين طمأنته الام الى أن الفتاة استردت هدوءها وجلدها ⋅⋅ وانها قبلت أن تتزوج من قريب لهـا من أسرة أمهـا كان يخطب دوهـا من زمـن طويل ⋅⋅

ولم يأت الربيع حتى زفت اليه !

اللقاء الاخير !



◆ **وفى** أحد الايام ، سعى «يوان» الى دارها، والتمس لقاءها كقريب لها ٠٠ ولكنها أبت أن أن تستقبله ٠٠ حتى اذا تهيأ للانصراف ، برزت من خلف الستار ، لتقول له :

ـ لماذا جئت تزعجنى ؟ ٠٠ لقد انتظرتك فلم تعد ، لذلك لم يبق بيننا ما يقال ، وقد نسيت كل شىء ، فخليق بك أنت الآخر أن تنسى ٠٠ ولتنصرف !

ولم ينبس ببنت شفة ، بل بادر منصرفا ٠٠ لكنه لم يكد يبتعد ، حتى تهالكت «انجينج» على عتبة الباب فاقدة الوعى ٠٠!

٠٠ وقد صدق !

◆ **يحكى** عن الثائر الانجليزى « أوليفر كروموبل » الذى حرر بلاده من طغيان الملك « شارل الاول » ، انه كان كلما جلس الى المائدة ليأكل تلا الصلاة التالية : « بعض الناس يجدون الطعام ولا يجدون الشهية ٠٠ والبعض يجدون الشهية ولا يجدون الطعام ٠٠ لكننى أملك الطعام والشهية معا ٠٠ فشكرا لك يا آلهى ! »

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

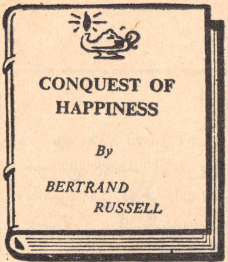
عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية من كتابى ، الكتب الاتية على التوالى : «كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » للعالم النفسانى ماكدونالد لاديل ، ثم «طريق السعادة الزوجية» لفردريك برينك ، و «مركب النقص» تأليف و. ماكبرايد ، و «حواء الجديدة» ـ مرشد المرأة العصرية المستنيرة الى سعادتها ، قبل الزواج وبعده ـ للدكتور كورتنى بيل ، ثم «كيف تقهر الخجل» تأليف س. تيار ، و «كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة » لجون كنيدى ..

ثم قدمت لك فى الاعداد التسعة التالية ، من فنون الحياة التى شرحها المفكر العالمى «اندريه موروا»: فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن السعادة ، فن التفكير ، واخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

ثم انتقلت بك منذ العدد قبل الماضى من صحبة اندريه موروا المتعة الى صحبة مفكر عالمى آخر هو الفيلسوف الانجليزى المعاصر «برتراند رسل» الذى سيشرح لنا بدوره موضوعات امتع من سابقتها وأروع ، ومنها : كيف تقهر الحسد ، كيف تقاوم القلق والخوف ، كيف تفهم أسرتك ، كيف تستمتع بالحياة والحب والعمل ، كيف تنجح بغير كفاح !.. الخ

غزو السعادة لبرتراند رسل



كيف تقاوم الحسد.. والغيرة .. والشعور بالاضطهاد!



أربعة أسباب للشقاء ..

◆ هل تحس أحيانا بالحسد نحو الآخرين ، أو تحس أنك أنت نفسك موضع حسد الآخرين ؟.. وهل تقاسين ياسيدتي من مرارة شعورك بالغيرة من الاخريات اللواتي يتفوقن عليك في ناحية من نواحي الاستمتاع بالحياة .. أو شعورك بغيرة الاخريات منك ، لهذا السبب او ذاك ؟

وهل تمر بك لحظات - أيها القارىء ، أو القارئة - ينغص فيها عيشك شعورك بالاثم أوالخطيئة ، سواء كان مبعث هذا الشعور اثمك في حق زوجك ، أو والديك ، أو أولادك ، أو صديق من أصدقائك ، او رئيس خدعته .. أو مرءوس ظلمته ؟

أو هل يفسد عليك حياتك ، احساسك بأنك مغبون مضطهد ، في عملك ، أو بيتك ، أو في المجتمع عامة ، من الناس أجمعين ؟

اذا كنت واحدا ، أو واحدة ، من هؤلاء - وأنت لابد منهم - فلتقرا هذا الفصل الذى يحاول فيه مؤلفه أن يأخذ بيدك الى طريق السعادة :

١ - الحسد .. والغيرة !

داء في الكبار والصغار على السواء !

◆ **الحسد** ، والغيرة (وهى نوع من الحسد) من الاحاسيس التى تتأصل جذورها فى جميع النفوس البشرية على الاطلاق.. بل انها تظهر جلية فى الاطفال قبل أن يتموا العام الاول من أعمارهم ، ومن واجب كل مرب - أو مربية - أن يعالجها فى اهتمام ورفق ، فان الطفل سريعا ما يلاحظ ويتأثر بأتفه مظهر للايثار نبديه فى معاملتنا لاى طفل آخر .. ولذلك يخلق بكل من له علاقة بالاطفال أن يحرص على العدالة فى توزيع انصافه عليهم فى دقة ومساواة تامة !

على أن الاطفال لا يزيدون - الا قليلا - عن الكبار فى اظهار الحسد والغيرة بجلاء وصراحة .. ذلك لان هذا الشعور يجيش فى نفوس الكبار وفى نفوس الصغار على السواء ..

ومن طريف أمثلة ذلك ان احدى خادماتنا كانت متزوجة ، فلما قدر لها أن تحمل، رأينا أن نجنبها رفع الاشياء الثقيلة ٠٠ فكانت أول نتيجة لذلك ان جميع خادماتنا الاخريات أبين أن يحملن أشياء ثقيلة ، فكنا نضطر الى حملها بأنفسنا !

والحسد هو القاعدة التي استندت اليها الديموقراطية في قيامها! فقد جبلت النفس البشرية على النفور من أن يكون فوق الانسان سيد أو رئيس من بني البشر مثله ٠٠ ولا شك أن أكثر «الانقلابات» السياسية مبعثها الحسد !٠٠ والذى يقرأ مذكرات الساسة من غلاة الديموقراطيين ، يرى انهم ما أصبحوا من الغلاة الا لحيف أو اهانة لحقت بهم يوما من بعض ذوى النفوذ أو الارستقراطيين !

غيرة النساء ٠٠ مرة !

وللحسد دور كبير بين النساء ذوات المكانة المتوسطة ٠٠ ولو انك راقبت النساء فى عربة « الترام » وقد أقبلت امرأة تسير خلال العربة ، لوجدت أعينهن جميعا ـ اللهم الا أولئك اللائى يرتدين ثيابا خيرا من ثيابها ـ قد تطلعت الى المرأة القادمة ، تتأملها فى خبث ، محاولة أن تنتقص من شأنها، وان تبدى لها ازدراء ! ٠٠ وهناك مظهر آخر لهذا الخبث العام ، هو « حب الفضائح » ، **فأنت تجد النساء مستعدات لان يصدقن أية قصة ضد أية امرأة ، ولو كانت غثة لا تقوم على أساس ! ٠٠ والاخلاق السامية عندهن ذات وجهين: فهن يحسدن اللاتى أوتين الفرصة لكى يرتكبن الخطايا ٠٠ وهن يرين فى الوقت نفسه ان الفضيلة تطالب بمعاقبة هؤلاء الخاطئات !**

والشىء ذاته يلاحظ بين الرجال ، فيما عدا فارق واحد : هو ان كل امرأة ترى فى جميع من عداها من النساء منافسات ومزاحمات ، فى حين ان الرجال لا يمارسون هذا الشعور الا ازاء أبناء مهنتهم فقط ٠٠ فلو انك اندفعت دون روية الى امتداح

فنان لدى فنان آخر ، أو خبير بآثار المصريين لدى خبير بالآثار ذاتها ، أو سياسى لدى سياسى من نفس حزبه ، لاثرت فى نفس سامعك بركانا من الغيرة !

الاعجاب « ترياق » الحسد !

والحسد هوأتعس الخصال التى تلازمطبيعة الانسان العادى، فان الحسود لا يقنع بتمنى الشقاء والنحس لغيره ، وخلقهما كلما استطاع ، ولكنه يشقى نفسه أيضا بهذا الحسد ٠٠ فهو بدلا من أن يستمد السرور مما أوتى من خير ، نراه يستمد العذاب من الخير الذى أوتيه سواه ! ٠٠ ولو استطاع لحرم الآخرين مما وهبهم الله من خيرات بدلا من أن يسعى ليحرز لنفسه نصيبا منها ٠٠ **ولو تركت هذه العاطفة على غاربها لكانت خطرا على كل ألوان التفوق ، بل وعلى كل استغلال نافع للمهارة النادرة ، ولامكن للمرء أن يقول : لم يذهب الطبيب فى سيارة لعيادة مرضاه ، فى حين يسير العامل على قدميه الى مقر عمله ؟ ٠٠ ولم يسمح للعلامة العاكف على البحوث أن يقضى وقته فى غرفة دافئة ، بينما يتحمل سواه قسوة الطقس وتقلباته ؟** ٠٠ ان الحسد يأبى أن يجد تبريرا لهذه التفرقة٠ ولكن حسن الطالع شاء ان يكون فى الطبيعة الآدمية شعورا مقابلا يهب العوض والتسرية ، وذلك هو الاعجاب ٠٠ فمن شاء أن ينمى السعادة البشرية حق عليه أن يرجو تزايد الاعجاب وتضاؤل الحسد ٠٠

هل للحسد علاج ؟

◆ **وقد** تسأل : ولكن ما هو علاج الحسد ؟ ٠٠ ان التجرد من الانانية هو خير علاج٠٠ولكنه غير ميسور الا لمن كان قديسا٠٠ بل ان القديس قد يحسد غيره من القديسين أحيانا !

على ان العلاج الاوحد الذى يحمى الرجل العادى أو المرأة من الحسد هو السعادة ٠٠ ولكن المشكلة هي ان الحسد في حد ذاته

عقبة كأداء فى سبيل السعادة ! **وعندى ان الحسد يشتد وينمو بسبب تعاسات الطفولة ، فالطفل الذى يجد ان أخاه أو أخته موضع التفضيل والايثار دونه ، يتعلم عادة الحسد ، فاذا ماانطلق فى ميدان الحياة ، كان همه أن ينقب عن المظالم التى تنصب عليه ٠٠ وهو يراها فى الحال اذا قدر لها أن تحدث ، أو يتوهمها اذا لم يكن لها وجود !** ٠٠ ومثل هذا الرجل لا مناص له من أن يعيش شقيا ، وان يكون مصدر ازعاج ومضايقات لاصدقائه ٠٠

ومن بلايا الطفولة التى تؤدى الى نفس النتيجة ، أن ينكب الطفل بأبوين لم يؤتيا قدرا كبيرا من الشعور الابوى ، فهو لا يملك الا أن يلاحظ أن أطفال الاسرات الاخرى ينعمون بنصيب من محبة الام والاب فوق ما يحظى به ، فلا يلبث أن يكره الاطفال الآخرين ، كما يكره أبويه ! ٠٠ والواقع أن من ألوان السعادة ما يكون من الحقوق الطبيعية للانسان منذ مولده ، فاذا حرم منها لم يكن مناص من أن تمتلىء نفسه مرارة وأن تلتوى به المسالك ٠٠

استمتع بالنعم التى فى يدك ٠٠ ولا تقارن !

◆ **وقد** يكون من الخطل أن نقول للحسود ان علاجه فى أن يكون سعيدا ، دون أن نرشده الى السعادة٠٠ ولكن ادراك المرء أسباب شعوره بالحسد ، خطوة هامة نحو الشفاء ٠٠ ومن هذه الاسباب التى يخلق به ادراكها ان اعتياده المقارنة بين أحواله وأحوال سواه هو من أسوأ العادات الهدامة ٠٠ **فخليق بالمرء أن ينعم بالمباهج التى يصادفها ، دون أن يفكر فى انها أقل بهجة مما يحتمل ان يصادف سواه ، فان هذا التفكير كفيل بأن يفسد عليه الاستمتاع بالنعم التى فى متناوله٠٠ والعاقل لا يضيع على نفسه الهناء لمجرد ان سواه أوتى أشياء أفضل مما أوتى هو** ٠٠ فالحسد ـ فى الحقيقة ـ نوع من الرذيلة الخلقية والفكرية ،

قوامها ان لا يرى المرء الاشياء على حقيقتها ، وانما يراها كما هى بالنسبة لسواه ٠٠ ومن ثم فالعلاج الصحيح للحسد هو فى ترويض الذهن على التفكير المنتظم ، وتعود اهمال الافكار التى لا جدوى من ورائها ٠٠ فلو اننى فكرت فى أن ثمة من ينال ضعف مرتبى ، وفكر هذا فى أن سواه ينال ضعف مرتبه ، وهكذا ، ما قامت للسعادة قائمة ٠٠ ولنذكر ان « نابليون » كان يغبط قيصر ، وان « قيصر » كان يغبط الاسكندر ٠٠ واذا أطرد القياس قلت ان الاسكندر بدوره كان يحسد هرقل ٠٠ فى حين ان هرقل لم يكن له وجود !٠٠ وهكذا أنت ، ان تمشيت مع الحسد لم تعدم فى التاريخ خرافة عن انسان كان أكثر منك نجاحا ، فلا تجد لحسدك نهاية ٠٠ **بينما أنت تستطيع أن تتخلص من الحسد اذا استمتعت بما يصادفك فى حياتك من مسرات، واذا أنت أديت العمل الذى يجب عليك أداؤه وتحاشيت المقارنة بين حالك وحال من تتوهم انهم أكثر منك حظا ، وهم قد لا يكونون سوى شخصيات خيالية وهمية ٠٠ أو قد يكونون أتعس منك حالا ، دون أن تعلم !**

والتواضع فضيلة ، ولكنى أرى ان التطرف فيه يجرده من هذه الصفة ٠٠ فالمتواضعون يحتاجون عادة الى قدر كبير من الثقة والاعتداد ، ومن ثم فهم لا يجرأون على الاقدام على مهام يستطيعون – فى الواقع – أداءها ٠٠ وهم يعتقدون ان وهج أضواء من يعملون معهم يطغى فيحجب أضواءهم ، ومن ثم فهم عرضة لان يميلوا بوجه خاص الى الحسد ، ثم – خلاله – الى الشقاء وسوء القصد ٠٠

ايمانك بنفسك يحميك من الحسد !

وفى رأيى انه يخلق بنا ان نربى الصبى على الايمان بمهارته وصلاحيته ٠٠ ألا ترى ان أفراد الطاووس هى أكثر الطيور سلاما وطمأنينة ، لان كل طاووس يميل الى الاعتقاد بأنه أوتى أجمل ذيل فى العالم ، ومن ثم فهو لا يحسد أخاه !؟٠٠



ولو ان الطاووس حسد زميلا على ذيله، لزين له ذلك ان ينزع منه بعض ريشه ، أو ان يوقع به فى شرك ٠٠ ومن هنا تبدأ سلسلة من المنازعات والمشاكل لا نهاية لها ٠٠ أما حين يرى كل طاووس انه أفضل من سواه، فلا تغدو ثمة حاجة للكبت والحقد ٠٠ وما ينجم عنهما !

ومن الطبيعي ان الحسد وثيق الصلة بالمنافسة ، والتقارب بين طبقتى الحاسد والمحسود ٠٠ فنحن لا نغبط سعيدا نعتقد انه بعيد عن متناولنا ، وانه يفوقنا فى طبقته بكثير ٠٠ وفى المجتمعات التى كانت تسودها ديكتاتورية الطبقات العليا، كانت الطبقات الدنيا لا تحسد الطبقات المترفة ، لانها كانت تؤمن بأن الفوارق بين الغنى والفقير فرضت بارداة الله ٠٠ **والمتسول قد يحسد متسولا أكثر منه توفيقا ، ولكنه أبدا لا يغبط أصحاب الملايين !**

الديمقراطية زادت الحسد !

ولقد أدى عدم استتباب الاوضاع الاجتماعية فى العالم الحديث ، ونمو مبادىء المساواة التى تدعو اليها الديموقراطية والاشتراكية ، الى اتساع مجال الحسد ٠ وهو أمر يبدو لاول وهلة شرا ، ولكنه شر يجب احتماله فى سبيل الوصول الى نظام اجتماعى عادل صحيح ٠٠ فاذا ما بحثت حالات عدم المساواة على ضوء العقل والحكمة ، تكشف انها تنطوى على غبن ، مالم تستند الى تفوق فى المواهب والخصال ٠٠ واذا ما ثبت انها غبن فلن يكون ثمة علاج للحسد الذي يترتب عليها الا بمحو هذا الغبن ٠٠

ومن ثم فعصرنا عصر يقوم فيه الحسد بدور كبير ذى أهمية بالغة : فالفقير يحسد الغنى ، والامم الفقيرة تحسد الامم الغنية، والنساء يحسدن الرجال، والنساء الفاضلات يحسدن أولئك اللائى تخلين عن الفضيلة ولكنهن لم يلقين عقابا ! .. الخ

ومع انه من الصحيح ان الحسد هو الحافز الاول لتحقيق العدالة بين الطبقات المتفاوتة ، والامم المتباينة ، والاجناس المختلفة ، الا أنه من الصحيح أيضا ان العدالة التى ترجى من وراء الحسد هى أسوأ أنواع العدالة ، لانها تعمل على تقليل نعم المحظوظين بدلا من أن تزيد ما لدى غير المحظوظين منها !..

والاحاسيس التى تؤدى الى التهلكة فى حياة الافراد ، كفيلة بأن تشيع الهلاك فى الحياة العامة أيضا .. ومن ثم لا يجدر ارتقاب الخير من شر كالحسد ..

الحسد قد يكون مبعثه عامل « جنسى » !

والشرور متصلة مترابطة فيما بينها ، بحيث ان الواحد منها قد يكون سببا للآخر .. ومن أظهر الامثلة لذلك : التعب ، فهو كثيرا ما يؤدى الى الحسد .. فالمرء اذا أحس انه غير صالح للعمل الملقى على عاتقه ، أحس بسخط عام يظل يزداد حتى يتخذ شكل الحسد ازاء أولئك الذين لا يستدعى عملهم كل ما يتطلبه عمله من ضنى وارهاق..لذلك كان من وسائل تخفيف الحسد أن نسعى الى تخفيف التعب ، وأسباب التذمر على وجه العموم ..

على ان الاهم من ذلك بكثير ، أن نسعى الى تحقيق حياة تكفل ارضاء الغرائز ، اذ ان كثيرا من الحسد ـ الذى يبدو منبعثا من العمل ـ يرجع فى أصله الى مبعث جنسى .. فالرجل السعيد فى زواجه ، الهانىء بأطفاله ، لا يراوده الحسد نحو غيره ممن أوتوا نصيبا من المال أو النجاح أكثر مما أوتى ، طالما كان لديه ما يكفى لتربية أطفاله كما يرجو ويحب .. وهكذا

٠٠ والواقع ان المستلزمات الاساسية للسعادة الانسانية أبسط بكثير مما يتصور المتحذلقون ٠٠ فالنساء اللاتى يرقبن فى حسد كل امرأة تفوقهن أناقة ، انما يفتقدن السعادة التى تنقصهن فى حياتهن الغريزية ٠٠ ولسوف تظل المدنية الحديثة مهددة بالانهيار تحت زوابع الحقد والكراهية ، ما لم تعالج مشكلة السعادة الغريزية ٠٠ لقد كان النـــاس فى الماضى لا يحسدون سوى جيرانهم لانهم لم يكونوا يعرفون عن غيرهم الا القليل ٠ أما اليوم ، فقد عرفوا ـ خلال التعليم والصحافة ـ الكثير من المعلومات المبهمة عن الطبقات العليا من البشر التى لا يتصلون بأحد من أفرادها ٠٠ ولقد خيل اليهم ـ مما يرونه فى «السينما» مثلا ـ انهم عرفوا كيف يحيا الاغنياء ٠٠ وتعلموا من الصحافة الكثير من خبايا الامم الاخرى ٠٠ وأدخلت حملات الدعاية فى روعهم ان كل من لم يؤتوا بشرة بلون بشرتهم ، مخلوقات فظيعة بشعة ، فكانت النتيجة ان كره الصفر البيض ، وكره البيض السود ، وهكذا ٠٠ والمعروف ان الدعاية التى هدفها اثارة البغضاء أسهل بكثير من الدعاية التى هدفها اثارة الـــود ٠٠ **وما ذلك الا لان المدنية الحديثة جعلت قلب الانســـان أكثر استعدادا وميلا للبغضاء منه للمودة ٠٠ وهو لم يصبح كذلك الا لانه غير راض ولا قانع ٠٠ لانه يحس فى قرارته ـ ولعله يحس دون أن يعى ـ انه ضل عن معنى الحياة ٠٠ وان الغير ـ الذين يقلون عنه فى الجـدارة ـ ربما كانـوا أكثر منه توفيقـا فى الحصول على أطيب ما تقدم الطبيعة من نعم للانسان !**

ومن ثم فالحسد وان كان شرا فى حد ذاته ، ورهيبا فى آثاره ، الا أنه ليس من صنع الشيطان وحده ٠٠ انه جزء من التعبير عن الالم ، والتذمر ، والشعور بالغبن ٠٠ ولابد للانسان المتمدين من أن يوسع قلبه ـ كما وسع عقله ـ ان شاء أن يهتدى الى طريق السعادة ٠٠

٣ ـ الشعور بالاثم والخطيئة !

◆ **هناك** تحليل نفسى دينى قديم للخطيئة ـ لا يقره علماء النفس الحديثون ـ هو ما كان شائعا ، لا سيما بين طائفة البروتستانت أتباع مذهب (لوثر) ، من أن الضمير هو الحكم الذى يبين للانسان ما اذا كان العمل الذى يميل الى أتيانه خطيئة أم لا ٠٠ فاذا اقترفه الشخص بعد ذلك تولاه أحد شعورين : أما الندم ـ وليس له من جزاء ـ وأما التوبة ، وهى كفيلة بمحو الذنب ٠٠

ولكن الامر أصبح على العكس فى أيامنا هذه ، ولعل لعلم التحليل النفسى نصيبا من الفضل فى ذلك ، الى جانب ضعف سلطان التقوى فى هذا العصر ٠٠ على أية حال فانه لم يعد للضمير ذلك الغموض الذى كان يوحى الى الناس بأنه صوت الله !

الضمير : هل هو خوف أم تورع ؟

وقد تتساءل : ما هى حقيقة ما يجرى فعلا حين يخز الضمير انسانا ؟

ان كلمة « ضمير » تشمل بطبيعتها عدة مشاعر متباينة ، أولها « خوف الانكشاف » ، فالشخص الذى ارتكب يوما تصرفا يستوجب العقاب ، تجده يندم على جرمه حين يحدق به خطر الافتضاح ٠٠ ولست أزعم ان هذا ينطبق على اللص المحترف ، ولكنه ينطبق على المذنب المحترم ، كمدير المصرف الذى يضطر الى الاختلاس فى لحظة من لحظات الشدة والحرج ٠٠ أو رجل الدين الذى أغوته الشهوة ، فمثل هذين الرجلين ينسى جرمه حين تكون فرص الافتضاح ضئيلة ، أما اذا هدده خطر الانكشاف ، فانه يسارع الى الندم ، أو بعبارة أخرى

يتمنى لو كان أكثر استقامة وتقوى ، وهذه الامنية تضاعف من هول ذنبه على نفسه ·· ويتحالف مع هذا الشعور شعور آخر هو الخوف من أن يغدو المرء منبوذا ·· فالرجل الذى يلجأ الى الغش فى اللعب ، أو يخفق فى سداد ديونه فى الميسر ، لا يملك ما يمكنه من أن يصمد أمام استياء زملائه اذا ما انكشف أمره ·· وعلى العكس من ذلك الرجل المتحرر من سلطان الدين ، أو الفوضوى ، أو الثورى ، فكلهم لا يعبأون بما تكون عليه مصائرهم فى الحاضر ، لانهم يعتقدون ان المستقبل سوف يعوضهم عما يلقون فى حاضرهم من هوان ·· وهذا الصنف من الرجال وان عادى المجتمع ، الا أنه لا يحس باثم ولا جريرة ، فى حين ان الرجل الذى يتقبل ما اصطلح عليه المجتمع من قواعد الخلق ثم يعمل ضد هذه القواعد ، لا يتمالك ان يعانى شقوة بالغة اذا ما فقد مكانته ·· فان الخوف من هذه النكبة ، أو عذابها اذا وقعت ، يجعله يرى أعماله اثما وخطايا !

على أن الشعور بالخطيئة يذهب الى أبعد من كل ما ذكرنا ، فان جذوره تتغلغل فى العقل الباطن ، فيدرك المرء أن بعض الاعمال ذنوب أو خطايا لغير ما سبب ظاهر ·· فاذا ما ارتكبها يوما ، أحس بشىء من عدم الارتياح دون أن يدرك له سببا ·· ومن ثم يسير فى الحياة وقلبه مثقل بالشعور بالذنب !

أضرار التعاليم الخاطئة فى الصبا ··

◆ **وليس** مبعث كل ذلك فى الواقع سوى التعاليم الخلقية التى يتلقاها المرء قبل أن يبلغ السادسة ، سواء من أمه أو مربيته ·· فهو يتعلم ان السباب نقيصة ، وان الخمور لا يتعاطاها سوى الرجل الفاسد ، وان التدخين لا يتمشى مع مبادىء الفضيلة السامية ·· كذلك يلقن ان المرء لا ينبغى له أن يكذب ·· **وأهم من ذلك كله ، يلقن ان كل اهتمام بالاعضاء الجنسية يعتبر منكرا شنيعا ·· ثم هو يعرف ان هذه آراء أمه ،**

وانها تلقتها عن الخالق ، فلكى يكتسب عطف أمه - أو مربيته اذا كانت أمه تهمله - يسعى جاهدا لكى لا يجرم ضد القوانين الخلقية ٠٠ ومع تقدمه فى مدارج العمر ، ينسى المصدر الذى أخذ عنه هذه القوانين ، شيئا فشيئا ، كما ينسى العقوبة التى تحل بمن يعصاها ، ولكنه أبدا لا يطرح عنه هذه القوانين أو يكف عن الشعور بأنه كان معرضا لشىء رهيب لو انه خرقها٠٠

والواقع ان القسط الاوفر من التعاليم الخلقية التى نتلقاها فى الطفولة لا يستند الى أسس معقولة أو الى أصل ، ولا سبيل الى تطبيقها فى المسلك العادى للشخص العادى ٠٠ فالرجل البذىء قد لا يكون - من بعض النواحى الاخرى - أسوأ من الرجل العف اللسان ٠٠ ومع ذلك فان كل انسان حين يحاول أن يتصور قديسا ، لا يملك فى الواقع الا أن يعتبر الصدوف عن فحش القول من الصفات اللازمة للقديس ٠٠ وكذلك الحال بالنسبة للخمور والتدخين ٠٠ ومع ان التبغ لم يكن قد عرف فى عهد الحواريين والقديسين، الا أن المرء فى تصوره للقديس لا يملك الا أن يرتقب منه أن يكون عزوفا عن التدخين ، ولعل تعليل ذلك يستند الى فكرة ان القديس يزهد فى أى شىء ينطوى على متعة له ، وهذا العنصر التقشفى فى قوانين الاخلاق العادية ، انما تسرب الى نفس المرء دون أن يشعر، نتيجة للتعاليم التى تلقاها فى صباه ٠٠

الكذب الابيض !

◆ **ومن** ناحية الكذب ، لا أنكر ان فى العالم الآن كذبا أكثر مما ينبغى ، وانه يخلق بنا أن نعمل على الاستزادة من الصدق، ولكننى - وأعتقد ان كل عاقل يقرنى على ذلك - أنكر ان الكذب بغيض فى جميع الظروف على الاطلاق ٠٠ فهناك ظروف قد يكون فيها الكذب أجدى من الصدق ، وأنفع للانسانية ٠٠

على أن التعاليم الخلقية التى نتلقاها فى الصغر لا تضر فى شىء قدر ما تضر فى ناحية المسائل الجنسية ٠ فالطفل الذى

يتعلم على أبوين أو مربية من المتزمتين ، لا يكاد يبلغ السادسة حتى تكون العلاقة بين الخطيئة وبين الاعضاء التناسلية قد توثقت فى نفسه ، فلا يكاد يجد منها فكاكا بعد ذلك طوال عمره ! ٠٠ والشعور بهذه العلاقة يزداد قوة بظهور ما يسميه علماء النفس عقدة « أوديب » ـ وهى أن يهيم الابن بأمه أو البنت بأبيها ٠٠ فتكون المرأة التى أحبها الشخص من طفولته هى الوحيدة التى يستحيل عليه أن يطلق لعواطفه الجنسية العنان معها ! ٠٠ وينشأ عن ذلك ان يشعر البالغون ان العلاقات الجنسية تشين النساء ، فلا يحترمون زوجاتهم الا اذا كن يعفن الاتصال الجنسى وينفرن منه ٠٠ هذا ، فى حين ان الرجل الذى يلمس فى زوجته برودا جنسيا ، لا يلبث أن يتجه بغريزته الى محاولة ارضاء غرائزه عند سواها ٠٠ والرضى الذى يناله فى هذه الحال ـ وان استطابه مؤقتا ـ لا يلبث أن يتسمم بالشعور بالذنب ٠٠ ومن ثم فهو لا يحظى بالسعادة فى علاقته مع أية امرأة ، سواء فى الزواج أو خارج نطاقه ٠٠

التزمت فى التربية يفسد المتعة الحلال !

والشىء نفسه يقال عن المرأة التى تربى على الاسراف فى الاعتداد ب « طهارتها » ، فهى تكبح نفسها بالفطرة عن العلاقات الجنسية مع زوجها ، وتكره أن تجد فيها متعة ما ! ٠٠ على ان التعليم الحديث قد هبط بنسبة هذا الصنف من الرجال والنساء فى أيامنا ٠٠ والطريقة المثلى للتربية فى هذا الصدد بسيطة سهلة : فحتى يقترب الطفل من سن البلوغ ، يجب أن لا يلقن شيئا من المبادىء الخلقية المتعلقة بالجنس ، بل يجب تفادى الايحاء اليه بأن أيا من الوظائف الطبيعية للجسد موضع زراية واستهجان ٠٠ فاذا ما اقترب الوقت الذى يجب أن يتلقى فيه الصغير التربية الجنسية، فعليك أن تحرص على أن تكون كل نقطة تزجيها اليه مستندة الى أسس صحيحة ، ومما يستسيغه العقل ٠٠

والشعور بالخطيئة أشد ما يكون ظهورا وقوة حين يكون التعب أو المرض أو الخمر أو سواها قد أوهنت عزيمة العقل الباطن .. وخليق بك – حينما تشرع فى الشعور بالندم لعمل ينبئك « عقلك » انه فى الحقيقة غير منكر ، ان تستعرض أسباب هذا الشعور وتقنع نفسك فى جلاء بأنها أسباب سخيفة ، تافهة .. واحرص على أن تكون معتقدات عقلك الواعى من القوة بحيث تؤثر على عقلك الباطن بنفس القوة التى أثرت عليه بها تعاليم مربيتك أو أمك فى صغرك .. واذا ما اقتنعت بتفاهة هذه التعاليم فلا تتردد فى أن تقتلع جذورها من عقلك الباطن ، ولا تخشين فى ذلك اساءة الى ذكرى أولئك الذين كانوا يسيطرون على طفولتك ! .. اذ يكفى أن تتصور مدى الخرافات التى يتلقاها المرء قبل نضوجه والتى تشترك فى تكوين الرجل الفاضل – على ما قضى به العرف – ثم تصور كيف انه فى الوقت الذى أحتيط فيه بقرارات المنع والحظر السخيفة ضد كل أنواع الاخطار الخلقية «الموهومة» ، أغفلت كل الاخطار الخلقية الحقيقية التى يتعرض لها الشخص البالغ فعلا ..

هناك ذنوب أكثر ضررا مما لقنونا فى صبانا

◆ **ولكن** ، ما هى هذه الاخطار أو الاعمال الضارة فعلا التى يميل المرء العادى الى ارتكابها ؟ .. اليك بعضها : عمليات الاحتيال فى الاعمال التجارية (من النوع الذى لا يعاقب عليه القانون !) ، والخشونة مع المستخدمين ، والقسوة على الزوجة والابناء ، والشر ضد المنافسين ، والشراسة في المعارك السياسية **.. هذه كلها ذنوب ضارة شائعة بين المواطنين المحترمين ذوى المكانة ، وبوساطتها ينشر المرء التعاسة فى محيطه ، ويساهم فى القضاء على المدنية .. ومع ذلك فهى ليست من الاشياء التى تجعله – اذا مرض – يرى نفسه منبوذا حرم من كل عطف آلهى ! .. لا ولا هى من الاشياء التي تجعله يرى فى منامه طيف أمه ينحني فوقه مؤنبا ؟ .. وما ذلك الا لانها لم تكن بين**

الممنوعات التى تضمنها قانون الاخلاق الذى لقنه وهو صغير !
•• والواقع ان قانوننا الخلقى ليس له من القانون سوى اسمه ، وهو من وضع كهنة ونساء ترسف عقولهن فى أغلال العبودية ، وقد آن الاوان لاولئك الذين يضطلعون بدور عادى فى الحياة العادية للعالم ، أن يتعلموا كيف يتمردون على هذا الهراء السقيم ••

لابد من التخلص من خرافات الطفولة !

ولكن هذا التمرد لن ينجح فى اجتلاب السعادة الفردية وتمكين الانسان من أن يعيش وفقا لمنهج مستقر ثابت بدلا من التذبذب بين اتجاهين ، الا اذا فكر المرء تفكيرا عميقا ، وأحس احساسا عميقا ، بما ينبئه به العقل •• فان بعض خرافات تعاليم الطفولة تظل كامنة مستخفية فى أعماق النفس ، ولابد من التخلص منها لتوطين أى اعتقاد جديد أدى التفكير المنطقى السليم الى الاقتناع به •

ولست أدعو الى الكفر بالاخلاق ، ولكننى أقترح الكفر بالخرافات الخلقية ، التى تختلف عن مبادىء الاخلاق اختلافا بينا ••

وحتى فى حالة خروج الانسان عن القوانين الخلقية التى لقنها فى صباه ، والتزامه مبادىء جديدة استنها لنفسه نتيجة التفكير السليم ، **لا أرى ان الافراط فى الشعور بالذنب والخطيئة منهج حسن الى حياة أفضل •• ذلك لان فى الشعور بالاثم نقص لاحترام النفس •• وهو أبعد من أن يؤدى الى حياة طيبة ، بل انه على العكس يخلق فى الانسان الشعور بالنقص** •• وكما ان شقاءه يجعله يثقل على الناس ، مما يحرمه من الاستمتاع بسعادة العلاقات الشخصية •• فكذلك الشعور بالنقص يجعله يحس ضغينة نحو من يبدو له انهم أكمل منه •• ومن ثم يشق عليه أن يعجب بسواه ، بينما يسهل عليه الحسد ، فلا تلبث صحبته أن تغدو ممقوتة ، ولا يلبث شعوره بالعزلة أن يزداد ••

٣ - الشعور بالاضطهاد والظلم

◆ **يعتبر** الشعور المتهوس بالاضطهاد - اذا تطور الى أكثر أشكاله تطرفا - نوعا من الجنون ·· فمن الناس من يتصورون ان سواهم يسعون لاغتيالهم ، أو لسجنهم ، أو لالحاق الاذى البالغ بهم ·· وكثيرا ما تدفعهم الرغبة فى اتقاء الاضطهاد الموهوم ، الى أعمال تنطوى على العنف ، وتستوجب تقييد حريتهم ··

ولست أعتزم بحث الحالات المتطرفة ، وانما أنا بصدد الحالات المتوسطة ، لانها كثيرا ما تسبب الشقاء ، ولانها لا تكون قد تمادت الى درجة الجنون ، ومن ثم فمن الميسور علاجها اذا ما أمكن اقناع المريض بأن يفحص متاعبه بصراحة تمكنه من أن يستدل على أصولها الكامنة فى نفسه ، لا الناشئة عن عداء الآخرين أو قسوتهم فعلا ··

ولعل من المألوف لدينا ذلك الصنف من الناس - رجالا كانوا أو نساء - الذين لا يفتأون يشكون من أنهم ضحايا للجحود ، والقسوة ، والخيانة ·· وهم عادة لبقون فى تصوير ذلك الى درجة غير عادية ، مما يجعلهم يكتسبون العطف والرثاء من اناس قد لا ترجع معرفتهم بهم الى عهد بعيد ·· ولو اننا أخذنا كل حال على حدة لما وجدنا فيها شيئا بعيد الاحتمال، فان سوء المعاملة الذى يشكونه دائم الحدوث دون ما ريب ·· ولا يثير شكوك المستمع فى النهاية الا تعدد أهل الشر الذين شاء سوء الطالع للمشتكى أن يلتقى بهم ·· فان انصباب سوء المعاملة من الجميع على شخص واحد - فى وسط ما - انما يقوم دليلا على ان السبب ينحصر غالبا فى ذلك الشخص ، وعلى انه



أما واهم فيما يشكو منه من اساءات ، أو انه يصدر من التصرفات – دون وعى – مايثير الناس ضده ٠٠ لذلك يرتاب أهل التجربة فى أولئك الذين يلقون – حسب روايتهم – سوء المعاملة على طول الخط ، ولا يلبثون بانصرافهم عن العطف عليهم ان يوقروا فى نفوس أولئك المتهوسين ان العالم كله ضدهم حقا

وهكذا نرى المشكلة عويصة محيرة ٠٠ لان الداء يشتد بالعطف وبالحرمان من العطف، على السواء ٠٠ **والشخص المعرض للاصابة بهوس الاضطهاد ، لايلبث اذا وجد من يصدق قصة يرويها عن سوء طالعه ، أن يؤكد تلك القصة ويكررها حتى يصل به الامر الى أن يصدقها ٠٠ أما اذا قوبل بالتكذيب – أو عدم التصديق – فانه يتخذ من ذلك مثالاآخر على تعمد البشر أن يختصوه بالقسوة !** ٠٠ ومن ثم فالداء لا سبيل الى علاجه الا بالتفاهم ، ولابد من أن يزجى هذا التفاهم الى «المريض» لكى يكون له أثر نافع ٠٠

وسأحاول هنا أن أورد بعض ارشادات عامة يتمكن بها كل فرد من أن يتبين عناصر الشعور بالاضطهاد فى نفسه – اذ أنه شعور كامن فى كل نفس تقريبا ، وان تفاوتت درجاته – ومن ثم يعمل على ازالتها ٠٠ وهذه مرحلة هامة فى غزو دنيا السعادة !

عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به !

◆ **من** أكثر أنواع السخف – وعدم التعقل – شيوعا وانتشارا، ما يتخذه المرء عادة من مسلك ازاء الشائعات الخبيثة ٠٠ فقليل

من الناس أولئك الذين يستطيعون أن يقاوموا الاقبال على قول السوء ضد معارفهم ، بل وضد أصدقائهم أحيانا ، ومع ذلك فانهم سرعان ما تأخذهم العزة اذا سمعوا قالة السوء ضد أنفسهم .. كأنما لم يخطر لهم قط ان سواهم سوف يتقول عنهم كما يتقولون بدورهم عن غيرهم ! .. **ذلك لاننا طبعنا على أن نرتقب من الناس ما نشعر به نحو أنفسنا من حب وحنان واحترام بالغ ، دون أن يخطر لنا أنه لا ينبغى أن نتوقع من الناس أن يفكروا فينا بخير مما نفكر فيهم ، وما ذلك الا لان فضائلنا تبدو لنا واضحة ، ضخمة ، فى حين ان فضائلهم – ان وجدت لهم فضائل – لاتبدو لغير العين التى تنظر اليهم فى رضى!**
.. فأنت اذا سمعت ان فلانا قال عنك نكرا ، تتذكر التسع والتسعين مرة التى امتنعت فيها عن أن تبدى ما هو أهل له حقا من انتقاد ، وتنسى المرة الواحدة التى سهوت فيها فجاهرت بما تظنه حقيقة عنه .. ولكنه هو الآخر ينظر الى تصرفه تحت نفس الضوء .. فهو لا يعرف شيئا عن المرات التى أمسكت فيها عن الخوض فى سيرته ، وانما يدرى بالمرة التى خضت فيها فعلا .. ولو ان كلا منا أوتى قوة سحرية تمكنه من قراءة أفكار الغير ، لكانت أولى نتائجها انفصام عرى الود والصداقة بين الجميع !

عندما نضحك على أنفسنا !

◆ **وينبعث** الشعور بالظلم دائما عن المغالاة فى تقدير مواهبنا .. فأنا قد أكون مؤلفا مسرحيا يرى من لم يعرف عنى نقيصة اننى أعظم كتاب المسرح فى هذا العصر ، ومع ذلك فقد لا تمثل مسرحياتى الا نادرا ، وهى اذا مثلت تمنى بالفشل .. فبماذا أبرر هذه الحال الغريبة ؟ .. ان أول سبب يتبادر الى ذهنى هو ان المخرجين والممثلين والنقاد قد اجتمعوا ضدى لسبب ما .. وهذا السبب غالبا ما يبدو لى على الضوء الذى يرضينى وينصفنى ، كأن أزعم لنفسى اننى عزوف عن تملق أقطاب المسرح ،

أو اننى أرفض مداهنة النقاد ، أو ان مسرحياتى تحمل من الحقائق عن حياتنا العامة ما لا يحتمله أولئك الذين يشتركون فى توجيه هذه الحياة ٠٠ وهكذا

وقس على ذلك موقف كل من يخال نفسه مغبونا فى الحياة ٠٠

ومن المصابين بهوس الشعور بالاضطهاد ، ذلك الصنف من محبى الانسانية ، الذى يصر على فعل الخير للناس ولو رغم ارادتهم ، ثم يعجب بعد ذلك لما يبدون من عدم تقدير لصنيعه٠ والواقع ان البواعث التى تدفعنا على فعل الخير ، قلما تكون بالنقاء الذى نخاله ٠٠ ذلك لان حب المباهاة شعور خداع ، يستتر دائما وراء غيره من العواطف ٠٠ وهو كثيرا ما يكون مصدر السرور الذى نستمده من فعل ما نعتقد انه خير لغيرنا

وهناك عنصر آخر يدخل فى «فعل الخير» للناس ، ويتمثل فى حقيقة الدوافع التى تجعلنا ننصحهم أحيانا بالامتناع عن بعض متعهم كالخمر أو المقامرة ٠٠ وهذه الدوافع قد تكون مشوبة بنوع من « الحسد » المستور لهم ، لكونهم استطاعوا أن يرتكبوا الموبقات التى نمتنع نحن عنها فى سبيل استبقاء احترام أصدقائنا لنا !

اعرف قدر نفسك !

ومن هذا كله ، نخرج بأربع حكم عامة ، تصلح ـ اذا ما استوعبت تماما ـ لتفادى « هوس » الشعور بالظلم ٠٠ وأول هذه الحكم هى :

« تذكر ان البواعث التى تحفزك على أى عمل ، ليست دائما خالصة من الانانية والاثرة، مقصورة على العمل لصالح الغير، كما تبدو لك ! »

أما الحكمة الثانية فهى : **« لا تبالغ قط فى تقدير أفضالك وجدارتك »**

وثالثة الحكم هى : « **لا ترتقب من الغير أن يهتموا بك قدر اهتمامك بنفسك** »

أما الرابعة والاخيرة فهى: «**لا تتصور ان معظم الناس يولونك من تفكيرهم القدر الذى يسول لهم الرغبة فى ظلمك أو اضطهادك**»

ان الرضى عن النفس ، القائم على خداع النفس ، لا يمكن أن يكون صلدا متينا ٠٠ ومن الخير مواجهة الحقيقة دفعة واحدة، مهما كانت مؤلمة ، ثم العمل بعد ذلك على بناء حياتك على هديها ٠٠

٤ ـ الخوف من رأى الناس !

◆ **يلى** هذا من أسباب الشقاء الرئيسية فى الحياة : الخوف من رأى الناس فينا وفى أعمالنا ! ٠٠ فالواقع انه قلما يشعر الانسان بسعادة ما لم يكن كل مسلكه فى الحياة ، ونظرته الى الدنيا ، مقبولة من أولئك الذين تربطهم به روابط اجتماعية ، لا سيما أولئك الذين يعيشون معه ٠٠

ومن الميزات البارزة فى مجتمعاتنا الحديثة ، انقسامها الى مجموعات تتباين أشد التباين فى معاييرها الخلقية ومعتقداتها ٠٠ فنرى جماعات تعجب بالفن ، بينما تراه جماعات أخرى رجسا من عمل الشيطان! ٠٠ بل ان الشيع تتباين فى الدين الواحد ، فتجد الكاثوليك ـ فى المسيحية ـ يحرمون الطلاق تحريما باتا ، فى حين ان معظم المذاهب غير الكاثوليكية تعتبره ضرورة لازمة لعلاج مشاكل الزيجات الفاشلة ٠٠

ومن جراء هذا التباين فى الآراء، قد يكون الشخص الذى أوتى ميولا ومعتقدات خاصة منبوذا اذا ما قدر له أن يعيش فى جماعة معينة ، فى حين انه يعتبر مخلوقا عاديا فى جماعة أخرى ٠٠ ومن هنا ينشأ قسط كبير من الشقاء المتفشى ، وخاصة بين الشباب ٠٠ فالشاب ـ أو الشابة ـ قد يلتقط آراء وأفكارا مما يصادفه ، ثم لا يلبث ان يجدها كفرا محرما فى الوسط الذى

يعيش فيه ٠٠ ومن المعتاد ان الشباب يعتقدون ان الوسط الذى يعيشون فيه، والذى عرفوه والفوه ، يمثل الدنيا بأسرها ٠٠ ومن ثم فهم لا يكادون يتصورون ان الآراء التى لا يجرؤون على البوح بها فى مجتمعهم خشية ان يعتبروا مارقين ، آراء يتقبلها مجتمع آخر على انها عادية ، من مقتضيات العصر ٠٠

وهكذا نرى ان الانسان يتحمل ـ أحيانا فى مرحلة الشباب فقط، وان لم يكن مستحيلا فى غيرها من مراحل العمر ـ تعاسة لا داعى لها ، نتيجة جهله بالدنيا ٠٠ وهذا يؤدى أيضا الى تبديد النشاط فيما لا لزوم له ، وأعنى العمل على الاحتفاظ بالاستقلال الذهنى فى البيئة المعادية لافكارنا ٠٠ وهذا يؤدى فى تسع وتسعين فى المائة من الحالات ، الى نوع من الجبن الذى يقعد بالمرء عن المضى وراء الآراء الى غاياتها ونتائجها المنطقية ٠٠

لا غنى لانسان عن عطف بيئته !

والواقع ان توفر العطف من جانب البيئة التى يعيش المرء فيها أمر لازم لتوفير السعادة لكل انسان تقريبا ٠٠ ومعظمنا قد نشأ فى بيئة مشبعة بالعطف والحنان ، فرسخت فى نفسه الآراء التعصبية والنعرات التى وجدها فى بيئته ، وتهيأت نفسه بالسليقة لاستيعاب المعتقدات والعادات السائدة فيما حوله٠٠

بيد ان هذا الانصياع للبيئة متعذر بالنسبة لاقلية كبيرة من الناس ، تضم بوجه خاص كل أولئك الذين أوتوا مواهب ذهنية أو فنية ٠٠ **ولنضرب لذلك مثلا بشخص ولد فى بلدة ريفية صغيرة ، فما لبث أن ألفى نفسه منذ الصغر محوطا بوسط يكره كل شيء يشحذ الفكر ٠٠ فهو ان مال الى قراءة الكتب الدسمة ، منى بالازدراء من أقرانه ، وأنذره مدرسوه بأن تلك المؤلفات تشتت معلوماته ! ٠٠ وان مال الى الفنون ، اعتبره أنداده رخوا مائعا ، وظنه الكبار مفسودا ٠٠ واذا شاء أن يختار لنفسه مهنة غير شائعة فى الوسط الذى يعيش فيه ـ مهما كانت محترمة ـ قيل له ان فى ذلك انحرافا وضلالا ،**

وان ما كان يصلح لابيه خليق بأن يصلح له ! ٠٠ ولو انه أبدى أتفه ميل لانتقاد معتقدات أبويه الدينيـــة ، أو اتجاهاتهمـا السياسية ، لسبب لنفسه المتاعب !

وقد يهتدى الشاب من هذا الفريق ـ اذا ما التحق بالجامعة ـ الى أنداد من صنفه ، فينعم بسعادة غامرة لبضع سنوات ٠٠ واذا كان حسن الحظ ، فانه لا يلبث اذا ما خلف الجامعـة ان يحصل على عمل يمكنه من العثور على أقران لهم روحه وميوله، لا سيما اذا كان هذا العمل فى مدينة كبيرة ٠٠ أما اذا قدر له أن يضطره عمله الى الاقامة فى بلدة صغيرة ، وان يحرص على احترام الناس له ـ كما لو كان طبيبا أو محاميا ـ فانه لا يلبث ان يجد نفسه مسوقا طيلة حياته الى اخفاء ميوله ومعتقداته الحقيقية عن معظم الناس الذين يلتقى بهم فى عمله اليومى ٠٠ **وفى مثل هذه الظروف تغدو الســعادة الحقيقيـة ضربا من المستحيل ، اذ لا سبيل اليها الا بتبين وسيلة لتخفيف أو تفادى طغيان «رأى الناس»، ولتعريف الاقلية ذات الذكاء والفكر بعضها ببعض ، حتى يستمتع كل من أفرادها بصحبة من يماثلونه روحا ومشربا ٠٠**

لا تتحدى رأى الناس الا بقدر !

والجبن الذى لا مبرر له ولا داع، كثيرا ما يزيد المتاعب سوءا ٠٠ فالرأى العام يكون دائما أشد طغيانا ضد أولئك الذين يخافونه ، منه ضد أولئك الذين لا يحفلون به !

وحديثى هذا لا ينطبق ـ بطبيعة الحال ـ على حالات التطرف فى تحدى رأى الناس ٠٠ فاذا أنت اعتنقت فى أمريكا مااصطلح الناس على اعتناقه فى روسيا ، أو العكس ، لحق عليك أن تتحمل التبعات والعواقب ٠٠ وانما أنا أقصد الحالات المعتدلة، كالاهمال فى ارتداء الثياب بالطريقة التى اصطلح الناس عليها، أو عدم الاهتمام باتباع مذهب دينى شائع ، أو الانصراف عن

قراءة الكتب التى توسع المدارك ٠٠ مثل هذه المخـالفات ان أرتكبت فى استخفاف وعدم مبالاة ـ ولكن فى غير تحد ـ فقد لا يلبث المجتمع ان يغضى عنها ويحتملها ٠٠ وقد يكتسب صاحبها على مر الايام مكانة فى المجتمع « كمعتوه » يباح له مالا يغتفر لسواه من أعمال ! والمسألة على أية حال تتوقف على مدى الطيبة والمودة المتوافرة فى علاقة الطرفين ، فان الناس يثيرهم كل تحول عما ألفوه واصطلحوا عليه ،اذ أنهم فى الغالب يرون فى هذا التحول انتقادا لهم٠٠ **ولكنهم يغتفرونه اذا صدر عن شخص أوتى من خفة الدم ومن روح الود ما يكفى لان يبين لكل شخص ـ حتى لأغبى الاشخاص ـ انه بتحوله عما اصطلح عليه القوم لا يرمى الى انتقادهم !**

ومع ذلك فان هذه الوسيلة التى تعفى المرء من اللوم ، كثيرا ما تتعذر على أولئك الذين تفقدهم أذواقهم وآراؤهم عطف المجتمع ٠٠ وافتقادهم هذا العطف كفيل بأن يقض راحتهم ، وان يفقدهم سكينة نفوسهم ، ويدفعهم الى المشاكسة والعناد ٠٠ ولو انهم انتقلوا الى وسط لا تبدو فيه آراؤهم غريبة ، لتغيرت شخصياتهم تغيرا تاما ، فاستعادوا مرحهم وثقتهم بأنفسهم ٠٠ وبدلا من الانطواء ، يصبحون كثيرى الاختلاط والظهور ٠٠

المال ليس كل شىء !

لذلك يجدر بالشبان الذين لا يجدون أنفسهم على انسجام مع بيئاتهم ، ان يحاولوا ما أمكنهم اختيار مهن تفسح لهـم الفرص لمخالطة من هم على شاكلتهم ، ولو ضحوا فى ذلك بقسط من فرص الكسب ٠٠ وهم قلما يفطنون الى أن هذا أمر ميسور، لان معرفتهم بالدنيا محدودة ، فهم يظنون ان العقائد التى ألفوها فى مواطنهم تسود العالم كله ، ولا توجد بيئة تتحرر منها ٠٠ ومن ثم فخليق بالكبار أن يمدوا يد العون للشباب فى هذا الصدد ، بما أوتوا من خبرة وتجربة ٠٠

الصلة بين الشذوذ والعبقرية !

◆ **وفى** هذا العصر الذى ساد فيه علم التحليل النفسى ، أصبح كل شذوذ يبديه الشاب عما هو مألوف فى بيئته ، يؤول على أنه اضطراب نفسى ٠٠ وعندى أن هذا خطأ محض٠ فلنتصور ـ على سبيل المثال ـ شابا يؤمن والداه بأن مذهب النشوء والارتقاء خطل منكر ٠٠ ففى هذه الحالة يكفيه ان يكون مؤمنا بصواب هذا المذهب ، حتى يتهم بالشذوذ والانحراف ، ويفقد عطف والديه ٠٠ **وليس من شك فى أن عدم « انسجام » المرء مع الوسط الذى يحيط به ، من علائم النحس وسوء الطالع٠٠ولكنه نحس لا يمكن تفاديه ٠٠ فحيثما كانت البيئة غبية أو متعصبة ، يكون الشذوذ عنها من علائم التوفيق والنبوغ !** ٠٠ وهذه الظواهر توجد فى كل بيئة وان تباينت درجاتها ٠٠ ولقد رمى « جاليليو » وغيره من ذوى المواهب الذين أثبتوا نبوغا خلدهم فى التاريخ ، بأنهم « من أصحاب الآراء الخطرة » ٠٠ ولا ينبغى أن يقوى الشعور الاجتماعى عند أمثال هؤلاء الرجال الى الدرجة التى تجعلهم يخافون ما قد تثيره آراؤهم من عداء المجتمع ، وان كان من المستحسن البحث عن وسائل تجعل هذا العداء أقل ما يمكن حدة ومفعولا ٠٠

ويظهر أهم جزء فى هذه المشكلة ـ فى عصرنا الحديث ـ فى مرحلة الشباب ٠٠ ولو ان المرء وجه من البداية الى الطريق الصواب ، وجعل فى البيئة الصالحة له ، لكان من الميسور له فى أغلب الاحوال أن يتفادى اضطهاد المجتمع ٠٠ بيد انه لصغر سنه وعدم تعرض مواهبه للاختبار الذى يجلى قيمتها ، يكون عادة تحت رحمة قوم جهلاء يعتبرون أنفسهم قضاة يحق لهم أن يفصلوا فى أمور لا يدرون عنها شيئا ، ويثيرهم ان يقال ان شابا حدثا قد أوتى من المعرفة ما يفوق كل ما خرجوا به من خبرتهم بالدنيا وتجاريبهم ! ٠٠ وكثير من الناس الذين استطاعوا أن يفلتوا من طغيان الجهل، اضطروا الى أن يخوضوا صراعا حاميا،

طويل الاجل ، خرجوا منه فى النهاية مثقلى النفوس ، مغلولى النشاط .. !

ومن الناس من يجد عزاء فيما يقال من ان العبقرية لابد ان تنتصر وتشق سبيلها الى الظهور ، فهم لذلك لا يخشون أى ضير على مواهب الشباب من الغبن والاضطهاد . ولكننى لا أجد ما يبرر الركون الى هذا الرأى ، اذ هو أشبه ما يكون بالرأى القائل ان لابد للجريمة من أن تفتضح .. فمن يدرى كم من الجرائم لم يسمع بها أحد ؟ .. وكذلك من يدرى ، كم من العباقرة انهاروا فى شبابهم وراحوا ولم يشعر العالم بهم ؟..

ثم ان المسألة ليست مسألة نبوغ فحسب ، وانما هى تنطوى على ذكاء أيضا . والذكاء لا يقل ضرورة للمجتمع عن النبوغ.. وليس المهم فى الامر أن ينتصر العبقرى ويشق طريقه ، وانما المهم أن يفعل ذلك دون أن تمتلىء نفسه سخيمة على المجتمع ، ودون أن يفل الصراع نشاطه ويستنفد أكثر طاقة عبقريته ..

لكل هذه الاسباب ، يجب أن لا نجعل طريق الشباب مليئا بالمشاق ، محفوفا بالصعاب ..

دعوا أبناءكم يختارون مستقبلهم دون ضغط !

◆ **واذا** كان من المستحب ان يحترم الكبار رغبات الشباب ، فانه ليس من المستحب ان يحترم الصغار رغبات الكبار ، على علاتها .. وهذا الرأى على غرابته يستند الى سبب بسيط ، هو ان الامر فى الحالين يتعلق بحياة الشبان لا بحياة الشيوخ. **والصغار اذا حاولوا ان ينظموا للشيوخ حياتهم ـ كما يحدث حين يعارض الشاب رغبة أبيه الارمل فى الزواج ـ لا يقلون خطأ عن الكهول حين يحاولون تنظيم حياة الشبان .. فلكل الحق فى أن يختار لنفسه ما يحلو له ، ولكل ـ اذا اقتضى الامر ـ أخطاؤه .. ومن الضلال ان يخضع الشبان لضغط الشيوخ فى المسائل الهامة** .. فلو افترضنا انك شاب ، وانك تريد أن

تحترف التمثيل المسرحى ، ولكن والديك يعارضان رغبتك لانهما يريان ان التمثيل مفسدة خلقية أو نقيصة اجتماعية ٠٠ فهما فى هذا السبيل قد يستخدمان كل أنواع الضغط : يهددانك بأن يبرءا منك ٠٠ ينذرانك بأنك لن تلبث أن تندم بعد أعوام قلائل ٠٠ يسردان عليك أمثلة رهيبة عن شبان اندفعوا فى تهور الى ما ترجو أن تقدم عليه ، فانتهوا الى أبشع نهاية ٠٠ الخ

وهما قد يكونان على حق فى اعتقادهما ان المسرح ليس بالمهنة الصالحة لك ، اذ ربما كنت لا تملك الموهبة التى تجعلك تصلح للتمثيل ٠٠ ومع ذلك ، فمن حقك أن تسعى نحو غايتك ، دون أن تدع مجادلات والديك تفت من عزمك ٠٠ ولن تلبث ان تعرف من أهل المسرح ما اذا كنت تصلح أو لا تصلح ٠٠ فان أكد لك الفنيون عدم صلاحيتك ، فاذ ذاك فقط ينبغى أن تتحول عن هذا الاتجاه ٠٠

لا تحفل بآراء الناس أكثر مما ينبغى !

وأعتقد على العموم اننا نحفل بآراء الغير أكثر مما ينبغى ، سواء فى الكبائر من الامور أو فى الصغائر ٠٠ وعندى ان على المرء أن يحترم رأى الناس فى الامور اللازمة لتفادى الجوع والسجن ، أما عدا ذلك ، فهو « تطوع » بالخضوع لطغيان لا داع له ، بل هو يتعارض مع السعادة فى جميع نواحيها ٠٠ ولنضرب مثلا – فى هذا الصدد – بانفاق المال ٠٠ فان الكثرة الغالبة من الناس تنفق نقودا فى نواح تخالف تماما ما يطيب لهم اذا هم شاءوا ان يرضوا أذواقهم الطبيعية ٠٠ وهم لا يفعلون ذلك الا لمجرد شعورهم ان احترام جيرانهم لهم يتوقف على امتلاكهم سيارة – مثلا – أو قدرتهم على ان يولموا الولائم الفخمة ٠٠ والواقع ان أى أمرىء تمكنه موارده من أن يبتاع سيارة ، ومع ذلك يفضل عليها – ارضاء لنفسه – أن يقوم برحلة ، أو يقتني مكتبة راقية ، لا يلبث في النهاية ان يحظي

من احترام الناس بنصيب أوفر مما كان ينال لو انه فعل ما يفعله سواه !

وعندى ان المجتمع الذى يتألف من رجال ونساء يأبون ان ينحنوا للتقاليد والآراء العتيقة المصطلح عليها ، أصلح من أى مجتمع آخر ٠٠ ففيه تجد شخصية كل فرد تنمو على حدة ، وفيه تجد تباين الشخصيات والافراد ، بحيث لا يكون كل فرد نسخة طبق الاصل من الباقين !

ولست أعنى بذلك ان على الناس ان يتعمدوا مخالفة العرف لغير ما غاية ـ فهذا ضرب من الفوضى والجنون ـ وانما أعنى ان على الناس ان يكونوا طبيعيين ، وان يتبعوا أذواقهم الخاصة ما دامت لا تنطوى على خطر واضح يهدد المجتمع ٠٠

والخوف من رأى الناس ، ككل أنواع الخوف الاخرى ، خطر يوقف النمو ، فمن العسير على المرء أن يحرز أية عظمة أو يحصل على التحرر الروحى الذى تتكون منه السعادة الحقة ، طالما بقى فى نفسه خوف قوى من هذا القبيل ٠٠ اذ أن من مستلزمات السعادة ان تنبعث اتجاهاتنا فى الحياة عن مشاعرنا وحوافزنا الخاصة المتغلغلة فى أعماق نفوسنا ، لا عن ميول عارضة ، أو رغبات طارئة ممن يحيطون بنا ٠٠

الارهاب الصحفى !

◆ **وهناك** نوع جديد من الخوف ، هو « الجزع » مما قد تقوله الصحف ! ٠٠ وهذا لا يقل بشاعة عن الارهاب الذى كانوا يتوسلون اليه بالسحر فى العصور الوسطى ٠٠ وما أبشع النتائج التى تقع ، حين تعمد الصحف الى التضحية بشخص مسالم وديع ليكون كبش الفداء ! ٠٠ على ان هذا نصيب ينجو منه معظم الناس ـ لحسن الحظ ـ لانهم نكرات مجهولة ٠٠ وان كان خطر هذا النوع الجديد من « الاضطهاد الاجتماعى » يزداد ويستفحل بازدياد تقدم وسائل النشر ورقيها ٠٠ وهو

أفظع من أن يقابل بالاستهانة من الشخص الذى يقدر له أن يقع تحت طائلته .. **لذلك فمهما قيل عن ذلك المبدأ العظيم الذى ينص على حرية الصحافة ، أراني أميل الى الدعوة الى وضع حد أكثر حماية للفرد ـ من القذف والتشهير ـ من نصوص القوانين الحالية .. أجل ، يجب تحريم كل شيء يفسد الحياة على الابرياء ، بل حتى على الافراد الذين أتوا ـ بالقول أو الفعل ـ ما اذا أسيء نشره قضى على سمعتهم !**

والعلاج الناجع الاوحد لهذا الشر يتمثل فى ترويض الرأى العام على أن يزيد من تسامحه .. وخير طريقة لزيادة التسامح تتوقف على مضاعفة عدد الافراد الذين ينعمون بالسعادة الحقة ، بحيث لا يجدون لذة فى صب الالم والعذاب على اخوانهم من البشر .. !

وفى (كتابى) القادم نتابع باذن الله حملة «غزو السعادة» فى ركاب برتراند رسل..

قالوا فى الحسد والغيرة..

◆ الحسد أغبى الرذائل اطلاقا، فانه لايعود على صاحبه بأية فائدة!
« بلزاك »

◆ الحسد ينبع من شقاء الحاسد أكثر مما ينبع من سعادة المحسود!
« الكونتة ديانا »

◆ الموتى هم الجديرون بالحسد ، أما الاحياء فجديرون بالشفقة !
« كليمنس »

◆ الحسد عاطفة مفعمة بالجبن والعار ، بحيث لا يجرؤ انسان على الاعتراف بها !
« ايرل اوف روشستر »

◆ النساء القبيحات يفرن على أزواجهن .. أما الجميلات فهن مشغولات عن ذلك بالغيرة على أزواج غيرهن !
« اوسكار وايلد »

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمى (التمثيلى... والغنائى)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد الماضية من (كتابى) المسرحيات العالمية الآتية على التوالى :

خطايا الحب : لاوسكار وايلد
الحب الآثم : تولستوى
نزاهة الحكم : جوجول
سلاح المرأة : اريستوفان
فولبون : بن جونسون
جيوكندا : دانونزيو
كلام الناس : جوزيه اشيجاراى
مدرسة الفضائح : شيريدان
سيرانو دى برجراك : روستان
لعبة الحب والموت : رومان رولان
مروحة الليدى وندرمير : اوسكار وايلد
فاوست : جيته
اوديب الملك : سوفوكل
فى سبيل الحب : جون درايدن

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه المسرحية الوطنية التى تضرب لنا فى هذه الآونة من تاريخنا أروع امثلة الكفاح الشعبى المجيد

.. وفى الاعداد القادمة أقدم لك باذن الله هذه الروائع العالمية :

الملك يلهو : فيكتور هوجو
قافلة الزمان : نويل كوارد
البخيل : موليير
ترويض النمرة : شكسبير
الخطاب : سومرست موم .. الخ

وليام تِل

(هكذا يموت الطغاة !)

المسرحية الخالدة
للشاعر الألماني
"فردريك شيلر"



- ١ -

◆ **الشاطيء** الصخرى لبحيرة « لوسيرن » ، بسويسرا ٠٠ عاصفة ضارية تهب على البحيرة ٠٠ الصيادون والرعاة يبحثون عن ملجأ يحتمون فيه من العاصفة ٠٠ **يدخل «بومجارتن» ، وهو فلاح هارب من مطاردة رجال الشرطة ٠ لقد قتل أمين خزانة الدولة لمحاولته اغتصاب زوجته !٠٠ وهو يهتف بالموجودين : « انهم فى أثرى ٠٠ ساعدونى على العبور الى الضفة الاخرى من البحيرة !»**

ويعطف الجميع عليه بقلوبهم ، لكن أحدا منهم لا يتطوع لنقله الى الضفة المقابلة ، متعللين بالعاصفة : « أنظر الى الامواج المزبدة ٠٠ من المستحيل اقتحامها بزورق صغير ٠٠ ان محاولة ذلك تكون بمثابة انتحار ! »

وفيما هو يستعطفهم متوسلا ٠٠ يقبل صياد آخر يدعى « وليم تل » فيقبل أن يواجه العاصفة من أجل بومجارتن ، قائلا فى شهامة : « قد تشفق البحيرة عليه ٠٠ أما الحاكم فلن يفعل !»

ويقفز الاثنان الى القارب ٠٠ وفى اللحظة التالية يصل جنود الحاكم على ظهور جيادهم فيعمدون الى سلب القرويين وحرق بيوتهم ، انتقاما لفرار القاتل ٠٠ بينما يبلغ هذا ـ بصحبة وليم تل ـ الشاطى الآخر فى أمان !

✥

◆ **فاذا** كان المنظر الثانى رأينا البنائين منهمكين فى تشييد سجن ضخم ، أشبه بالقلعة ، لاعتقال الاحرار من أبناء البلاد ٠٠ ونعلم أن الحاكم «جسلر» يحكم سويسرا بقبضة من حديد ، فهو يجرد الفلاحين من أملاكهم ، وحين يحتجون يزج بهم فى السجن !٠٠ حتى ضاقت السجون القديمة بمن فيها ، ففكر الحاكم الظالم فى بناء السجن الجديد فى « ألتدورف » كى يأوى عددا آخر من المعتقلين !

يرقب « وليم تل » العمال المنهمكين فى بناء « قبر الحرية » الجديد ، فيرى : « **ان ما بنته الايدى ، يا أصدقائى ، تستطيع الايدى أن تهدمه!» فان الطغيان يحمل فى ذاته جراثيم فنائه ، ولن يدوم سلطان لظالم حتى لو كان فى جبروت « جسلر » وأنانيته المقوتة ٠٠ !**

لكن جسلر يبدو جاهلا بالقانون الطبيعى الذى يحتم أن ينتهى كل اضطهاد غاشم الى الثورة ٠٠ فهو يأمر جنوده بأن يعلقوا قبعته « المبجلة » فوق صارى العلم فى مواجهة السجن الجديد ، كى يجثو لها على ركبتيه كل من يمر بها ، واذا رفض يكون عقابه الموت !

- ٢ -

◆ **وأمام** هذا التعسف الجديد الجائر يبدأ الاهالى فى التذمر، سرا ٠٠ **لكن تذمرهم ينفجر آخر الامر فى صورة تمرد صريح حين يعمد جسلر الى فقء عين شيخ مسن ، عقابا له على مخالفة تافهة! ٠٠ فيؤلف ابنه «أرنولد» بالاشتراك مع اثنين من زعماء الفلاحين هما « ورنر ستوفاشر » و « والتر فيرست » جماعة سرية لمقاومة طغيان جسلر٠** ويأبى وليم تل ــ وهو زوج ابنة «والتر فيرست» ــ أن ينضم الى الجماعة فى أول الامر ، معتذرا بأن الشخص ينبغى ألا يعتمد على غير نفسه فى الاقدام على عمل ما ، فهو صياد فرد لا يؤمن بقوة الجماعات ٠٠ لكنه يعد أصدقاءه بأنه لن يخذلهم فيما لو طلبوا معونته فى مناسبة ما : « وفروا نصائحكم لانفسكم يا اخوانى ، فحين يجد الجد تستطيعون الاعتماد على ساعدى ! »

ويدعو زعماء الثوار الى عقد اجتماع عام للاهالى فى الغابة ، عند انتصاف الليل ، لمناقشة خطتهم والاتفاق على تفصيلاتها :

ستوفاشر : نحن نحارب من أجل حياتنا !

فيرست : بل من أجل حريتنا !

أرنولد : ومن أجل والدى ٠٠ انه لن يستطيع أن يرى يوم الحرية ، لكنه سوف يسمع نشيدها ٠٠ !

✲

◆ **فاذا** كان المنظر التالى، فنحن فى دار البارون «اتينجهويزن»، وهو نبيل شيخ فى الخامسة والثمانين ، يميل بعواطفه الى قضية الفلاحين ـ بعكس ابن أخيه ووريثه « رودينز » الـذى يؤيد كفة الطغاة ، من فرط ما أعمته أضواء بلاطهم الباهرة وأضله حبه للحسناء « برتا أوف برونيك » (وهى وارثة غنية تخضع لوصاية الحاكم جسلر !)

اتينجهويزن : ابق هنا معى يا رودينز ٠٠ ابق بجـانب فلاحيك ٠ ان أقوى روابط الدنيا هى رابطة البيت ، والوطن الصغير ٠٠ انك لا تمت الى دنيا الطغاة ، دنيا البرود والعجرفة ٠٠ سوف تكون غريبا بينهم !

رودينز : كلا ياعمى ٠٠ ان الحيطة تفرض على المرء أن يسعى الى نيل الحظوة عند العظماء الاقوياء ٠ وأنا أريد أن أزرع البذور لحصاد وافر الثراء فى المستقبل ٠

اتينجهويزن : أوهذا من الحكمة يابنى ؟ أن تظفر بالحظـوة لدى طاغية ، يسلبنا قوتنا ويمتص دماءنا الغالية كى يغذى بها حروبه ؟

رودينز : وماذا فى وسعنا أن نفعل ، ونحن سلالة رعاة ، ضد تلك القوة الهائلة ؟

اتينجهويزن : أنت لا تعرف قومك ٠ انهم شعب ولد أفراده أحرارا ، وسوف يحاربون من أجل حريتهم ٠٠ لا تتركنـا يارودينز ٠ نحن فى حاجة الى أيد قوية ٠٠

رودينز : ولكننى مقيد ٠٠ لقد أعطيت كلمتى !

اتينجهويزن : ايه ، مقيد بشبكة الحب الحريرية ! ٠٠ لا تخدع نفسك يابنى ٠٠ انهم يجعلون الفتاة طعما لك !

◆ **لكن** رودينز لا يصغى لنصيحة عمه ٠٠ بل يذهب لينضم الى بطانة جسلر ! ويبقى اتينجهويزن يتبعه ببصره فى حسرة مغمغما : « لقد ذهب الغرير المندفع ! ٠٠ ولسوف يلحق به قريبا شبان آخرون ، يخدعهم بريق القوة ٠٠ ما أسعد الانسان الذى لن يعيش ليشهد انتصار الطغاة ! »

✤

◆ **فاذا** كان المنظر التالى فقد مضى جسلر وأتباعه ليصطادوا فى الغابة ٠٠ بينما انفرد رودينز بحبيبته برتا بعيدا عن بقية الجماعة

رودينز : من أنا ، حتى أطمع فى حبك ، بين كل هـؤلاء الفرسان الباهرين؟ ٠٠ انهم يملكون المجد ، والثروة، والجاه٠٠ فى حين لا أملك أنا أن أقدم اليك غير قلب مخلص !

برتا : أو تصدقنى القول ٠٠ أنت الذى بعت شعبك طمعا فى ابتسامة طاغية ؟

رودينز : لست أفهمك ٠٠ ألست من أصدقاء جسلر ؟

برتا : انى أمقت جسلر ٠٠ وقلبى ينزف أسى على مواطنيك المعذبين ٠٠ انهم غاية فى الرقة ، ولكنهم غاية فى القوة أيضا !

رودينز : برتا ، أنت تكرهيننى !

برتا : بل أرثى لحالك ٠٠ ولو استطعت أن أوقظ النبل فى أعماقك لاستطعت أن أحبك !

رودينز : أواه يابرتا ٠٠ من أجل أن أظفر بحبك، أى شىء أحجم عن فعله ؟

برتا : اذن فلتعدنى أن تصبح الرجل المفروض أن تكون ٠٠ ان تحرر قومك ، وتحارب من أجل وطنك ٠ عندئذ تظفر بحبى! ٠٠ ان عدوا واحدا يملأ قلوبنا جميعا رعبا وفزعا ، لكن الضربة التى تحرر فردا ٠٠ تحررنا جميعا !

- ٣ -

◆ **فاذا** كان الفصل الثالث رأينا « وليم تل » فى بيته يتأهب للخروج ، كى يزور صهره « والتر فيرست » ٠٠ وزوجته تناشده أن يبقى فى داره خشية أن يصيبه مكروه من جراء القلاقل التى تجتاح البلاد :

الزوجة : انك مستهتر ٠٠ فى قلب العاصفة تنقل ذلك القاتل بومجارتن عبر البحيرة ! ٠٠ ألم تفكر فى زوجتك وأولادك فى تلك الساعة ؟

تل : بل فكرت ٠٠ ولذلك نقلته ٠ أردت أن أنقذ الوالد من أجل أولاده !

الزوجة : لكن الحاكم ظالم حقود !

تل : ليس لى أن أخشى الحاكم فى شىء ٠٠ انه لن يؤذينى

الزوجة : أواثق أنت من ذلك ؟

تل : نعم ٠٠ لقد التقيت به منذ مدة قصيرة وجها لوجه ، فى ممر جبلى ضيق ، فلما رآنى تذكر اننى الرجل الذى حكم عليه بغرامة باهظة من أجل مخالفة يسيرة ٠٠ فشحب وجهه ، حسب انى سأقتله فى التو واللحظة ٠ لكنى أشفقت عليه ٠٠ فتركته يمر !

❊

◆ **لكن** الزوجة لا تطمئن على زوجها ، بالرغم من كلماته الواثقة ، وتعود فتلح عليه كى يبقى ٠٠ فيجيبها فى عناد :

تل : لقد وعدت أن أذهب ٠٠

والتر (أحد أولاده) : سأذهب معه !

الزوجة : وتترك أمك ؟

والتر : سوف أحضر اليك أشياء جميلة من عند جدى ٠٠

◆ ويأخذ وليم تل منطقة قوسه وسهامه ويبرح البيت ، وبصحبته ابنه والتر ٠٠ فتتبعهما الزوجة ببصرها فى قلق

وأسى .. ان فى قلبها احساسا مبهما بالانزعاج !

ويمر وليم تل ووالتر بالبقعة التى علقت فيها قبعة الحاكم ، فيلفت الابن نظر أبيه اليها ..

والتر : أنظر ياأبتاه ، أنظر الى القبعة التى هناك !

تل : مالنا ولها ؟ فلنستمر فى طريقنا ..

الحارس الاول : قف ! انى أقبض عليك باسم الامبراطور . لقد تعمدت أن لا تنحنى تحية لقبعة الحاكم !

◆ ويخف عدد من الاهالى لنجدة وليم تل .. وأثناء ذلك يسمع النفير :

الحارس الثانى : الحاكم !

الحارس الاول : تمرد ! ثورة ! النجدة !

◆ ويقبل جسلر على صهوة جواده ، يتبعه طابور طويل من الاتباع ، بينهم برتا ورودينز :

جسلر : من الذى يصيح فى طلب النجدة ؟

الحارس الاول : هذا الرجل يرفض الانحناء أمام قبعة سموكم !

جسلر (الى تل) : ماذا تقول دفاعا عن نفسك ؟

تل : اعف عنى ياصاحب السمو ، لقد كان الامر سهوا ..

جسلر : انى أسمع انك بارع فى استعمال القوس

والتر : نعم يامولاى ! أبى يستطيع أن يصيب تفاحة على بعد مائة ياردة !

جسلر (الى تل) : هذا ابنك ؟

تل : نعم يامولاى

جسلر : حسنا .. سوف تثبت براعتك فى التو واللحظة . صوب سهمك الى تفاحة فوق رأس غلامك .. فاذا لم تصبها دفعت رأسك ثمنا لعجزك !

◆ ترتفع ضجة ذعر واحتجاج من جانب الحاضرين ، ويخر

« تل » راكعا على ركبتيه متوسلا الى جسلر أن يعدل عن تنفيذ أمره الوحشى الذى قد يعرض حياة ابنه للخطر ! ٠٠ ويعرض الاب على الحاكم صدره العارى ، رمزا لتضحيته بحياته هو فى سبيل ابنه ٠٠ لكن جسلر يغرق فى الضحك ويقول معترضا : « ليست حياتك التى أطلبها ، بل سهمك ، دليل براعتك ٠٠ هيا وعجل ! »

والتر : أطلق السهم يا أبى ، ولا تخف ٠ أعدك بأن أقف ساكنا فلا أتحرك

◆ وهنا يتناول تل من جعبته سهمين ويضعهما فى حزامه٠٠ لكن عين جسلر اليقظة تفطن الى الحركة ٠٠ وفى أثناء ذلك يتقدم « رودينز » من الحاكم :

رودينز : مولاى ، لقد غاليت فى المزاح أكثر مما ينبغى !

جسلر : وفيم هذه الجرأة المفاجئة ؟

رودينز : لقد طالما راقبت تصرفاتك الجائرة وأنا صامت ٠ لكن صمتى بعد هذا يكون خيانة لوطنى !

جسلر : ماذا ؟ أتحدث مولاك بهذه اللهجة ؟

رودينز: لست أعرف لى مولى غير مليكى الامبراطور ، ولا أحد سواه !

◆ وخلال ذلك يطلق وليم تل سهمه ، فيشق التفاحة فوق رأس غلامه الى نصفين ٠٠ ويصيح هذا مزهوا :

والتر : هاك التفاحة ياأبى ٠٠ كنت أعلم انك لن تصيبنى !



◆ وينحنى الاب على ركبتيه فيعانق ابنه فرحا ٠٠

جسلر : بقيت لى كلمة معك ياتل ٠٠ لقد رأيتك تضع سهما ثانيا فى حزامك ٠٠ ماذا كان غرضك ؟

تل (مثبتا عينيه فى حزم على وجه الحاكم) : لو أصاب السهم الاول فلذة كبدى ، لانطلق السهم الثانى مباشرة الى قلبك !

◆ ويقبض على تل ، ويشد وثاقه ، تمهيدا لترحيله فى زورق الى سجن (كوسناخت) الرهيب :

الاهالى (يحيطون بالبطل) : قلوبنا معك ، تتبعك أينما ذهبت !

تل : وداعا ٠٠

والتر : أوه ، أبى ، أبى ٠٠ أبى الحبيب !

ستوفاشر : اليست لديك رسالة تود ابلاغها الى زوجتك ؟

وليم تل (وهو يحتضن ابنه الى صدره) : قولوا لها ان الولد بخير ٠٠ أما أنا فان الله سوف يرعانى ! (وينتزع نفسه من حضن ابنه ويتبع الجنود ٠٠)

- ٤ -

◆ **فاذا** كان الفصل الرابع فقد أفلح وليم تل فى الفرار من حراسه أثناء هبوب عاصفة ٠٠ ونراه يروى قصة فراره لصياد من زملائه على ضفة بحيرة لوسيرن : « كانوا ينوون أخذى الى سجن (كوسناخت) ، فلما هبت العاصفة حلوا وثاقى ، فقد كنت الوحيد الذى يستطيع قيادة زورقهم خلال الامواج الثائرة ٠٠ فوجهت دفته نحو أقرب جرف ، وحين اقتربنا ألقيت بنفسى الى الجرف ثم دفعت الزورق بقدمى الى لجة البحر ورحمة الامواج من جديد ! »

الصياد : وماذا تعتزم أن تفعل الآن ؟

تل : فعلة سوف تجرى على فم كل انسان !

❊

◆ **فاذا** كان المنظر التالى فقد رقد البارون أتنجهويزن يحتضر، والتف نفر من الفلاحين حول فراشه :

أتينجهويزن : ان عهد النبلاء قد ولى ، وحل عهد الشعب .. ان الحرية تلوح بعلمها المنتصر عاليا .. فاصمدوا معا يارجال .. اصمدوا الى النهاية . كونوا واحدا .. كونوا واحدا ..

ويلفظ نفسه الاخير .. بينما يصل رودينز وفى عزمه أن ينبىء عمه بتحول قلبه الى صفه .. لكنه يصل متأخرا ! وحين يجد عمه قد مات يبشر الفلاحين بأنه سوف يحارب فى صفوفهم . ان له الآن هدفا شخصيا من القتال ، فقد اختطف رجال الحاكم حبيبته برتا وذهبوا بها الى مكان مجهول !

أرنولد (ابن الشيخ الذى فقأ الحاكم عينه) : تعال ، تول قيادتنا

رودينز : سلحوا أنفسكم أولا، وانتظروا اشارتى النارية فوق قمة الجبل .. وحين ترونها كونوا متأهبين للانقضاض على الطغاة من عل ، وعندئذ يكون النصر حليفنا !

❊

◆ **ويذهب** وليم تل ، فيلبس منطقة قوسه ويحمل سهامه فى يده ، وينحنى فوق نتوء فى أعلى الجبل ، يشرف على الممر الذى ينتظر أن يمر فيه جسلر ، فى طريقه الى سجن «كوسناخت» !

الطريق مزدحم بالمارة .. من صيادين، وفلاحين، وشحاذين، وأدلاء الجبل ، وموكب عروسين .. وأخيرا يقبل جسلر وحاشيته .. واذا طريقه قد اعترضته فلاحة تدعى «أرمجارت» يصحبها أولادها السبعة :

أرمجارت : الرحمة يامولاى .. عفوك ! .. عفوك !

جسلر : ابتعدى عن طريقى ، ودعينى أمر !

أرمجارت : زوجى ملقى فى السجن ، وأطفالى يصرخون من الجوع ٠٠ فلتشفق يامولاى عليهم وتطلق سراحه !

جسلر : الزمى جانب الطريق ياامرأة ، والا فبحق السماء لن أتردد فى أن أطأك بحوافر جوادى !

أرمجارت : حسنا ، فلتطأ بجوادك جثثنا !

(وتلقى بأطفالها ثم بنفسها على الارض فى طريقه)

جسلر : لقد كنت حاكما متهاونا مع هذا الشعب ٠٠ ولكنى منذ الساعة سوف أتغير ٠ سأصدر قانونا جديدا ي ٠٠

◆ وفى هذه اللحظة يصمى صدره سهم نافذ ، فيضع يده على موضع قلبه ويقول بصوت متحشرج : « انها فعلة وليم تل ! »

أرمجارت : لقد مات ، مات ! ٠٠ انه يسقط من جواده ٠٠ !

جسلر : أواه يا الهى ، ارحمنى !

أرمجارت : أنظروا ياصغار ٠٠ هكذا يموت الطغاة !

- ٥ -

◆ **ويشعل** رودينز النار فوق قمم التلال، اشارة لقومه ببدء معركة الحرية ٠٠ فيهب الفلاحون المسلحون والعمال ليهدموا ما شيد من سجن ألتدورف ، ويقوضوا غيره من القلاع التى أقامها الطغاة لاعتقال الاحرار ٠٠ وأثناء ذلك يعثر الثوار على الحسناء « برتا » سجينة فى احدى تلك القلاع ، فينقذونها فى اللحظة التى كان فيها بناء القلعة يوشك أن ينهار فوق رأسها وقد اشتعلت فيه النيران ٠٠

وتأتى الانباء بأن الامبراطور قد قتل !

فيرست : الامبراطور ؟ لم يكن ثمة داع لذلك ! ٠٠ ان كفاحنا كان ضد الحاكم لا الامبراطور ٠ ومن ذا الذى اجترأ على ارتكاب هذه الجريمة البشعة ؟

فلاح : ارتكبها ابن أخيه !

فيرست : ولماذا فعل ؟

الفلاح : بدافع الغيرة ٠٠ والتنافس على العرش !

فيرست : هذا أمر لا دخل له بكفاحنا ٠٠ ان كفاحنا من أجل الحرية ٠٠ والرجل الذى ندين له بحريتنا هو وليم تل !

الفلاح : آه ، وليم تل ٠٠ فلنذهب اليه فى بيته لنحييه باعتباره منقذ وطننا !

✻

◆ **فاذا** كان المنظر التالى فنحن فى كوخ وليم تل مع زوجته وولديه :

الزوجة : ياولدى العزيزين ٠٠ أبوكم يعود اليوم ! ان وطننا يدين له بحريته ٠٠

والتر (الابن الذى حمل التفاحة فوق رأسه هدفا لسهم أبيه) : وأنا أيضا ياأماه أديت نصيبى فى هذا الكفاح **(تقبله أمه ، بينما يظهر بالباب راهب غريب تبدو عليه سيماء الجوع والاعياء)**

الابن : أدخل أيها الاب الطيب ٠ سوف تعطيك أمى طعاما ٠٠

الراهب (للزوجة) : هل أنت وحيدة ؟ أين زوجك ؟

الزوجة : انى أنتظره بين وقت وآخر ٠ ولكن مم تشكو ياسيدى ؟ ٠٠ فى نظراتك شىء ينذر بالشر ! لا تلمس ثيابى أيها الراهب !

الابن (يهب واقفا) : أماه ، هاهو أبى قادم !

الابن الثانى (يلحق به فى الخارج) : أبى !

◆ يدخل وليم تل ومعه ولداه اللذان هرعا لاستقباله ٠٠ فلا تكاد زوجته تقبله وقد لمعت فى عينيها دموع الفرح بعودته سالما ، حتى يسأله الراهب فى اهتمام :

الراهب : هل أنت « تل » البطل الذى قتل الحاكم وحرر شعبه ؟

تل : نعم أنا هو ، ولست أخفى هذه الحقيقة عن انسان !

الراهب (وهو يأخذه جانبا) : أنا أيضـا قتلت عـدوا : الامبراطور !

تل : أنت ، دوق أستريا ؟ قاتل عمك ؟ ٠٠ وما تزال على قيد الحياة ؟ وما تزال الشمس تشرق عليك٠٠ ؟

◆ ان القتل بدافع المطامع الشخصية شيء يختلف تماما عن الاغتيال من أجل قضية الحرية !٠٠ ومع ذلك فان وليم تـل تأخذه الشفقة على دوق أستريا فيرشده الى الطريق الذى يسلكه كى يجتاز الحدود سالما ! ٠٠ ثم يلتفت الى زوجته (التى تجهل شخصية الراهب) قائلا لها : « اعطى هذا الرجل الفقير كى يأكل ٠٠ فأمامه طريق طويل شاق !٠٠ وأديرى وجهك كى لا ترى أى سبيل يسلك ! »

وتقبل الجماهير على كوخ وليم تل متظاهرة محيية ، فتمتلىء بهم التلال والوديان المشرفة على الدار ٠٠ وكان بينهم رودينز وبرتا :

الجماهير : عاش وليم تل ، درعنا ومنقذنا !

برتا : أيها المواطنون ، أيها الرفاق ٠٠ اقبلونى عضوة فى عصبة الاحرار !

الجماهير : مرحى ، مرحى ٠٠ قبلناك !

برتا : والآن أعطى يدى بملء حريتى الى رودينز ٠٠

رودينز : ومنذ هذه اللحظة أطلق جميع عبيدى أحرارا !!

(ســتار)

المـؤلف

◆ والآن ، وقد قرأت هذه المسرحية الخالدة التى تصور كفاح الشعب السويسرى فى سبيل التحرر من الطغيان ، يشوقك ولاشك أن تعرف شيئا عن مؤلف هذه الدراما المشهورة

انه الشاعر ، والكاتب ، والفيلسوف الالمانى « جوهـان كريستوف فردريك فون شيللر » .. ولد فى (مارباخ) يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٧٥٩ ،

وكان أبوه جراحا فى الجيش دائم التنقل بحكم عمله بين البلدان ، مما عاق انتظام ابنه فى الدراسة زمنا ، حتى استقرت الاسرة فترة طويلة فى بلدين على التوالى ، فاستعاض الفتى عما فاته من علم . وفى سن الرابعة عشرة التحق بمدرسة تعده لدراسة القانون ، لكن المدرسة لم تلبث أن اغلقت بعد عامين ، فانتقل شيللر الى دراسة الطب مثل والده ..

وخلال ذلك كله لم ينقطع الفتى عن ممارسة هوايته المفضلة : الادب .. فلما بلغ السابعة عشرة نشر أول انتاجه من الشعر الغنائى فى احدى الصحف . وخلال العامين التاليين أتم مسرحيته الاولى «اللصوص» ، لكنه لم يجد لها ناشرا ، فاضطر الى نشرها على نفقته بعد ثلاث سنوات ، وأحدث ظهورها ضجة حتى لقد قارنها النقاد بمسرحيات «جيته» ! وهى اليوم معتبرة من أعظم درر المسرح الالمانى فى القرن الثامن عشر ..

اعتقال .. وفرار

فى هذه الاثناء حصل شيللر على دبلوم الجراحة ، فعين طبيبا لحامية (ستوتجارت) ، لكنه لم يلبث أن ضاق بصرامة القيود العسكرية فبدأ يتمرد عليها فى كل مناسبة .. وذات يوم تسلل خلسة من المعسكر ليشهد تمثيل مسرحيته «اللصوص» فى مدينة مجاورة ، ثم تكرر تسلله لنفس الغرض فى ليلة أخرى ! فما كان من حاكم المدينة الا أن أصدر امرا باعتقاله لمدة اسبوعين، على أن يمتنع بعد ذلك عن كتابة وتأليف تلك «المهازل» ، وان لا يغادر المدينة بأى حال من الاحوال !.. واذ ذاك فاضت به الكأس فدبر خطة للفرار من عمله بالحامية نهائيا ، ونفذ الخطة بالفعل فى سبتمبر سنة ١٧٨٢ ، لاجئا على الاثر الى بيت والدة أحد زملائه فى الدراسة .. وهناك بدأ فى تأليف مسرحيته التاريخية «دون كارلوس» ، وقرأ الفصل الاول منها على مسامع راعى الادباء المشهور «دوق فيمار» فى ديسمبر ١٧٨٤ ، وفى هذه الاثناء كان قد عين شاعرا لمسرح مانهايم لمدة عام ، بمرتب لا بأس به ..

وفى ربيع ١٧٨٥ دعاه صديقان له وخطيبتاهما الى قضاء الصيف فى ضيافتهم بمدينة (ليبزج) ، ثم قضاء الخريف فى (درسدن) . وفى هذه الاثناء أتم مسرحيته دون كارلوس ومثلت بالفعل على المسرح ، فظفر منها بمزيد من الشهرة الادبية .. كما خرج من اختلاطه باحد مضيفيه ـ وكان يدرس الفلسفة ـ بازدياد ميله الى دراستها واتجاهه نحو التعمق فيها ..

◆ وفى ١٧٨٧ بدأت مرحلة جديدة من حياته بتعرفه الى اسرة فون لنجفيلد وزواجه من ابنتها الصغرى .. وعلى أثر ذلك عكف شيللر على دراسة التاريخ فتعمق فيه ووضع فيه كتابا قيما حصل بسببه على منصب الاستاذية فى جامعة (يينا) ، وتسلم مهام منصبه هذا فى نوفمبر سنة ١٧٨٩ ، وهو بعد فى الثلاثـــين !

الصداقة التى الهبت عبقريته !



لكن اصابة شيللر بالسل منذ شبابه الباكر كانت فى ازدياد ، ومتاعبه المالية لم يكف لتبديدها تعيينه فى ذلك المنصب .. حتى تطوع أمير شغوف بالادب فأجرى على الشاعر مرتبا سخيا لمدة ٣ سنوات ، فانتهز شيللر الفرصة وتفرغ للتعمق فى دراسة الفلسفة ، وصارت أبحاثه تنشر فى الصحف فلفتت انتباه الشاعر الكبير «جيته» .. ومنذ ذلك التاريخ منحه جيته صداقته الخالدة التى أشعلت فى الشاب نار طموح وحماس خارقين .. فأخذ يعمل بنشاط محموم ، شأن من يعلم أن أيامه على الارض قد باتت محدودة . وهكذا ، بعد أن كان قد هجر التأليف المسرحى الى الدراسات الفلسفية والشعر الغنائى اكثر من عشر سنوات .. عاد اليه سنة ١٧٩٩ ، فانتج فيه خلال السبع سنوات الاخيرة من حياته مجموعة رائعة من المآسى الجبارة المتنوعة الموضوعات والاجواء ، كانت أولاها : «والنشتاين» ، وهى دراما تدور حول حروب الثلاثين عاما ، وقد رفعته بمجرد تمثيلها الى مصاف أعظم مؤلفى المسرح الاوربيين !.. وأغراه نجاحها بأن يقيم بصفة نهائية فى (فيمار) ، ليكون قريبا من استاذه «جيته» من ناحية ، وليتمكن من التردد على المسرح الذى كان جيته يديره فى تلك المدينة ..

وفى العام التالى كتب شيللر مسرحيته التاريخية التالية «مارى ستيوارت» ، ثم أعقبها بـ «عذراء اورليان ـ جان دارك» ، و «عروس مسينا» .. واخيرا «وليم تل» ، التى أتمها قبل وفاته بأشهر معدودة . وقد شرع بعدها فى كتابة مسرحية جديدة سماها «ديمتريوس» ، لكن الموت عاجله وهو لم ينجز منها غير فصلين .. فلفظ أنفاسه فى فيمار فى التاسع من مايو سنة ١٨٠٥ ، مبكيا عليه من الشعب الالمانى قاطبة ، بل من عشاق الادب المسرحى فى العالم بأسره ..

وحين بلغ نبأ موته مسامع صديقه واستاذه «جيته» ، اغلق الشاعر الكبير على نفسه باب مخدعه وبكى كالاطفال .. ثم كتب الى صديق له يصف حزنه عليه بقوله : «اليوم فقدت نصف كيانى !»

الجريمة.. والعقاب



المحاكمات الكبرى

فى الماضى والحاضر

عزيزى القارىء ...

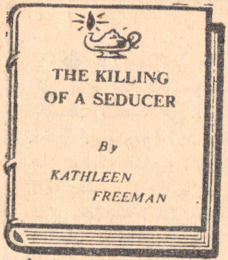
قدمت لك فى الاعداد السابقة من كتابى طائفة من القضايا والمحاكمات الهامة ، هى على التوالى : محاكمة « جورجيت هودو » ملكة الجمال الباريسية .. فمحاكمة السفاحين «بيرك» و «هير» .. ثم محاكمة فيلسوف اليونان العظيم « سقراط ».. ومحاكمة «آن بولين» ملكة انجلترا فى عهد هنرى الثامن، فمحاكمة «دريفوس» .. ومحاكمة « ستافسكى » .. ثم محاكمة «مرجريت فهمى» .. ومحاكمة ملك انجلترا «شارل الاول» واعدامه .. ومحاكمة قاتل راسبوتين .. واخيرا محاكمة ملك فرنسا لويس السادس عشر ..

واليوم أقدم لك فيما يلى محاكمة من أقدم محاكمات التاريخ ، وقعت حوادثها فى أثينا القديمة حوالى عام ٤٠٠ قبل الميلاد ، واتهم فيها زوج بقتل عشيق زوجته .. كما يحدث اليوم سواء بسواء !.. وهكذا ترى أن الانسان هو الانسان ، فى كل زمان ومكان !

وفى الاعداد القادمة تقرأ معى باذن الله فى هذا الباب مجموعة منوعة من القضايا والمحاكمات الكبرى التى احدثت دويا ، سواء فى الشرق أو الغرب

العدالة فى أثينا القديمة

عندما يقتل الزوج عشيق زوجته!



أشهر المحاكمات والمرافعات
منذ ٢٤ قرنا



هذه المحاكمة ...

◆ كل محاكمة مأساة .. وفى محاكم كل دولة ، وفى كل عصر ، تقع كل يوم منازعات ومساجلات بالغة التشويق للنظارة .. منازعات تكشف الغطاء عن البشر كما هم فى حقيقتهم ، وليس كما قد نريدهم نحن أن يكونوا !.. ومن ثم فليس مجرد الشغف بالماضى السحيق هو ما يدفعنا اليوم الى نبش قضايا ومحاكمات نظرت امام محاكم اثينا القديمة .. وانما هى حاجتنا الى تفهم أحوال تلك الدولة اللامعة التى خلفت الكثير من أسمى قيم الحضارة : فى السياسة ، والشعر ، والعلم ، والهندسة ، وفن الحياة .. ومن ناحية أخرى فان هذه الدراسة سوف تضيف مادة هامة الى معرفتنا بالطبيعة البشرية بصفة عامة ..

ثم أن هذه المحاكمة تظهرنا على زيف الفكرة العاطفية السائدة ، التى تزعم أن المواطن فى أثينا القديمة كان ينفق كل وقته فى مناقشة الحقيقة والجمال ، والتطلع الى ((البارثنون)) !.. فهذه المحاكمة تظهر ذلك المواطن كما كان فى حقيقته : انسانا مثلنا من لحم ودم واعصاب ، وليس مخلوقا ساميا أو نصف آله !

ولم يكن فى أثينا القديمة صحف اخبارية نرجع اليها لنتعرف أحوالها .. ومن ثم فان أمثال هذه المحاكمة تكشف لنا ـ أكثر من أى مصدر آخر للاستعلامات ـ كيف كانت الحياة فى الدولة التى عاش فيها أرسطو ، ويوريبيدس ، وديموستين .. وغيرهم من الذين ساهموا فى ميراث العالم الفنى والفكرى بكنوز لا نظير لها !.. فهى تلقى الكثير من الضوء على الرجال والنساء الذين كانوا يذرعون شوارع أثينا مع أفلاطون وسقراط ، والذين من أجلهم ألف كتاب المسرح الاغريق مسرحياتهم الخالدة !

واخيرا ، فان هذه المحاكمة تثبت بالدليل القاطع صدق المبدأ اليونانى القائل : أنه فى جميع العلاقات البشرية ، وشتى نظم الحكم ، ينبغى أن تكون السيادة للقانون ـ أى للحق والعدل ـ وليس للشهوة أو المصلحة الذاتية !.. وان النظام القضائى الاثينى ، بكل أخطائه كان معدا لا ليخدم طبقة معينة ، ولا ليخدم الدولة .. وانما ليخدم المواطن الفرد .. أيا كان مركزه !

◆ « لا جديد تحت الشمس » .. انها القاعدة التى يأبى الزمن الا أن يؤكدها ويثبت صحتها .. حتى فى ميدان الجرائم والقضاء ! ... فان النفس البشرية ، أو الغريزة الانسانية ، هى هى مهما التفت فى أثواب متباينة من الحضارات ..

وقصة محاكمة « يوفيليتس » مثال حى يشهد بذلك !

عندما تنفتح عينا الزوج المخدوع !

◆ **كان** « يوفيليتس » مواطنا يونانيا يعيش فى أثينا فيما بين سنتى ٤٠٠ و٣٨٠ قبل ميلاد المسيح .. وكان راضيا، قرير العين ، سعيدا بزوجته وبابنهما الرضيع الذى جاء ثمرة لهذه الزيجة الموفقة ..

ثم دفع القدر الى طريقه بما فتح عينيه على ان زوجته تخونه! .. ووضح له أن عشيقها الفاجر ـ المدعو ايراتوستينس ـ هو الذى أغواها واستهواها ، ولعله آمن بأنها ما كانت لتنزلق الى الغواية لولا أن الآثم سعى الى ايقاعها .. فلما فاجأ غريمه هذا ذات ليلة فى مخدع زوجته ، لم يتردد فى أن يقتله !

وكانت القوانين الاغريقية تهدر دم الزانى ، وتبيح للمواطن أن يقتل من يعتدى على حرمة داره ، ويستمرىء عرضه .. اللهم الا اذا اجتمعت الادلة والقرائن على ان ثمة بواعث أخرى للجريمة قد استترت وراء الذود عن الشرف ..

طعن فى صحة بواعث الجريمة

◆ **ولقد** شاء أهل القتيل أن يستغلوا هذه الثغرة فى القوانين، فطلبوا محاكمة القاتل زاعمين ان قصته ملفقة ، وان الجريمة مدبرة لدوافع أخرى ..

وأنكر « يوفيليتس » فى التحقيق ان ثمة حوافز أخرى قد دفعته عدا الغيرة على الشرف والانتقام للعرض ..

وعرضت القضية على هيئة للمحاكمة .. **وكان على المتهم ان يثبت براءته ويقيم حجته ، أو يقضى عليه بالاعدام .. غير ان العرف كان يدع لغير الواثق من قضيته مخرجا ، اذ كان يبيح له ـ اذا ما استبان فى نهاية اليوم الاول ان قضيته خاسرة ـ ان يغادر البلاد .. فيقضى ما بقى من عمره منفيا ، وتصادر ثروته وأملاكه ..**

ولكن «يوفيليتس» لم يلجأ الى هذا المخرج ، فقد كان شديد الثقة بصواب موقفه ، وقوة حججه ·· وكان قد تأهب ليعرض على هيئة المحاكمة دفاعه ـ اذ كانت المبادىء القضائية عند الاثينيين تستوجب من المتهم ان يلقى دفاعه أو مرافعته بنفسه أمام هيئة المحكمة ، التى كانت تتألف من محلفين ·· ولم يكن له ان يوكل محاميا يترافع عنه ، وانما كان المسموح به للمتهم ـ اذا لم يكن متكلما لبقا ، أو على دراية بالقوانين التى تؤيد حججه ـ ان يلجأ الى كاتب يعد له المرافعة ، على أن يتولى المتهم بنفسه القاءها فى المحكمة ··

هذا ما فعله « يوفيليتس » ، اذ عهد الى « ليسياس » بأن يصوغ له خطاب الدفاع ·· وكان « ليسياس » هذا من نوابغ الكتاب الذين برعوا فى تأليف المرافعات ، وتفسير القوانين وتأويل معانيها ··

الجريمة التى يتساوى ازاءها الجميع

◆ **وكان** «يوفيليتس» هادىء الجأش ، بادى الطمأنينة خلال المحاكمة ·· حتى اذا انتهى المدعى من القاء دعوى الاتهام ، انبرى « يوفيليتس » يلقى المرافعة التى أعدها « ليسياس » ، والتى سجلها التاريخ مثلا من أروع أمثلة المرافعات ··

وقد بدأ المتهم دفاعه قائلا :

« ياحضرات القضاة ·· اننى لاضحى بالكثير كى أراكم ـ كقضاة موكلين بالفصل فى هذه القضية ـ تتخذون نحوى عين المسلك الذى كنتم تتخذونه نحو أنفسكم ، لو انكم اضطررتم للتصرف فى ظروف كتلك التى كانت تحوطنى · فاننى لموقن بأنكم لو نظرتم الى سواكم نظرتكم الى أنفسكم ، لما أحجم أحدكم عن أن يثور غضبا لما حدث من اثم ، ولاجمعتم على اعتبار العقاب الذى أوقعته بالقتيل ، عقابا ضئيلا بالنسبة لما ينبغى نحو أولئك الذين يرتكبون مثل ذاك التصرف الاجرامى ··

« ليس هذا فحسب ، بل ان هذا الرأى لن يكون رأيكم وحدكم ، وانما هو رأى اليونان كلها ٠٠ **فهذه هى الجريمة الوحيدة التي يؤخذ فيها القصاص لاوضع الناس شأنا من أرفعهم مكانة ، وينال فيها الحقير من العدالة قدر ما ينال العظيم سواء بسواء ، مهما كانت الحكومة القائمة ٠٠ ديموقراطية أو استبدادية** ٠٠ وهذا كفيل بأن يريكم مدى ما يكنه الجنس البشرى كافة من سخط على أمثال القتيل من لصوص الاعراض!

القتيل هو الذى سعى وراء الزوجة وأغواها

◆ «**وما** أراكم الا مجمعين على تحبيذ قسوة العقاب الذى يلقاه مرتكب هذا الجرم ، ولن يكون بينكم من يبلغ به التساهل ان يؤمن بأن من الجائز الصفح عن مقترفيه ، أو التخفيف عنهم فى العقاب ٠٠

« والذى أريد أن أثبته الآن هو ان « ايراتوستينس » قد أغوى زوجتى ، وانه اذ أفسدها قد جلب العار على أولادى ، كما فضحنى وهتك حرمتى فى عقر دارى ٠٠ وما كان بينه وبينى أى عداء غير هذا ٠٠ ومن ثم فاننى لم أرتكب ما ارتكبت طمعا فى مال يرفعنى من الفقر الى الغنى ٠٠ بل ما سعيت لاى نفع سوى أن أثأر لنفسى فى حدود ما أباحه لى القانون ٠٠

« ولسوف أروى لكم قصتى تفصيلا من البداية ، ملتزما الصدق ، غير مغفل أى شىء ٠٠ فانى لارى فى هذا وحده نجاتى ٠٠ وأرجو ان أوضح لكم كل ما جرى ٠٠ »

اللقاء الاول ، وخطة الفاجر لنيل الزوجة !

◆ **وبعد** هذه المقدمة الموجزة ، التى عنى فيها « يوفيليتس » ــ أو بالاحرى « ليسياس » كاتب المرافعة ــ بأن يبرز ما أجمع عليه الناس من استنكار لجريمة « الزنا » وهتك العرض ، انتقل الى تفصيل القصة فى اسهاب قائلا :

« يا حضرات القضاة : عندما قررت أن أتزوج وأنفذت رغبتى وحملت زوجتى الى دارى ، كان أهم ما حرصت عليه فى مسلكى معها أن أتجنب كل مايسوؤها، دون تفريط يطلق لها الحبل على غاربه ٠٠ ومن ثم راقبتها قصارى جهدى ، وكما ينبغى ٠٠ ولكننى لم ألبث بعد أن أنجبت ابنى ، ان ركنت اليها ، ووثقت فيها ، فأسلمتها كل ما أملك ، اعتقادا منى بأن هذا أعظم برهان على ما أكنه لها من حب ٠٠

« وأشهد ياحضرات القضاة بأنها كانت فى أول الامر من خير النساء ٠٠ كانت زوجة وربة بيت بارعة ، مقتصدة ، دقيقة فى تدبير كل شىء ٠٠

« ثم ماتت أمى ٠٠ وقد أظهرت الايام ان موتها كان مبعث كل متاعبى ، اذ كانت جنازتها أول مناسبة وقعت فيها عينا ذاك الرجل « ايراتوستينس » على زوجتى ! ٠٠ ومع مضى الزمن ، استطاع أن يغويها ٠٠ فقد ظل يتبع خادمتنا كلما سعت الى السوق ، ثم أغراها بما أعد من خطط ان تساعده على افساد مولاتها !

كنت من الغفلة بحيث آمنت بعفة زوجتى !

◆ « على انه يحسن بى أولا أيها السادة ، أن أذكر لكم اننى أملك بيتا صغيرا مؤلفا من قسمين : قسم للرجال ، وآخر للحريم ، وكلاهما سواء فى الحجم ٠٠ وقد جعل قسم الحريم فى الطابق العلوى ، وقسم الرجال فى الطابق الاسفل ٠٠

« فلما ولد ابنى ، تولت زوجتى رعايته بنفسها ، فأشفقت عليها من أن تضطر الى هبوط السلم كلما أرادت أن تنظفه وتهيىء له حماما ٠٠ ومن ثم انتقلت الى الطابق العلوى ، وأفردت الطابق الاسفل للحريم ٠٠ ومن هنا اعتادت زوجتى أن تهبط الى الطابق الاسفل كل مساء فتنام مع الطفل لتلقمه ثديها كلما بكى ٠٠

« ودامت هذه الحال زمنا طويلا دون أن يداخلنى أدنى شك ٠٠ بل اننى على العكس كنت من الغفلة بحيث آمنت بأن زوجتى هى أكثر نساء المدينة عفة وطهرا ٠٠ !

عودة غير مرتقبة ٠٠ وتصرف غريب !

◆ «**ومضى** الزمن تباعا أيها السادة ٠٠ الى أن كان يوم عدت فيه الى دارى من سفر فى الريف، لم تكن عودتى منه مرتقبة فى ذاك الموعد ٠٠ وبعد ان تناولت العشاء مع زوجتى ، تناهى الينا بكاء الطفل وشكواه ٠٠ **والواقع ـ كما تبينت فيما بعد ـ ان الخادم كانت تقرص الصغير ليرفع عقيرته بالبكاء ، كى تخف الام الى الطابق الاسفل ٠٠ لان ذلك الرجل كان فى الدار !**

« على اننى لم أكن أدرى ذلك ، فألححت على زوجتى ان تذهب فترضع الصغير كى يكف عن البكاء ، ولكنها أبدت ـ متصنعة ـ ان سرورها بعودتى بعد طول الغياب يجعلها تشفق أن تفارقنى ٠٠ غير اننى لم ألبث أن ضقت برفضها ، وأصررت على أن تذهب للطفل ، فقالت :



ـ آه ٠٠ تريد أن أذهب لاتركك وحيدا مع الخادم هنا! ٠٠ لقد سبق أن اعتديت عليها حين كنت ثملا ٠٠

« وضحكت من قولها ، فى حين نهضت هى فغادرتنى ، وأغلقت الباب بالمفتاح متظاهرة بأنها تستثيرنى مداعبة ! ٠٠ ولم أر ضيرا فى ذلك على الاطلاق فما كان يداخلنى أتفه ريب

٠٠ لذلك لم ألبث أن أويت الى مضجعى وقد لذ لى النوم بعد التعب الذى عانيته من رحلتى فى الريف ٠٠

صرير الابواب فى جوف الليل !

◆ « **وقبيل** الصباح ، عادت زوجتى ، وفتحت الباب ٠٠ وكان أول ما تبادر لى ان سألتها عن السر فى اننى سمعت صرير الابواب فى الليل ، فزعمت ان المصباح القائم الى جوار فراش الطفل انطفأ ، وانها خرجت تسأل الجيران ما توقده به ثانية ٠٠

« ولم ألج فى السؤال ، فقد صدقتها ٠٠ وان كنت لاحظت – ياحضرات القضاة – على وجهها آثار الزينة ، وبقايا المعاجين والمساحيق ، رغم انه لم يكن قد انقضى شهر على وفاة أخيها ٠٠ ومع ذلك فقد آثرت ان لا أقول شيئا ، بل انصرفت عنها دون أن أنبس ببنت شفة ٠٠

« ومرت فترة – يا حضرات القضاة – أخذت جراح نفسى خلالها تستفحل فتزيد حالى سوءا ٠٠ الى أن كان يوم ، اعترضت طريقى فيه امرأة عجوز – علمت فيما بعد انها كانت موفدة من عشيقة « ايراتوستينس » السابقة ، التى استبد بها الحنق لانه لم يعد يسعى اليها ، فما زالت تبحث حتى استبان لها السبب ٠٠ ومن ثم جاءت العجوز ، وقبعت فى انتظارى على مقربة من دارى ٠٠ حتى اذ رأتنى تقدمت نحوى وابتدرتنى قائلة :

– يوفيليتس ٠٠ أرجو أن لا تظننى راغبة فى التدخل فى شئونك ، ولكن الواقع ان الرجل الذى يسىء اليك والى زوجتك ، عدو لنا ٠٠ ولو انك أمسكت بالخادم المنوط بها ابتياع حاجيات بيتك والتى تعمل فى خدمتك ، وضيقت عليها الخناق ، فانك لن تلبث أن تكتشف كل شىء ! ٠٠ ان الفاجر يدعى «ايراتوستينس» ، وهو من (أويا) ٠٠ وليست زوجتك أول امرأة أغواها ٠٠ فقد سبقتها كثيرات ٠٠ اذ أن الغواية همه وشاغله !

« وما ان نطقت بهذه الكلمات يا حضرات القضـــاة ، حتى انفلتت منصرفة ٠٠

« واستبدت بى الحيرة فى البداية ٠٠ وتدافعت الافكار الى رأسى فملأتنى ارتيابا : تذكرت كيف أغلقت زوجتى دونى باب مخدعى ٠٠ وتذكرت كيف اننى سمعت صرير البابين الاوسط والخارجى فى تلك الليلة ، وهى ظاهرة غير معتادة ، ولم يسبق ان حدثت ٠٠ وتذكرت كيف اننى ارتبت فى وجود آثار مساحيق التجميل على وجه زوجتى ٠٠ كل هذه الامور تدافعت الى ذهنى فأذكت شكوكى !

انتزاع الاعتراف من الخادم !

◆ « **وعدت** الى دارى ، فطلبت الى الخادم أن تصحبنى الى السوق ٠٠ ولكننى بدلا من ذلك استدرجتها الى بيت أحـــد أصدقائى ، وهناك ، فاجأتها بأننى اكتشفت كل ما كان يجرى فى بيتى ٠٠ ثم قلت معقبا :

ـ أمامك مسلكين تختارين أحدهما : اما أن تجلدى وترسلى الى الطاحونة تديرين رحاها وتعيشين ما بقى من عمرك فى تعاسة تامة ٠٠ واما أن تعترفى بالحقيقة كاملة فلا تتعرضى لاى عقاب ، وانما تنالى منى العفو عن ذنبك ٠٠ فلا تحاولى الكذب ، بل قولى الحـــق الصراح ٠٠



« حاولت الفتاة فى البداية أن تنكر ، وقالت انها لا تعـــرف شيئا ، وان لى أن أفعل بها ما أشاء ٠٠ غير اننى لم أكد أصرخ

باسم « ايراتوستنيس » فى وجهها وأذكر لها انه كان يتردد على زوجتى ، حتى بهتت ، وخيل اليها اننى قد اكتشفت كل شىء حقا، واذ ذاك ارتمت على قدمى ٠٠ وما ان حصلت منى على وعد بأن لن يمسها أى ضر ، حتى فضحت القصة بأكملها : ذكرت كيف اتصل بها الشقى فى البداية عقب جنازة أمى ٠٠ وكيف انها رضخت له فى النهاية فحملت رسالته الى زوجتى ٠٠ وكيف ان زوجتى لم تلبث بعد زمن أن اغترت ٠٠ وذهبت أثناء غيابى فى الريف الى حفل دينى مع أم ذلك الرجل ! ٠٠ ثم شرحت لى الخادم كيف انه جرؤ أخيرا على ولوج دارى ٠٠ وروت لى كل ما حدث بحذافيره ٠٠

سارق الاعراض يتسلل الى الدار ٠٠

◆ « **واذ** أدلت التعسة بكل ما كان لديها ، قلت لها :

ـ حذار أن يعرف أحد بشىء من هذا ، والا فلن أرعى عهدى لك ! ٠٠ ثم اننى سأرتقب منك أن تمكنينى من ضبط الآثمين متلبسين ٠٠ فليس للقول المجرد قيمة ، وانما أنا أبغى الدليل الواقعى على ما ذكرت !!

« وقبلت الفتاة أن تفعل ٠٠

« وانقضت بعد ذلك أربعة أيام أو خمسة ـ ولدى قرينة هامة تثبت ذلك ـ ولكننى قبل أن أطلعكم عليها ، أحب أن أروى أحداث اليوم الاخير : « كان صديق وقريب لى ـ يدعى «سوستراتس» ـ عائدا من الريف بعد مغرب الشمس ، فالتقيت به ٠٠ وكنت أعرف انه لتأخره فى العودة لن يجد أحدا من أهله فى داره ، ولذلك دعوته كى يتناول عشاءه معى ٠٠ وعلى هذا سعينا الى بيتى ، وصعدنا الى الطابق العلوى ، حيث تناولنا العشاء ٠٠ حتى اذا أخذ ضيفى قسطا كافيا من الراحة ، انصرف ٠٠ فأويت أنا الى مضجعى ٠٠

« وعلى أثر ذلك ـ يا حضرات القضاة ـ دخل «ايراتوستينس» الى دارى ، فأيقظتنى الخادم وأنبأتنى بوجوده !

الفاجر يفاجأ متلبسا بجريمته !

◆ «**وطلبت** اليها أن تراقب الباب ، ثم هبطت السلم ·· وتسللت فى غير ما ضجة الى الخارج ، فذهبت الى بيوت نفر من أصدقائى تباعا ·· ووجدت بعض من كنت أنشد فى دورهم ، بينما قيل لى ان الآخرين كانوا خارج المدينة ·· وهكذا جمعت أكبر عدد ممكن ممن كانوا موجودين ، وعدت بهم الى بيتى ، فحصلنا على مشاعل من المتجر القريب ، ثم نفذنا الى الدار ·· وكان الباب قد ترك مفتوحا كما دبرت مع الخادم ··

« **واقتحمنا غرفة النوم ، بعد أن حطمنا بابها ·· فرأى أول الداخلين غريمى وهو ما يزال راقدا الى جوار زوجتى ! ·· أما الباقون فرأوه، حين ولجوا ، وقد وقف على الفراش عاريا !**

« وبلكمة واحدة - ياحضرات القضاة - أطحت به ، ثم لويت ذراعيه خلف ظهره وأوثقتهما · وسألته بعد ذلك عما حدا به الى ارتكاب هذه الجريمة ، وهتك عرضى ، والسطو على دارى ·· ! ؟

« فأجابنى بأنه يقر بجرمه ، وراح يتوسل الى ويضرع ان لا أقتله ، وان أقبل ترضية مالية فى مقابل ذلك · غير اننى أجبت صائحا :

- انما الذى سيقتلك هو قانون الدولة لا أنا ·· القانون الذى خالفته وجعلت لملذاتك وزنا يفوق وزنه ·· لقد آثرت أن ترتكب هذه الجريمة ضد زوجتى وأولادى ، على أن تطيع القانون وتخشاه فى تصرفاتك ·· فلا تلومن الا نفسك !

« وهكذا ياحضرات القضاة ، لقى ذلك الرجل المصير الذى نصت عليه القوانين جزاء لكل أثيم على شاكلته ·· »

مناقشة مزاعم الاتهام

◆ **واذ** بلغ « يوفيليتس » هذا الحد من مرافعته ، تحول يناقش مزاعم الاتهام ويدلى بحججه قائلا :

« ان « ايراتوستينس » لم يؤخذ من عرض الطريق ويحمل الى دارى ، لا ولم يكن قد لاذ بمخدع زوجتى فرارا من عدوانى عليه بغير حق ، كما يزعم المدعى ·· **بل ان الوقائع تناقض هذا ، فالضربة التي تلقاها مني انما تلقاها فى غرفة النوم وهو متلبس بجرمه ، وقد خر على أثرها ، فأوثقت يديه خلف ظهره ·· ولم يكن ثمة منفذ للفرار، اذ كانت الغرفة تغص بالناس !··** ولا كان معه سلاح من حديد أو خشب أو أى نوع آخر من الاسلحة يدافع به عن نفسه ضد أولئك الذين دخلوا الحجرة··

« لا ياحضرات القضاة ·· انكم تعلمون مثلى ان الآثمين يأبون دائما أن يقروا بأن خصومهم يقولون الحق ، وانما هم يسعون بالاكاذيب والخدع وما اليها الى اثارة المستمعين ضد أولئك الذين تحروا فى أعمالهم ما تقتضيه العدالة ·· »

وهنا التفت المتهم الى كاتب المحكمة وهتف به :

ـ ألا فلتتل نص القانون ··

فتلى الكاتب « قانون صولون » الذى يبيح لمن يضبط زانيا أثناء ارتكابه جريمته ان يقتله !

وتحول «يوفيليتس» يستأنف مرافعته : « انه لم ينكر اثمه ياحضرات القضاة ، بل أقر بذنبه ، وتوسل وتضرع لينجو من القتل ، ثم عرض ان يدفع فدية ·· **ولكننى لم أقبل ما عرض ، وآثرت أن أجعل لقانون الدولة الكلمة العليا ، وانأرضى كرامتى بتوقيع العقوبة التى قدرتموها على من يرتكب مثل هذه الكبائر، شعورا منكم بأنها أعدل جزاء يناسب بشاعة الجرم ··**

«والآن، ليتفضل شهود الحادث بالمثول بين يدىالمحكمة··»

وتقدم الشهود ، فقرأ كاتب الجلسة أقوالهم ، حتى اذا أتمها أقروا بأنها صحيحة ·· وعندئذ ، قال المتهم :

ـ والآن ·· أرجو ان يقرأ كاتب المحكمة هذا القانون المنقوش على عمود محكمة « أريوبيجس » ··

وتلا الكاتب نصا آخر من قانون « صولون » سجله على عمود بمحكمة « أريوبيجس » ..

القوانين تدعو لقتل هاتك الاعراض !

◆ **ثم** شرع المتهم يستكمل مرافعته قائلا :

« أسمعتم ياحضرات القضاة كيف سجلت بجلاء محكمة « أريوبيجس » ـ التى كان معهودا اليها فيما مضى ، كما هو فى عهدكم هذا ، أمر النظر فى قضايا القتل ـ **ان لا جناح على الشخص الذى يضبط آخر يزنى مع زوجته فينزل به عقوبة القتل .. ولقد بلغ من اقتناع المشرع بهذه النصوص فى حالة المتزوجات أن عمد الى تعميمها بالنسبة لكل امرأة فى حيازة رجل ، فجعلها تشمل السرارى والمحظيات ، مع انهن أقل مكانة من الزوجات** .. ومن ثم فمن الواضح انه لو كان قد وجد عقوبة أخرى أشد وأقسى ـ فى الاحوال التى تختص بالزوجات ـ لاوردها وقررها .. أما وقد تعذر عليه ان يبتكر عقوبة أشد، كى تفرض على من يفسد الزوجات ، فقد اكتفى بأن قضى عليه بعين العقوبة التى تحل بمن يفسد المحظيات والجوارى .. ! »

والتفت « يوفيليتس » الى كاتب الجلسة قائلا :

ـ الا اقرأ هذا القانون أيضا ..

فقرأ الكاتب بعض النصوص الاخرى التى وردت عن الفسق فى قوانين « صولون » ..

الفرق بين الاغتصاب والغواية

◆ **ثم** استطرد المتهم فى دفاعه قائلا : «هاأنتم أولاء ياحضرات القضاة تسمعون كيف أمر المشرع بأن تكون الغرامة التى تفرض على من يعتدى غصبا على أى حر ـ رجلا كان أو صبيا ـ ضعف تلك التى فرضت فى حالة اغتصاب العبد .. فاذا «اغتصب» رجل امرأة وجب بالاحرى أن تفرض عليه الغرامة المضاعفة !

•• ومن هذا ترون ياحضرات القضاة ان المشرع جعل عقوبة المغتصبين أخف من عقوبة أولئك الذين يغوون النساء ، فقرر لهؤلاء الموت قصاصا ، واكتفى بالنسبة للآخرين بالغرامة المضاعفة ! •• **وكانت الحكمة التى أملت عليه هذا التفريق ، ان المغتصبين الذين يستخدمون القوة والعنف يكونون موضع مقت وازدراء المعتدى عليهن ، فلا يفقد زوج المرأة المغتصبة حقه المشروع من حبها وعواطفها! •• فى حين ان أولئك الذين ينالون مآربهم باغواء النساء وافساد عقولهن انما يحملون زوجات الغير على ان يتعلقن بهم أكثر مما هن بأزواجهن** ، ومن ثم تصبح الاسرة كلها تحت سلطانهم ، وتختلط الانساب فلا يدرى أحد من يكون أب الاطفال •• أهو الزوج أم العشيق !

« هذه الاعتبارات هى التى حملت المشرع على أن يفرض الموت عقوبة للاغواء ••

لماذا تحرص الدول على سن القوانين ؟

◆ « **وهكذا** ترون ياحضرات القضاة ان القوانين لا تعتبرنى بريئا فحسب ، وانما هى تأمرنى وتفرض على أن أعمل على تحقيق هذه الترضية لنفسى •• وبقى ان تقرروا ما اذا كانت هذه القوانين سارية ، نافذة ، أو انها لم تعد ذات مفعول ! ؟

« وانى لاعتقد ان الباعث الذى يدعو الدول جميعا الى سن القوانين هو أن تكون مرجعا نرجع اليه عندما نرتاب فى أمر، فنسترشد به الى ما ينبغى علينا •• وعلى هذا ، فان القوانين هى التى تفرض على المنكوب ـ فى هذه الحالات ـ ان ينفذ العقوبة •• وانى لاهيب بكم ان تثبتوا انكم تقرون هذه القوانين، والا فانكم تتيحون للفجار فرصة الفرار من العقاب ، وتغرون لصوص الاموال على أن يزعموا انهم زناة، ادراكا منهم بأنهم اذا انتحلوا هذا الغرض لتبرير دخولهم بيوت الناس ، فلن يمسهم سوء !

اثبات ان الجريمة لم تكن مدبرة

◆ « **ألا** انظروا ياحضرات القضاة مازعمه أهل ذلك الرجل من اننى كلفت الخادم بأن « تستدرجه » ٠٠ اننى أعتقد انه كان من حقى ان انتهج أية وسيلة للايقاع بمن أغوى زوجتى ! ٠٠ ولو اننى اكتفيت بالكلام دون العمل لكنت من المخطئين ٠٠ والواقع ان الامور كانت فى تلك الاثناء قد تطورت الى مدى بعيد، حتى أن الماكر ولج دارى مرارا ٠٠ لذلك أعتقد اننى لم أتجاوز حقوقى ، مهما كانت الوسيلة التى استعنت بها للقبض عليه ٠٠ ومع ذلك ، فثقوا ان زعم الاتهام اننى « دبرت » خطة الايقاع بغريمى تدبيرا سابقا ، انما هو اتهام زائف أيضا ٠٠ وتستطيعون ان تلمسوا الدليل على ذلك فيما سأرويه لكم :

« لقد قصصت عليكم كيف اننى التقيت بصديقى « سوستراتس » وهو عائد من الريف عند مغرب الشمس ، وكيف انه تناول عشاءه معى ، حتى اذا استراح وانتعش ، بادر الى الانصراف ٠٠ فسلوا أنفسكم أولا ـ أيها السادة : « **لو اننى كنت قد رسمت فى تلك الليلة « خطة » لاستدراج «ايراتوستينس» والقضاء عليه عمدا ـ ألم يكن من المستحسن أن أدع صديقى «سوستراتس» يتناول عشاءه فى أى مكان آخر، بدلا من أن أصحبه الى دارى وأقدم له العشاء ؟** ٠٠ ليس من شك فى ان وجود ضيف فى الدار كان خليقا بأن يثبط عزيمة «ايراتوستينس» ويجعله يحجم عن التسلل الى البيت فى تلك الليلة !

« ثم ٠٠ أترونه كان محتملا ـ لو كنت أعرف ان «ايراتوستينس» قادم٠٠ان أدع ضيفى ينصرف ويخلفنى وحيدا؟ ٠٠ أما كان من المعقول ان الحف عليه فى البقاء حتى يساعدنى فى انزال العقوبة بالفاجر ؟

◆ «**ومن** ناحية أخرى ، ألم يخطر لكم أيها السادة ، انه قد كان بوسعى أن أدعو أصدقائى فى أثناء النهار كى يجتمعوا فى منزل

أحد المعارف القاطنين على مقربة من دارى ، تسهيلا لاجراءات استدعائهم فى اللحظة المناسبة ، بدلا من أن أنطلق فى الليل للبحث عنهم بعد اكتشاف أمر تسلل الجانى الى بيتى ، دون أن أثق مما اذا كنت سأجدهم أو لا أجدهم ؟! ٠٠ لقد وجدت ان بعضهم كان فعلا خارج المدينة ، (وما كان لى سابق علم بذلك) ، والبعض الاخر خارج دورهـم - لا أدرى أين ! - ومن ثم اكتفيت بأولئك الذين قدر لى أن أجدهم .

«٠٠ والمهم فى الامر هو: ألم يدر بخلدكم انه كان بوسعي - لو كنت أعرف مقدما بأن الفاجر سيلج دارى فى تلك الليلة - أن أوفد الخدم في النهار الى أصدقائى حتى أضمن لنفسى أقصى درجات السلامة ٠٠ اذ من أدرانى انه لم يكن مسلحا بخنجر أو أى سـلاح ؟ ٠٠ ثم ، ألـم يكن ذلك أدعى الى أن أطمئن الى اننى سأنزل به القصاص أمام أكبر عدد من الشهود ؟٠٠»

نفى وجود عداء بين القاتل والقتيل

◆ **ومرة أخرى** ، دعا « يوفيليتس » شهوده فتقدموا ، وأكدوا ما قرأه الكاتب من أقوال أدلوا بها من قبل فى التحقيق ٠٠ مثبتين ان المتهم طاف بهم فى الليل يدعوهم دون ما سـابق انذار ٠٠

وعاد المتهم يتابع دفاعه قائلا :

« لقد سمعتم أقوال الشهود ياحضرات القضاة ٠٠ **والآن ، استعرضوا القضية في أذهانكم ، وسائلوا أنفسكم - هل هناك ما يوحى بأنه كان بينى وبين « ايراتوستينس » أى نوع من العداء يوما ما ، اللهم الا هذا العداء !** ٠٠ انكم لن تجدوا أى دليل ، فهو لم يتهمنى قط بشر ، ولا حاول أن يستصدر حكما باقصائى عن البلاد ، ولا خاصمنى يوما فى قضية خاصة أمام القضاء ٠٠ كذلك هو لم يكن يكتم جريمة أخشى افتضاحها ، حتى يمكن أن يؤول هذا بأنه حافز كاف على اغتياله ٠٠ لا ولا طمعت بما أقدمت عليه فى كسب شيء من المال ٠٠

« الواقع انه لم يقم بينى وبينه يوما خصام ، لا ولا حتى شجار كذاك الذى يشتبك فيه الرجال اذا أفرطوا فى الشراب ·· **بل ان عينى لم تقعا عليه قط قبل تلك الليلة ! ·· فأى سبب كان يمكن أن يغرينى بالاقدام على تلك المخاطرة ، اللهم الا تلك الآلام التى عانيتها على يديه ؟**

« وأخيرا ·· أو ترون من المعقول أن أدعو الناس ليشهدوا الجريمة ، فى حين انه كان بوسعى ان شئت أن أرتكبها دون أن يدرى أحد أو يشهد ؟ ·· »

امحوا القوانين وعاقبوا الذائدين عن أعراضهم !

◆ **والى** هنا ، كان « يوفيليتس » قد فرغ من تفنيد الاتهام ، فتحول يختتم مرافعته قائلا :

« اننى أعتقد ياحضرات القضاة ان هذا العقاب لم ينفذ لمصلحتى الخاصة ، وانما هو نفذ لمصلحة المجتمع بأسره ·· فان أمثال هذا الوغد لو أدركوا ما يرتقبهم من قصاص عن جرائمهم لترددوا فى انتهاك حرمات سواهم ·· وهم خليقون بأن يغدوا أكثر ترددا لو عرفوا انكم ترون نفس هذا الرأى ··

« والا ·· فمن الافضل أن تمحى القوانين القائمة وتسن غيرها لتنص على عقاب كل من يذودون عن زوجاتهم ، ولتضمن الحصانة لكل من يتعقبون الزوجات بالغواية ! ·· وهذا اجراء أفضل بكثير من أن تتخذ القوانين شراكا للايقاع بالمواطنين ، فتستحث كل رجل على أن يفعل ما يشاء بكل داعر يضبطه فى خدر زوجته ، ثم تسمح ـ رغم ذلك ـ بتعريض الشخص المطعون فى شرفه وكرامته لمحاكمة تفوق فى خطورتها ما ينتظر ذلك الذى يدوس القانون ويفتن زوجات الغير !!

« اننى مثال لهذه الحالة ·· فها أنذا أقف مهددا بفقدان حياتى ، وثروتى ، وكل شىء ·· لاننى أطعت قوانين الدولة ! »

◆ **وبهذا** انتهت مرافعة المتهم عن نفسه ، وتعتبر هذه المرافعة ـ كما قدمنا ـ من أروع نماذج المرافعات الجنائية ، ومن خير

ماكتب «ليسياس» .. **فهو قد وثق من قوة موقف المتهم الى درجة جعلته يحمله على أن يقول انه لم يرتكب جريمته تمشيا مع القوانين فحسب ، بل تمادى فجعله يقول انه بارتكابها انما كان يطيع ما أمرت به القوانين من قتل الزانى !** .. وفى هذا مغالطة – فى الواقع – لان القوانين لم تصر على الثأر للعرض بهذه الطريقة .. فضلا عن انها نصت على امكان قبول التعويض المالى فى هذه الحال .

على أن براعة كاتب المرافعة تبين أكثر وضوحا فى سياقها ذاته ، فانه قد جعل المتهم يفصل قصته فى اسهاب ليبين كيف انه كان زوجا ككل الازواج ، كريما ، رحيما ، يثق فى زوجته ولكنه لا يسلم لها الحبل على الغارب .. وكيف انه عاش طويلا فى غمرة الخداع دون أن يدرى ، على يدى داعر اعتاد اغواء النساء ..

وهكذا قصد من المرافعة تهيئة الاذهان حتى اذا بلغ المتهم فى قصته شرح الحادث الذى سفك فيه دم غريمه ، كان قد اكتسب عطف قضاته فلم يستنكروا اغتياله شخصا أعزل على مشهد من الملأ ، وبرغم ضراعاته وتوسلاته !

كذلك كانت المرافعة من القوة بحيث أظهرت ان الجريمة كانت قصاصا حقا ، لا خطة مدبرة مقصودة .. وهى أكثر قوة فى نهايتها اذ تحاول اقناع القضاة انهم اذ يحكمون باخلاء سراح المتهم ، انما يحققون الصالح العام ، ويعززون ما ينبغى من احترام لحرمات البيوت !

اهمال دور الزوجة وذنبها

◆ **على** ان من أغرب المظاهر التى اكتنفت هذه المرافعة ، خلوها من أى شىء يتصل بدور الزوجة أو مسلكها ، اكتفاء بالنص على ان اتصال الفاجر بها انما تم عن طريق الخادم ، وان لقاءهما الاول تم فى مناسبة من المناسبات النادرة التى كان يباح

فيها للمرأة الظهور أمام الملأ فى أثينا .. وهى مناسبة جنازة أحد الموتى !

ومما يلاحظ أيضا حرص الدفاع على وصف الزوجة بأنها كانت « ضحية » للداعر ، فهو الذى « أفسدها » و «أغواها» ، ومع انه من الواضح انها كانت شريكة له فى الاثم ، الا أن زوجها تنكب الاشارة الى ذنبها..

بقيت اسئلة ثلاثة تعن للقارىء فى خاتمة هذه المأساة ، وهى:

١ ـ هل تلام الخادمة على خيانتها لسيدتها ؟

◆ والجواب : طبعا لا .. فقد كان مصيرها فى يد سيدها ، الذى كان يملك ان يعذبها بكافة وسائل التعذيب الجثمانى .. او يقتلها .. او يفعل بها ما يحلو له !

٢ ـ ما سر مغالاة الزوج فى الاشارة الى متاعب صعود السلم الموصلة بين طابقى منزله ، وهبوطها ؟

◆ والجواب ان السلم التى كانت شائعة فى بيوت اثينا القديمة هى السلم الخشبية البسيطة كالتى يتسلقها النقاشون الآن ليدهنوا الجدران .. ومن هنا يمكن تصور الخطر الذى تتعرض له امرأة تحمل طفلا ، اذا هى اكثرت من الصعود والهبوط عليه ..

٣ ـ ما هو الحكم الذى صدر فى القضية فى النهاية ؟

◆ والواقع انه وان خلت سجلات المحاكمة من ذكر الحكم الذى صدر فيها ، فان الدلائل كلها ترجح انه كان حكما ببراءة المتهم !.. سيما وقد كان الاثينيون يشمئزون من الزنا كل الاشمئزاز ، ويعلقون اهمية كبرى على رابطة الدم ودورها فى تقرير الوراثة ، وواجب الابناء نحو رعاية قبور آبائهم واقامة شعائر العبادة على ارواحهم .. ومن هنا كانت تتخذ كل حيطة ممكنة لتأمين عفة المرأة ، والزامها العزلة فى حياتها ، كما فى نظام « الحريم » فى الشرق !

حدث ذات يوم



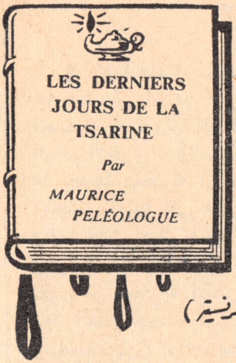
من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب اعتدت أن أطوف بك فى سياحة فكرية شائقة نزور خلالها شتى البلاد والعصور ، كى نلم من كل منها بقصة ، ونشهد فى كل بلد دراما من صميم الحياة والواقع ..

وهكذا مضينا معا فى عدد سابق الى ايطاليا، حيث التقينا بسليلة السفاحين ((لوكريشيا بورجيا)) .. ثم تركناها لنغوص فى بطن الزمن ، فنلتقى بقيصر روما القدمية ((تيبريوس)) .. ومن هناك عدنا الى فرنسا فى عصر نابليون فعرفنا عشيقته البولونية ((مارى فاليفسكا)) .. ثم عبرنا (المانش) الى انجلترا ، حيث شهدنا مأساة ملكتها كارولين ، زوجة الملك جورج الرابع .. ومنها الى فينا، عاصمة النمسا والخمر والغناء والنساء، حيث عشنا مع الاميرة العاشقة التى كانت لها قصة أغرب من أخصب خيال ! .. ثم ارتحلنا الى باريس القرن السابع عشر ، حيث عرفنا قصة لويس الرابع عشر ومدام دى مانتنون.. وكررنا عائدين الى روما القديمة فتعرفنا فيها الى طاغيتها السفاح (نيرون) ، الذى بز فى جرائمه اعتى المجرمين !.. ومن هناك عدنا الى نابولى ولنـدن ، فى ركاب ((ليدى هاميلتون)) عشيقة امير البحر نلسون .. ثم انتقلنا الى فرنسا لنعيش مع الملكة الحمقاء (مارى انطوانيت) حياتها القصيرة العاصفة ..

واليوم أقدم لك فيما يلى قصة مصرع القيصرية الغاشمة فى روسيا عام ١٩١٧، وهى قصة حافلة بالعظات والعبر ..



مصرع القيصرية
فى روسيا

رواية شاهد عيان ، لموريس پليولوج
(سفير فرنسا فى موسكو سابقا وعضو الأكاديمية الفرنسية)



ثورة .. وثورة !

◆ كلما قلبنا صفحات التاريخ ، فى كل مناسبة ، تكشفت لنا أدلة جديدة على أن من حق مصر أن تزهو وتتباهى على العالم بأسره بما اتسمت به ثورتها الحالية المباركة من نبل وشهامة يعز مثالهما فى أمم العالم الاخرى ، ولاسيما الكبرى منها - ولعل من سخرية القدر التى ما بعدها سخرية أن هذه الدول الكبرى التى تضن هيئتها المتحدة ومجلس أمنها على مصر بحقها فى طرد المستعمر الغاصب من أراضيها والاستقلال بحكم ذاتها ، بدعوى أنها ما تزال دولة شرقية «متأخرة» ، وغير جديرة بالخلاص من وصاية الاستعمار البريطانى «المتحضر» .. نقول من سخرية القدر أن مصر هذه هى الدولة التى انفردت من بين دول العالم جمعاء بلون ثورتها «البيضاء» التى تخلصت بها من الطغيان والفساد دون اراقة قطرة دم !.. فقد قرأت معى فى (كتابى) الماضى قصة الثورة الفرنسية الكبرى (١٧٨٩) وكيف اطاحت برأس ملكها لويس السادس عشر وملكتها مارى أنطوانيت .. وتقرأ فيما يلى قصة الثورة الروسية (١٩١٧) وكيف أطاحت برؤوس القيصر نيقولا الثانى وزوجته وولى عهده وبناته الاربع ، فى وحشية منقطعة النظير .. ولن تملك الا أن ترى وتشعر بعد قراءة تفصيلاتها ، أن الثورة المصرية على الملكية الغاشمة الفاسدة سوف تظل مثلا رائعا مفردا فى التاريخ : فى رحمتها القوية .. وفى قوتها الرحيمة ، على السواء !

سوف ترى وتقارن ما فعله الثوار الروس القساة بقيصرهم عندما خلعوه ، بما فعله الثوار المصريون النبلاء بالملك الطاغية عندما خلعوه !.. سوف ترى وتحكم ، كيف أفلت من الاولين زمام أعصابهم فانتهكوا حرمات الانسانية فى أقدس صورها ، فى حين ملك الاخيرون أعصابهم فلم يحيدوا عن مبادىء الاخلاق السامية قيد أنملة ، وانما أخذوا بالحزم أنفسهم قبل أن يأخذوا به غيرهم .. وتوخوا فى كل أعمالهم - وما زالوا يتوخون - السبيل المستقيم والنهج القويم ..

ومما يجدر بالذكر أن مؤرخ قصة مصرع القيصرية الروسية - التى نقدمها اليك فيما يلى - رجل ثقة ، بل دبلوماسى عريق ، هو «موريس باليولوج» الذى كان سفيرا لفرنسا لدى حكومة القيصر فى تلك الايام ، فشاهد نهاية القيصرية بنفسه مشاهدة العيان ، بل عاصرها وعاش فى جو احتضارها الخانق الرهيب .. وهو اليوم عضو بارز فى الاكاديمية الفرنسية ، مجمع الخالدين ، أى أن له كمؤرخ محقق ومدقق مكانة رسمية معترف بها من أكبر هيئة أدبية فى تلك البـــلاد ..

ارغام القيصر على التنازل !

◆ **نحن** فى منتصف ليلة ١٤ ـ ١٥ مارس سنة ١٩١٧ ، فى مقر القيادة العليا للجيوش الروسية فى « موهيليف » ! ... القيصر « نيقولا الثانى » ، قيصر روسيا والقائد الاعلى للجيش ، يباشر عمله فى القطار الخاص الذى اتخذه مقرا للقيادة ..

وفجأة ، قبيل منتصف الليل ببضع دقائق ، يدخل على القيصر فى صالون القطار لفيف من قواد الجيش ، يحملون اليه الانباء المزعجة : ان جنود الجيش قد رفعوا منذ البارحة راية العصيان والتمرد ـ بزعامة حامية بتروجراد ـ وأعلنوا رفضهم الاستمرار فى الحرب ، أى فى تلك المذابح المروعة العقيمة التى تدور رحاها منذ ثلاث سنوات ، بغير نتيجة ! .. والعمال فى العاصمة فى حالة اضراب تام ، ومظاهراتهم الصاخبة تملأ الشوارع .. وقوات الامن التى سلطت عليهم لقمع مظاهراتهم قد انضمت الى صفوفهم ، وبدلا من أن تفرقهم وتشتت جموعهم زادتهم تشجيعا وألهبت حماستهم أضعافا !

وانتهى وفد القواد ، بعد سرد هذه الانباء الخطيرة، الى مطالبة القيصر بالتنازل عن عرشه وعن حق نسله فى العرش من بعده!

صعق نيقولا ، وشحب وجهه شحوب الاموات ، فراح يذرع صالون القطار من ركن الى ركن ، كوحش حبيس فى قفص .. بحيث خشى عليه القواد أن يسقط مغشيا عليه ، فأمهلوه الى الصباح كى يتخذ قراره فى الامر !

ومضى القيصر الى فراشه ، لكن النوم تعذر عليه .. فنهض من الفراش وقضى بقية الليلة يقرأ مسرحية شكسبير الخالدة « يوليوس قيصر » !

وفى الساعة الحادية عشرة والربع من صباح اليوم التالى ـ ١٥ مارس ـ وقع وثيقة التنازل عن العرش ، بقلم رصاص

عادى !! ٠٠ وعلى أثر ذلك قال لبعض خاصته : « الحمد لله٠٠ الآن أستطيع أن أفعل ما طالما اشتقت اليه ٠٠ أذهب الى بيتى فى (القرم) لأمارس هوايتى المحببة : استنبات الزهور ! »

اعتقال الاسرة المالكة ٠٠

◆ **ولم** تمض على تنازل القيصر ستة أيام حتى أعلن فى روسيا ان أفراد الاسرة المالكة جميعا (وكانوا يسمونها أسرة رومانوف) أصبحوا أسرى ـ بارادة الشعب ـ فى قصر «تساركوبسلو» ، حيث كانت القيصرة «الكسندرة فيودورونا» تقيم مع ابنها وبناتها الثلاث من قبل ٠٠

اما فى العاصمة فقد أخذ بناء (الدوما) الشامخ ـ وهو المقر الرسمى للدولة ـ يهتز ويتداعى تحت وطأة زئير الثوار وسعارهم ، وكأن غول العاصفة قد انطلق من عقاله ، فاذا بالوزراء يهربون ويهيمون على وجوههم مشتتين فى جميع الارجاء ، لا يلوون على شىء ٠٠ وخلت العاصمة من حكامها والقابضين على ناصية الامن فيها فاستحالت الى بركة من الدم والنار ٠٠ !

ولم تدرك القيصرة «الكسندرة» فى بادىء الامر مدى خطورة ما يجرى من احداث ، أو لعلها رفضت ان تصدق الحقيقة المرة المروعة ٠٠ وأخيرا صدمها ذلك الصدق الكريه ، فقد رأت ـ أول ما رأت ! ـ الحلقة الاولى من حلقات تلك المأساة التى بدأت بارتماء جنود الحرس الامبراطورى وجميع رجال القصر والياوران ـ حتى رجال البوليس ـ فى أحضان الثوار المنتصرين! **٠٠ ثم رأت ما هو أفظع من ذلك : رأت نفسها ما بين لحظة وأخرى وقد أصبحت وحيدة بلاصديق ، فقد هجرها الجميع حتى خدامها الخصوصيين ، وتخلى عنها أولئك الذين طالما رتعوا فى خيرها ونهلوا من برها واحسانها٠٠ أولئك الاصدقاء النفعيون المنافقون الذين رفعت من أقدارهم وخلعت عليهم**

أسمى الالقاب ورقتهم الى أعلى الرتب ٠٠ كل هؤلاء تخلوا عنها فى محنتها ، فاذا بها تجد نفسها وحولها أولادها الاربعة وحيدين بلا معين ولا خادم ولا رفيق ٠٠ !

المصائب لا تأتى فرادى !

وشاء القدر ان يزيد من بلائها ، ويضاعف من عذابها ٠٠ فاذا بأولادها الاربعة يصابون جميعا بمرض «الحصبة» فى تلك الساعات المروعة الحالكة ٠٠ ثم يشتد بهم المرض فيصابون من مضاعفاته بالتهابات رئوية حادة ٠٠

فى ذلك الجو القاتم الموحش الاغبر لبثت المرأة التعسة تنتظر فى صمت واستسلام ما يضمره لها القدر من مصير !٠٠ وكان أشد ما يقض مضجعها، ويثير هواجسها ومخاوفها، جهلها التام بمصير زوجها الامبراطور ٠٠ فقد اعتقله الثوار فى مكان مجهول ، بعد أن تخلى عنه بدوره أصدقاؤه ومعاونوه ، وأرغمه قواده على كتابة وثيقة ذلك التنازل « المشين » ! ـ فقد كانت القيصرة ترى ان سلطان القيصر مستمد من ارادة الله ، ومن ثم فان تنازله عن حقوقه الشرعية الممنوحة له من الله خطيئة كبرى تعرضه لغضب السماء !

وانقضت على القيصرة ستة أيام طوال وهذا الكابوس الثقيل جاثم على صدرها ٠٠ حتى وصل القيصر مقبوضا عليه وقد بدت عليه علامات الشحوب والاعياء كما لو كان ناقها من مرض طويل٠ وما ان استقر به المقام حتى طمأنها على ما كان يقلق بالها بشأن تنازله عن سلطاته الممنوحة له من الله ، فقد أقنعها بأنه فضل أن يتنازل عن العرش كله على أن يظل قيصرا يسلم فى حقوقه الشرعية التى أقسم أمام الله على التمسك بها حتى الممات ٠٠٠ وبذلك حفظ للقيصرية مافى تقاليدها الموروثة من مناعة، ومهابة، وشموخ !

رسالة الوداع ..

◆ **وكان** القيصر قد رأى قبل ترحيله من مقر قيادته فى « موهيليف » مقبوضا عليه ، أن يبرىء ذمته أمام رجال الجيش .. فوجه اليهم الرسالة التالية :

« **اننى أخاطبكم لآخر مرة يا جنودى البواسل .. فبعد أن تنازلت باسمي واسم ابنى عن عرش روسيا ، انتقلت السلطة الى الحكومة المؤقتة التى تكونت بناء على رغبة مجلس « الدوما » الامبراطورى .. واننى لادعو الله أن يساعد هذه الحكومة على السير بوطننا الى النصر والمجد ، وأن يعيننا على الدفاع عن روسيا ضد عدو ظالم مغتصب** ... لقد تحملتم أيها الجنود البواسل أعباء جسيمة أثناء قيامكم بأعمالكم الشاقة زهاء عامين ونصف عام .. وقد أريق دم غزير عزيز .. وهاقد دنت الساعة التى يجب فيها على روسيا وحلفائها أن يتضافروا ويثبوا وثبة قوية جبارة على العدو فيشتتوا شمله ويهزموه !! **ان هذه الحرب التى لم يسبق لها مثيل يجب أن تقود روسيا الى نصر حاسم .. وكل من تحدثه نفسه الآن بعقد صلح مع العدو هو خائن لروسيا** .. اننى واثق كل الثقة بأن حبكم لوطنكم ، ذلك الحب الذى لا يعرف حدا ، ولا سدا ، ولا قيدا .. لن يخبو نوره فى قلوبكم .. فليباركم الله .. وليأخذ بأيديكم الى النصر المؤزر المبين .. ! »

تطورات الثورة ..

◆ **وخلال** شهور الصيف التالية تحول الجيش ، الذى خاض غمار الحرب العالمية الطاحنة نحو ثلاث سنوات مريرة ، الى جموع مسلحة لا هم لها غير العودة الى بيوتها ، حيث الاحضان الدافئة للزوجات والابناء ، وحيث السلام والسكينة اللذين طال الشوق اليهما .. وفى هذه الاثناء كان الثوار ـ من الناحية الاخرى ـ قد أصابهم شبه سعار تعذر كبح جماحه ، فازدادت نيران الثورة



القيصر وولى العهد

اندلاعا ٠٠ وفى غمرة هـــذه الاحداث رؤى ان بقاء الاسرة المالكة وسط هذا الصخب المتأجج الفوار قد يكون فيه خطر يهدد حياة أفرادها ، فنقلتهم الحكومة المؤقتــة ــ فى ٢٣ أغسطس ــ الى مدينة «توبليسك» وهى مدينة قريبة من بتروجراد، هادئة، بعيدة عن طرق المواصلات ٠٠ فضلا عن ان سكانها كانوا لا يكرهون القيصر ولا يضمرون له حقدا ٠٠

تنكر الاصدقاء ٠٠ !

غير ان رحيل الاسرة المالكة الى تلك المدينة كان دليلا على تفاقم الخطر ٠٠ **وكانت الحكومة المؤقتة قد أجازت للقيصر وزوجته أن يختارا من يشاء ان من الاصدقاء ليرافقوهما الى المعتقل ٠٠ فأخذا يبحثان عن أصدقائهما الذين طالما تقلبوا فى أعطاف نعم القيصرية ٠٠ لكنهما لم يعثرا لاحد منهم على أثر ، حتى ولا بين الخدم! ٠٠ وأخيرا لم يلب دعوتهما ويحفظ ودهما الا الجنرال «تاتستشف» وخمسة آخرين ٠٠**

وفى ذلك المعتقل ذى الاسوار العالية ، وتحت حراسة شديدة تخنق الانفاس ، وفى جو تكتنفه الجاسوسية التى تحصى على المعتقلين حركاتهم وسكناتهم ٠٠ عاش القيصر وأسرته المكونة من زوجته وابنه وبناته الثلاث ، والاصدقاء الخمسة الـــذين رافقوهم الى هذا المكان الموحش المقفر القاتم الذى يبسط الذعر عليه جناحيه الاسودين !

الشيوعيون يتولون الحكم

◆ **على** ان أكثر ما كان يمض القيصر ومرافقيه ، ويزيدهم قلقا وضجرا وضيقا ، انقطاع الاخبار السياسية عنهم انقطاعا تاما !.. وبينما هم فى ذلك الظلام الدامس ، اذا بالاخبار تجيئهم ـ وكان ذلك يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩١٧ ـ بأن الثوار السوفييت قد ثاروا أيضا على الحكومة المؤقتة التى خلفت القيصرية ، وكانت برئاسة الكسندر كيرينسكى ، وأسقطوها من الحكم .. وان السلطات جميعا قد انتقلت الى يد « لينين » !

واستطاعت الحكومة الجديدة أن تكتل فى صفها العطف السلبى على الاقل من جانب الاغلبية العظمى من جنود الجيش ، وذلك باتباعها سياسة المعارضة فى استمرار الحرب والجنوح الى فكرة التسليم وعقد الصلح .. وفى أواخر ديسمبر سمع القيصر وأسرته فى معتقلهم بقيام الدكتاتورية البلشفية ، وجاءتهم أخبار الشناعات التى ترتكبها الحكومة الجديدة ، من قتل ونهب وتدمير وتعذيب ومحاكمات .. ومن هدم للكنائس واستباحة لمقدساتها .. وبذلك تحققت نبوءة الداهية « راسبوتين » الذى قال مرة فى رهط من سامعيه : « اذا مت فسوف تقع روسيا فى مخالب الشيطان ! »

وقعت هذه الاخبار على القيصر وقوع الصاعقة .. فقد كان يتوقع أن تضحيته بشخصه وتنازله عن العرش ، سيخففان من حدة الازمات السياسية فى روسيا ويكبحان جماح الاحقاد والضغائن التى تراكمت ضد نظام الحكم القديم .. ولم يكن ليتصور ان تنازله عن العرش سيجىء الى الحكم بأعدائه البلاشفة !

وبعد ذلك نمى الى علم القيصر أن معاهدة «برست ليتوفيسك» قد وقعت ، وهى المعاهدة التى وقعها الكرملين مع الالمان لانهاء حالة الحرب بين البلدين ، والتى كانت خنجرا مسموما مزق

أوصال روسيا تمزيقا ! ٠٠ وكان ضمن شروط هذه المعاهدة أن تسلم الاسرة المالكة حية الى الالمان ٠٠ فما ان علم القيصر بذلك وهو فى المعتقل حتى صاح يقول: «انهم يريدون تحقيرى واذلالى أمام الشعب !» ٠٠ وصاحت القيصرة بأعلى صوت : « اذا كانت مصائرنا ستكون فى أيدى الالمان فانني أفضل أن نذبح بيد البلاشفة ! »

◆ **على** ان بلايا القيصر وأسرته فى المعتقل لم تقتصر على كل هذه المآسى ، وانما زاد عليها ما بدأوا يستشعرونه من أزمة مادية قاسية فى حياتهم اليومية كانت تزداد وطأتها شدة يوما بعد يوم٠٠ كما استبدلت الحامية الصغيرة التى كانت تقوم بالحراسة بحامية أخرى من عمالقة الحرس الاحمر كانت مكونة من جنود على درجة كبيرة من القحة والغطرسة والفضول بل سوء الادب مع بنات القيصر بوجه خاص ! ٠٠ وبرغم ذلك فان القيصرة « الكسندرة فيودورونا » احتفظت بثباتها ، وظل ايمانها بالله أمام هذه الكوارث وطيدا لا يتزعزع ٠٠ بحيث كانت تقابل كل مصيبة جديدة تحل بهم قائلة فى ثبات عجيب :

ـ علينا بالتسليم ٠٠ ان الله هو الذى أراد بنا ذلك ، فعلينا ان نتضرع اليه سبحانه كى يجنبنا هذه الكأس على حد قول المسيح ٠٠ فلنتقبل آلامنا بصبر ولنشكر الله على المصائب التى تحل بنا ٠٠ ولنخضع لارادته ، ونضع أنفسنا عند موطىء قدميه ٠٠ !

رحلة غامضة ٠٠ الى مكان مجهول !

◆ **وتوالت** أيام الالم والعذاب ٠٠

وفى ٢٢ أبريل وصل الى مقر القيصر رجل يدعى « بازيل ياكوبليف » قادما من موسكو ٠٠ **كان «بازيل» هذا يتمتع بسلطان لا حد له ٠٠ فكان فى وسعه أن يأمر باعدام أى انسان بدون محاكمة ولمجرد الاشتباه فى أمره !٠٠ وما كاد يقابل**

القيصر نيقولا الثانى حتى أخبره بأن لديه تعليمات تقضى بنقله هو وأسرته وحاشيته الصغيرة الى مكان لم يرد أن يكشف له أمره ، وفى رحلة تستغرق أربعة أو خمسة أيام ..

وحاول القيصر أن يعرف شيئا عن هذه الرحلة : الى أين هو ذاهب ، ولاى غرض ؟ .. وظل يلح على « بازيـل » ويرهقه بالاسئلة فى هذا الشأن ، بينما هذا يتهـرب من الاجابة على أسئلته .. حتى تمكن القيصر آخر الامر من أن يفهم من بعض اجابات « بازيل » ان زعماء البلاشفة كانوا قد تعهدوا للالمان بتسليم القيصر لهم حيا ، وان الالمان يريدون الآن ارغامه على التوقيع على معاهدة « برست ليتوفسك » المذكورة .. فما كاد القيصر يحاط علما بهذا السر حتى صاح مذعورا :

ـ اننى أفضل أن تقطع يدى على أن أوقع معاهدة « برست ليتوفيسك » !

وفى ٢٣ مايو ، فى الساعة الثالثة صباحا ، سافر القيصر والقيصرة تصحبهما احدى بناتهما فى تلك الرحلة الغامضة .. أما باقى أولادهما وحاشيتهما فقد لحقوا بهما بعد ذلك .. واجتمع شمل الاسرة المالكة فى غرفتين من منزل قديم متواضع فى احدى ضواحى المدينة الصناعية الكبرى «ايكاتريمبورج » الواقعة تحت سفوح جبال الاورال .. وكان ذلك المنزل ـ الذى طوق بحراسة فولاذية ـ يعرف باسم منزل ايباتييف ..

تعذيب القيصر واسرته !

ولم يكن من العسير على القيصر وزوجته ومن معهما أن يدركوا انه قد تقرر معاملتهم منذ تلك اللحظة بغير أدنى احترام أو لياقة أو عطف .. فقد كان أول اجراء أتخذ ضدهم هو اقصاء بعض مرافقيهم وابعادهم عن المدينة الى حيث زج بهم فى السجون .. ثم اسندت حراسة منزل « ايباتييف » تحت امرة ضابطين يهوديين هما « جاكوب يوروفسكى » و « شالا جولوشكين » ،


القيصرة

وكانا عضوين فى اللجنة التأسيسية للحزب الشيوعى فى موسكو .. وقد زودتهما حكومة موسكو بتعليمات سرية ومنحتهما سلطات لا حد لها ، فكان أول عمل قام به «يوروفسكى» هو أن أقام باحدى حجرات الطابق الاول من المنزل حتى يتمكن من مراقبة المعتقلين عن كثب واحصاء كل حركة تقع فى تينك الغرفتين الضيقتين اللتين يقيم فيهما القيصر مع أسرته .. وبهذا أصبح المعتقلون يعيشون فى جحيم مقيم لا يطاق! **بل لقد تجاوز تعذيب أفراد أسرة « الامبراطور السابق » وعائلته حدود كل معاملة انسانية ، فلم يسمح لهم بغير طعام أفقر طبقة من الفلاحين .. وحرموا من السكر ، والقهوة ، والقشدة ، والزبد ، والملح .. وبالاختصار كان طعامهم قاصرا على الخبز الاسمر وحساء الخضروات ، مرتين فى اليوم !** .. كما دهنت نوافذ البيت بطلاء كثيف كى لا يروا شيئا مما يجرى فى الخارج. وحرم عليهم فتح تلك النوافذ ، حتى لقد حدث ان فتحت صغرى بنات القيصر ـ الاميرة أناستازيا ـ احدى النوافذ ذات يوم لتستنشق نسمة هواء ، فما كان من الحارس الا أن أطلق نحوها النار ارهابا فى الحال !

امتهان كرامة القيصرة والاميرات !

وكانت كل النزهة المسموح بها لافراد الاسرة أن يتمشوا فى حديقة خلفية صغيرة لمدة خمس دقائق فقط كل يوم .

وقد بلغ من حرمانهم من الشمس والهواء ان أصيب الصبى ولى العهد باعياء أعجزه عن السير ، فكان أبوه القيصر يحمله على ذراعيه كلما خرجوا فى تلك النزهة اليومية المتواضعة ..

وكان حراس المعتقل يطوفون فى أرجائه نصف عراة ، ويوجهون الى الاميرات الصغيرات عبارات بذيئة ، ويغنون تحت نوافذهن فى الليل أغانى مبتذلة .. وذات يوم جرؤ أحدهم فاختطف من القيصرة كتابا من كتب الجيب كانت تقرؤه ، كما اختطف كيس نقودها ، قائلا لها فى قحة : « انك لن تحتاجين هنا الى نقود ! »

وكان القيصر نفسه رجلا وديعا دمثا ، لم يتذمر قط من هذه المعاملة .. أما زوجته فقد انهار احتمالها آخر الامر فصارت تشكو وتتذمر ليل نهار وبلا انقطاع ، وتقسم لتنتقمن يوما من « هؤلاء الوحوش ! »

الجيش الابيض يزحف ..

وذات يوم بدت على الضابطين اليهوديين علامات اضطراب ظاهر ، فقد جاءت الانباء تحمل أخبارا مزعجة لحكومة لينين : **ان جيشا بقيادة الاميرال « كولتشيك » أطلق عليه اسم « الجيش الابيض » ، مؤلفا من فرقتين وآلاف المسجونين ، أخذ يزحف من سيبريا مجتاحا أمامه القوات الروسية الحمراء اجتياحا ساحقا .. وهذه القوات الروسية الحمراء تتراجع مدحورة أمامه فى كل مكان ، بينما يتقدم « الجيش الابيض » شاقا طريقه منتصرا نحو مدينة « ايكاتريمبورج » التى يقيم فيها الامبراطور مع أسرته معتقلين ..**

أمام هذه الحوادث المفاجئة الخطيرة ، أسرع الضابطان الروسيان اليهوديان « يوروفسكى وجولوشكين » المنوط بهما حراسة القيصر ، الى (لينين) ليتلقيا منه آخر التعليمات عن أسرة « رومانوف » ومصيرها ..

مجزرة فى منتصف الليل !

◆ **وفى** مساء يوم ١٦ يوليو تناول المعتقلون عشاءهم البسيط فى الساعة الثامنة كالمعتاد ثم أخذوا يتسلون بلعب الورق٠٠ وكانت الامبراطورة مريضة ، فتوقفوا عن لعب الورق وأخذوا يقرأون معا بصوت مرتفع بعض فقرات من الانجيل ٠ ثم أووا الى فراشهم فى الساعة العاشرة والنصف ٠٠ وبينما هم نائمون اذا بهم يستيقظون مذعورين فى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل على صوت حركة عنيفة فى الحجرة المجاورة٠٠ وفجأة فتح باب الغرفة بعنف وقد اقتحمه الضابط «يوروفسكى» بصحبة عدد من الحراس ، وصاح الضابط بهم فى صوت خشن قاس :

ـ استيقظوا ٠٠ والبسوا ثيابكم حالا ٠٠ ان الاوامر قد صدرت بنقلكم الى مكان آخر لان الجيش الابيض يتقدم ويوشك أن يدق أبواب مدينة « ايكاتريمبورج » !

فما أن أطاعوا الامر وارتدوا ملابسهم حتى اقتادوهم الى حجرة خاوية مظلمة ضيقة مليئة بالعناكب ، تقع فى الدور الاسفل (بدروم المنزل) ٠ وكان عددهم أحد عشر شخصا هم كل من تبقى فى معتقل « ايباتييف » ٠٠ وهناك صاح بهم أحد الحراس: « انتظروا هنا ، فستحضر سيارات بعد لحظات لتنقلكم الى مكان آخر » !

لم يدر بخلد الامبراطور الا أنهم سينقلون الى مكان آخر ـ اذ لم تساوره أدنى ريبة فى أن شرا مستطيرا وشيك الوقوع ! ـ وطال بهم الانتظار ، وكانوا وقوفا ، فطلب القيصر بعض المقاعد لتستريح عليها القيصرة المنهكة المريضة والاطفال الصغار ، فجيء لهم بمقعدين ٠٠

وبينما هم كذلك اذا بباب الحجرة يفتح فجأة ويظهر منه «يوروفسكى» رئيس القوة ومعه عشرة من الحراس ، فيقتحمون

جميعا الغرفة كالوحوش الضارية وقد شهر كل منهم مسدسه ٠٠ وقال يوروفسكى : « لقد حاول أصدقاؤكم أن ينقذوكم لكنهم لم ينجحوا ، لذلك سنقتلكم فورا !» ٠٠ **ثم صوب الضابط غدارته الى صدر نيقولا الثانى وأطلق الرصاص ، فخر القيصر صريعا فى الحال ٠٠ وفى تلك اللحظة بدأ الجنود العشرة يطلقون مسدساتهم على النساء ، لكنهم كانوا من الاضطراب بحيث تناثرت أكثر رصاصاتهم دون أن تصيب مقتلا، فاضطروا الى اعادة الكرة مرات ومرات ٠٠ بينما النسوة العاجزات (والصبى ولى العهد) يجرين بين جدران الحجرة ويتخبطن صارخات، وكل منهن تحاول الاختفاء وراء الاخرى والاحتماء من الرصاص المنهمر بوسائد من الريش !**

وحين انتهت هذه المجزرة البشعة المروعة ، التى لم تستغرق من الوقت أكثر من دقيقتين ، اندفع الجنود يطعنون الجثث بحرابهم فى قسوة منقطعة النظير ٠٠ حتى تحولت الحجرة الضيقة المظلمة الى بركة من الدم ! وحين سكنت كل حركة لم يعد يسمع فى المكان غير نباح ملتاع لكلب صغير راح يبحث بين الجثث عن سيدته ٠ وحتى هذا الحيوان لم ينج من وحشية القتلة فطعنه أحدهم بحربته قبل أن يخرج !

اخفاء معالم الجريمة ٠٠

ولكن ، لم يكن ذلك هو كل ما كلف هؤلاء السفاحون بأن يفعلوه ٠٠ فان أوامر موسكو كانت تقضى باخفاء معالم الجريمة تماما ٠ ان أحد عشر جثة يجب أن تختفى فلا يظهر لها أثر ، ولا يمكن العثور عليها بأية وسيلة!

جئ بعربة نقل «لورى» ، فأخذ السفاح «يوروفسكى» ومعاونوه يلقون فيه بالجثث التى كانت ما تزال ساخنة ينزف منها الدم ، وانطلقوا بها الى غابة مجاورة للمدينة هى غابة « كوبتياكى » ، باذلين جهدهم لتجنب الطرق المزدحمة حتى لا

يلفتون اليهم الانظار ٠٠ وأخيرا توقفت قافلة القتلة فى مكان بعيد فيه بؤرة عميقة لمنجم حديد مهجور .

وفتح اللورى ، وألقيت محتوياته على الارض ، فأخذ الجلادون يجردون الجثث من ملابسها وحليهـــا وكل ما يكسوها من غال ورخيص ٠٠ وفى بربرية يترفع عنها سكان الاحراش ، ووحشية تقشعر لها أبدان ذوات المخلب والناب ، راحوا يمثلون بالجثث أبشع تمثيل : فصلوا الرؤوس عن الاجساد ٠٠ وأعملوا فيهـا الخناجر والفؤوس ٠٠ وسحقوا العظام ٠٠ ومزقوا اللحم شر ممزق ٠٠ ثم جاءوا بمائتى كيلو جرام من محلــول حــامض «السلفريك» وصبوها على الاشلاء المبعثرة المتناثرة ٠٠ وجاءوا أيضا بمائتى كيلوجرام من البترول وصبوها كذلك على تلك الاشلاء ٠٠

ثم أشعلوا النار ٠٠ ووقفوا يتفرجون !

فلما أتت النيران على هذه البقايا الآدمية ٠٠ جمعوا فضلاتها، وألقوا بها فى جوف المنجم المهجور !!

الجريمة ٠٠ والعقاب !

◆ **على** هذه الصورة المروعة التى لم يسبق لها مثيــل فى التاريخ ، انتهت حياة آخر قياصرة الروس « نيقولا الثانى » ، الرجل الذى حكم سدس الكرة الارضية ، بيد من حديد، أكثر من ربع قرن !٠٠ والذى قدرت تركته عند موته بما قيمته عشرة ملايين جنيه من الاراضى ، وستة عشر ألف جنيه من الحــلى والجواهر الكريمة (بين ماس ولؤلؤ وياقوت) ٠٠ وكان ايراده الشهرى مائتى ألف جنيه ، أى بمعدل خمسة جنيهات فى كل ثانية !!

على أن الانصاف يقتضى الاعتراف بأن تلك المجزرة لم تكن اجراء رسميا أمرت به الحكومة الروسية الجديدة ــ السوفيتية ــ وانما أغلب الظن انه تم بدون اذنها ، بواسطة نفر من الثوار

المتهوسين المتعطشين للدماء، الذين لا يأتمرون بأمر أحد غير أنفسهم ! .. بل ان الحكومة قبضت يومئذ على عدد من هؤلاء الثوار ، وحاكمتهم بتهمة قتل القيصر، ثم أعدمت خمسة منهم..

اصبع .. ودبلة زواج !

أما البقايا الضئيلة المتخلفة عن جثث الاسرة القيصرية فهى مدفونة الآن فى باريس ، ففى يناير سنة ١٩٢٠ تسلم القنصل الامريكى العام فى سيبريا من صديق له صندوقا خشبيا مربوطا بحبل ، كى يوصله الى اللجنة البريطانية العليا فى « هاربن ».. ولم يكن القنصل الامريكى يعلم شيئا عن محتويات الصندوق، وما كان ليعبأ بذلك.. وكان القطار باردا فجعل القنصل يحك قدميه فى الصندوق كى يستدفىء بعض الشىء !.. فلما وصل القطار الى «هاربن» ذهل القنصل اذ علم ان ذلك الصندوق كان يضم البقايا المحترقة المتحللة لجثث القيصر وزوجته وأولاده !

وعلى أثر ذلك أرسل الصندوق الى شنغهاى، ومنها الى باريس .. وفى باريس فتح الصندوق أخيرا ، فعثر ضمن محتوياته ـ بين ما عثر عليه ـ على اصبع من أصابع القيصرة وحوله « دبلة » الزواج !

ولا شك ان القيصر ـ الذى كان مولعا بقراءة شكسبير ـ قد قرأ مرارا للشاعر الانجليزى الخالد هذه العبارة : « ان الذين يبلغون القمة ، يتعرضون لزوابع الرياح الشديدة التى تهب على القمم العالية .. فاذا استطاعت هذه الرياح أن تدفعهم نحو الهاوية ، كان سقوطهم عظيما ! »

تخلص !

◆ **طلب** ثرى بخيل من الرسام الشهير « هوجارث » أن يزين بهو قصره بلوحة تصور مأساة غرق جنود فرعون فى البحر الاحمر عند مطاردتهم لموسى وأتباعه من الاسرائيليين ·· وبلغ من مساومة الثرى للفنان بصدد أجره عن اللوحة ان الاخير قبل فى النهاية أن يرسمها مقابل نصف الثمن الذى طلبه فى البداية ! ·· ولم يمض يومان حتى اتصل هوجارث بعميله يخطره بأن اللوحة قد تمت ! فلما ذهب لرؤيتها وهو مذهول من سرعة انجازها فوجىء بالفنان يزيح له الستار عن لوحة مدهونة كلها باللون الاحمر ، دون أن يتخللها أى رسم !

فهتف بمحدثه حانقا : « ما هذا ؟ ماذا فعلت ؟ لقد طلبت منك مشهد البحر الاحمر .. »

ـ اليك البحر « الاحمر » !

ـ ولكن أين بنو اسرائيل ؟

ـ انهم جميعا قد عبروه ··

ـ وأين المصريون ؟

ـ غرقوا !!

معقول !

◆ **كان** لحاكم أثينا القديم «تيميستوكل» ابن تدلله أمه اكثر مما ينبغى.. فقال الاب يوما لجماعة من اصدقائه:

ـ هذا الطفل هو ملك بلاد اليونان ··

ـ وكيف ذلك ؟

ـ انه يحكم أمه ، وأمه تحكمنى ، وأنا أحكم أثينا ·· وأثينا تحكم اليونان كلها !

يحكى عن العظماء :

واحدة .. بواحدة !

◆ **أراد** الاديب الفرنسى الكبير « بول بورجيـــه » ان يسخر يوما من العقلية الامريكية ، فقال لزميله الاديب الامريكى الفكه « مارك توين » :

– ان الحياة لا تغدو أبدا مملة بالنسبة للامريكى ، فهو حين لا يجد ما يشغله يستطيع أن ينفق بضع سنوات محاولا أن يكتشف من كان جده !

فأجابه مارك توين على الفور :

– الحق معك .. ولكن يخيل الى ان الفرنسى أيضا عنده ما يشغله ويبدد سأمه .. فهو حين لا يجد عمــلا ينفق فيه وقته ، يحاول أن يكتشف من كان أبوه !

الابد .. فى عرف النساء !

◆ **عرفت** «بولين بونابرت» – شقيقة نابليون – بكثرة مغامراتها الغرامية .. وكان من بين من أحبتهم النائب « فريرون » – قوميسير الجمعية الوطنية – فكتبت اليه تبثه غرامها بهذه العبارات :

« **أحبك على الدوام حبا حارا عنيفا .. وسأحبك الى الابد يا معبودى الجميل ، يا قلبى ، يا عشيقى الرائع .. أحبك ، أحبك ، أحبك ، يا أجدر المعشوقين بأن تحب ، وأقسم لك اننى لن أحب سواك مدى الحياة !** »

وبعد أسابيع ، تدلهت بولين فى حب الضابط «جونو»، الذى وصل فيما بعد الى مرتبة « فيلد مارشال » !

◆ **البشر مستعدون دائما لان يريقوا اعجابهم على الاموات ، لان هؤلاء لن يسمعوا هذا الاعجاب ، ولن يستمتعوا به !**

« هازليت »

◆ **الحسود يمتدح دائما من هم أقل منه ، ويغض من شأن من يتفوقون عليه !**

« كولتون »

الادب عندهم ٠٠ وعندنا !

◆ **عندما** كان «تشارلس ديكنز» ينشر قصته المشهورة (THE OLD CURIOSITY SHOP) مسلسلة فى احدى المجلات الدورية ، كانت أعداد المجلة تنقل الى أمريكا بطريق البحر ، فكان شوق جماهير القراء فى الدنيا الجديدة الى قراءة فصول القصة يتزايد أسبوعا بعد أسبوع ٠٠ بحيث صاروا يتزاحمون على رصيف ميناء نيويورك فى انتظار رسو السفينة التى تحمل أعداد المجلة ، كى يشتروها بمجرد انزالها الى البر ! ٠٠ فلما حل موعد نشر الفصل الاخير من القصة كان فضول القراء ولهفتهم على معرفة نهايتها قد بلغا حدا جعل نحو خمسة آلاف قارىء يحتشدون على الرصيف فى انتظار رسو السفينة ، بل انهم لم يستطيعوا صبرا حتى يتم انزال نسخ المجلة الى البر ، فلم يكد بعضهم يلمح ربان السفينة على ظهرها حتى هتفوا يسألونه السؤال الذى يلهب ذهن كل منهم : « هل مات الصغير (نيل) ؟ »

و « الصغير نيل » هو أحد أشخاص القصة المحبوبين !

اقوال فى الحسد والغيرة ٠٠

◆ **الغيرة من جانب المرأة مجرد جرح لكرامتها .. أما بالنسبة للرجل فهى عذاب عميق عمق آلام النفس ، دائم دوام آلام الجسد !**
« اناتول فرانس »

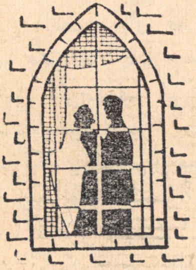
◆ **الحسد أطول عمرا من سعادة المحسود !**
« لاروشفوكو »

◆ **الحسد خليق بأن يثير فينا شعور الرثاء للحاسد - أكثر من الغضب والحنق - فهو دليل على عجزه وقصوره .. ومن يحسد آخر ، انما يعترف بتفوق الآخر عليه !**
« هوراس والبول »

◆ **الغيرة تنطوى على حب الذات ، أكثر مما تنطوى على الحب !**
« لاروشفوكو »

◆ **حيثما صادفت حسدا ، أجد لذة فى أن أتحداه ، بأن امتدح امام الحاسد اولئك الجديرين باثارة حسده !**
« مونتسكيو »

خلف النوافذ المغلقة



عباقرة الإنسانية

فى حياتهم الخاصة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد الستة الاولى من (كتابى) قدمت لك فى هذا الباب قصة الحياة الخاصة لفيكتور هوجو ، كما كتبها أديب من اسرته وذوى قرباه هو «اليون دوديه»

وفى كتابى الممتاز الاول قدمت لك فى نفس الباب «اعترافات جان جاك روسو» ، وهو الكتاب الذى فتح فى الادب «الشخصى» فتحا جديدا ، اذ كان أول كتاب يتحدث فيه اديب عن نفسه ، «فيشرح» عيوبه قبل حسناته بصراحة وجراة لم يكن للناس عهد بهما من قبل ..

واليوم اقدم لك فيما يلى الفصل الاول من هذا الكتاب الممتع الذى أصدره الاديب العالمى «أندريه موروا» منذ أسابيع وروى فيه حياة الاديبة والملهمة الخالدة «جورج صاند» ، بالقلم البارع الذى قدم للعالم من قبل قصص حياة كل من : شيللى .. دزرائيلى .. بيرون .. تورجنيف .. فولتير .. ديكنز .. شاتوبريان .. الخ

وسوف نتابع فصول هذا الكتاب الشائق فى أعداد كتابى القادمة باذن الله


LÉLIA
LA VIE DE
GEORGE SAND
Par
ANDRÉ MAUROIS

هذا الكتاب ..

◆منذ قدمت لك ـ فى الاعداد الستة الاولى من كتابى ـ تلخيصى المطول لكتاب «مأساة قلب» ، الذى روى لنا قصة الحياة الخاصة لاديب فرنسا الكبير «فيكتور هوجو» ، لم تنقطع رسائلك الكريمة عن مطالبتى بالمزيد من الكتب التى تصور الحياة الخاصة لعباقرة الانسانية ، وتصف خلجات نفوسهم ونزوات قلوبهم التى توحى اليهم بما يبدعون من آيات خالدات ، فى الادب أو الموسيقى أو غيرهما من فروع الفن ..

وأصارحك باننى لم أتوان عن تقديم المزيد من الكتب فى هذا الباب منذ ذلك التاريخ حتى الان ، الا لاننى لم أكن قد وجدت الكتاب المناسب الذى يجمع بين تصوير خلجات قلب عبقرى ، وبين التزام اسلوب الفن الرفيع فى هذا التصوير ، بحيث يكون الكتاب دراسة أدبية ونفسية ، وليس ثرثرة رخيصة فاضحة ..

والكتاب الذى أقدمه اليك ابتداء من اليوم ـ فى تلخيص مطول مسلسل ـ هو من أروع الكتب التى تتفق مع أهداف «كتابى» ، وهو أحدث كتاب للاديب الفرنسى ـ بل العالمى ـ المعاصر «أندريه موروا» ، وقد صدر خلال العام الحالى (١٩٥٣) ، وترجم بمجرد صدوره الى جميع لغات العالم الحية !

فتعال معى نقرأ فصول هذا الكتاب الممتع فصلا فصلا ، فانه لا يصور لنا حياة تلك الاديبة و«الانسانة» ذات النفس المرهفة «جورج صاند» فحسب .. ولا يكتفى بأن يروى لنا بالتفصيل الكامل قصص صلاتها العاطفية الملهمة لعدد كبير من العباقرة المعاصرين لها .. وانما هو يصور ـ الى جانب ذلك كله ـ عصرها «الرومانتيكى» الزاهر الذى لن يجود الدهر بمثله .. العصر الذى تصفه جدة جورج صاند فى احدى رسائلها بهذه العبارات : « آه ، فى تلك الايام كان الناس يعرفون كيف يعيشون ، وكيف يموتون !.. فان مشاغل الاعمال ، التى تفسد الحياة العائلية والهناء البيتى ، وتبدد راحة البال ، لم تكن معروفة فى ذلك العصر . كان الرجل يواجه دماره المالى دون أن يختلج له طرف ، شأن المقامر المحترف الذى يخسر كل ماله دون أن يبدى أى انزعاج أو يأس !.. وكانت مبادىء التهذيب تقتضى ان لا يظهر المرء ألمه أو مرضه ، فكان هناك من يحملون الى مباراة فى الصيد وهم أقرب الى الموتى منهم الى

الاحياء ! وكان العرف السائد أن يفضل الانسان أن يدهمه الموت وهو فى مسرح او مرقص ، عن أن يموت فى فراش تحف به آربع شمعات طـويلة مضاءة ، وحوله بضعة رجال بفيفضون يرتدون السواد ، يصلون من أجله !.. كنا فلاسفة فى ذلك العصر ، نستمتع بالحياة ما استطعنا ، فاذا حانت الساعة التى يجب فيها علينا أن نفارقها لم نرغب فى افساد المتعة التى يجدها الآخرون فى العيش ! .. وحين ودعنى زوجى المسن وهو يموت ، انتزع منى وعدا بأن استمتع بما بقى من حياتى ما وسعنى ذلك ، واحرص على أن يمتد العمر بى أطول مدة ممكنة .. »

مقدمة المؤلف

◆ يقول أندريه موروا فى مقدمة الكتاب : «لماذا اخترت جورج صاند كى اكتب عنها ؟ لقد كان أول من لفت اهتمامى اليها ذلك الاديب العظيم «مارسيل بروست» ، الذى شبه اسلوبها القصصى باسلوب تولستوى !.. فلما تحولت من دراسة أدبها الى دراسة شخصيتها ، ألفيتها قد نبغت فى الناحيتين :

كيف لا وهى قد الهمت كلا من «الفريد دى موسيه» و«شوبان» !؟

وأقام الرسام الخالد «ديلاكروا» مرسمه فى بيتها ..

واتجه اليها «بلزاك» يستشيرها فى موضوع قصة من أروع قصصه ـ هى قصة (بياتريكس) ـ ووصفها بأنها «أنبغ الزملاء» .. !

واطلق عليها فلوبير «استاذتى العزيزة» ، ثم بكى حزنا حين بلغه نبأموتها !

أما دستوفسكى فقد رأى فيها «كاتبة فريدة فى نوعها ، من حيث قوة عقلها وتفوق موهبتها»

كل هذه الشواهد وغيرها توضح لماذا اخترت لموضوع هذه الدراسة امرأة كانت طيلة الجزء الاكبر من حياتها ذات تأثير روحى قوى على عدد كبير من جبابرة الفن فى عصرها ، الى جانب أنها ـ ككاتبة ـ بلغت مرتبة أعظم الادباء، وأوسعهم خيالا .. فكتبت عن الموسيقى بمثل الروعة التى كتب بها عنها «ستندال» ، وخيرا مما كتب بلزاك أو هوجو !.. وأحبت (الشعب) حبا مخلصاه وعبرت عن هذا الحب ، قبل أن يهتز الضمير العالمى لآلام الشعوب المستعبدة وقبل أن تألف الجماهير الكتابة فى هذا الموضوع ، بزمن طويل ..

بل انها كانت المرأة الاولى التي جرؤت ـ في قصتها «ليليا» ـ على

الخوض فى مشكلات الغرائز والحواس ، وهى الموضوعات التى لم تبحث بصراحة الا فى عصرنا الحاضر ..!

وثمة سبب آخر حفزنى على دراسة حياة جورج صاند ، هو أن أكثر الذين كتبوا عنها اتخذوا نحوها موقفا عدائيا ، يفيض سخرية واتهاما لها .. وأنا لم احاول فى هذا الكتاب ان أخفى عيوبها أو أتستر عليها ، لكنى أعتقد اننى القيت ضوءا قويا على عبقريتها ، واقنعت القارىء بما آمنت به انا نفسى ، من أن هذه «المرأة العظيمة» جديرة بالاحترام ، وجديرة بان تحتل فى تاريخ الادب المكانة الممتازة التى هى من حقها ..

امرأة غير عادية !

◆ وقصة جورج صاند هى قصة امرأة ولدت وكل من ابويها ينتمى الى طبقة احتماعية مختلفة .. ثم نشأت فى فترة انتقال بين قرنين ، لكل منهما طابعه الخاص وفلسفته : القرن الثامن عشر ، بنزعته العقلية المتزنة .. والقرن التاسع عشر ، بنزعته «الرومانتيكية» الحالمة ! .. وفى طفولتها الباكرة فقدت أباها ، فحاولت أن تملأ الفراغ الذى خلفه بالافراط فى التعلق بأمها ، والرغبة فى حمايتها كما كان زوجها يحميها .. ومن هنا نشأ ميلها الى التشبه بالرجال : فى قوة الشخصية ، والقدرة على مواجهة المسؤوليات .. بل حتى فى مظهرهم وثيابهم ! وشجعها على ذلك مربيها الشاذ الاطوار الذى وضعته فى طريقها الاقدار ..

وفى سن السابعة عشرة وجدت نفسها مستقلة تماما ـ بلا اب ولا أم ـ ومالكة لضيعة كبيرة وبيت جميل فى (نوهان) .. وقد عاشت طيلة حياتها تكافح ـ دون وعى ـ كى تسترد جنة طفولتها السعيدة ، فكانت النتيجة المباشرة لذلك أنها لم تستطع الخضوع يوما لسيادة رجل ، وتطلبت من الحب مالم تجده الا فى الامومة : الفرصة لحماية من هم أضعف منها !

وبحكم تمردها على سيادة الرجال ، خاضت غمار معركة حامية من أجل تحرير المرأة ، وسعت سعيا حثيثا فى سبيل الاعتراف لها بحرية التصرف فى جسدها وقلبها !.. ومن هنا صار لها نفوذ واسع على أهل عصرها ..

ونتيجة لكرم مشاعرها وسعة أفقها الذهنى اعتنقت المذهب الاشتراكى .. ثم اشتركت فى ثورة سنة ١٨٤٨ ، فلما فشلت الثورة حاولت أن تحتفظ بكرامتها دون أن تتنكر لمبادئها !

ورغم أنها — فى حياتها الخاصة والعامة — هزأت بكل عرف أو تقاليد .. فانها ظفرت باحترام معاصريها ، بفضل عبقريتها ، وشجاعتها ، وحسناتها العـــديدة ..

وفى النهاية ، حين انطفأت عواطفها وشهواتها ، أفلحت فى أن تعيد — فى مقر طفولتها — بناء الجنة التى فقدتها .. ونعمت فى سنى شيخوختها التى اقترنت بالنشاط الدائب والامومة المسيطرة ، بالسعادة التى طالما بحثت عنها فى ميدان الشهوات ، دون جدوى !

قصة من الف ليلة وليلة !

◆ **من** الخطأ عادة ان يحاول المؤرخ معرفة خصال شخص من الاشخاص عن طريق تتبع شجرة اسرته ومحاولة استنتاج ما ورثه عن كل فرد منها ، فكثيرا ما تظهر فى المرء خصال هى عكس خصال ابويه او اجداده .. واحيانا تظل خصلة من الخصال كامنة فى دم الاسرة جيلا بعد جيل ثم تظهر فجأة فى الجيل الخامس عشر مثلا !.. وما اكثر ما ينجب العبقرى نسلا متوسط الذكاء ، او ينجب المحامى اديبا فى نبوغ فولتير .. ومع ذلك ، فان من يتتبع شجرة عائلة «جورج صاند» ، لا يملك الا ان يتوقع للفتاة مستقبلا خارقا للمألوف ! فهناك عائلات يبرز من اسلافها شـخص واحـد نابه الـذكر ، او شخصان ، أو حتى ثلاثة .. لكنك لا تجد بسهولة عائلة كان اسلافها جميعا ، على تعاقب الاجيال ، شخصيات بارزة .. مثل عائلة اديبتنا هذه !

فقد انحدرت جورج صاند من سلالة اختلط فيها الملوك ، والراهبات الذائعات الصيت، والقوادالعظام ، وشهيرات الممثلات!

.. وكانت كل امرأة تولد فى الاسرة تسمى « أورور » ، كما فى القصص الخرافية .. وكان لكل نساء الاسرة ابناء وعشاق ، وكن مولعات بالابناء اكثر من ولعهن بالعشاق !.. وتقاطر سيل الابناء غير الشرعيين فى العائلة بغير حساب ، لكن اباؤهم كانوا يعترفون بهم ، فينشأوا فى ترف ورفاهية ، كأبناء الملوك !

وعن هذه السلالة العجيبة ورثت جورج صاند تحديها الجرىء للحياة ، وتعلقها بالارضيات ، وشراهتها الجنسية .. حتى ليمكن القول بحق ان تاريخ اسرتها فيه الكثير من عناصر قصص الف ليلة وليلة !

جدة الجدة : أورور دى كونيجسمارك

◆ **يرجع** نسب «جورج صاند» الاعلى الى سلالة المانية سويدية هى سلالة «كونيجسمارك» المشهورة ، التى ظهرت على المسرح الاوربى خلال حروب الثلاثين سنة ، يوم كان الرجل العسكرى المغامر يتنقل من بلاط الى بلاط بسهولة عجيبة ، فيتولى اليوم قيادة الجيش المعادى للجيش الذى كان يقوده بالامس !.. وكان كل رجال تلك السلالة ابطالا ، ومغامرين ، وازيار نساء .. ونساؤها قديسات او خاطئات فاتنات !

ومن بين اولئك النساء برزت فى اواخر القرن السابع عشر امرأة نادرة الحسن تدعى « أورور دى كونيجسمارك » .. وكان لها شقيق ــ اسمه فيليب ــ نافس ملك انجلترا «جورج الاول» على حب امرأة ،فقتله جورج (سنة ١٦٩٤ ، قبل ان يتولى العرش) .. **واثناء التحقيق فى هذه الجناية الاليمة**

تعرفت أورور ، شقيقة القتيل ، بحاكم مقاطعة « سكسونى » ــ الذى صار فيما بعد ملك بولندا ! ــ فاحبها الحاكم . احب عينيها الواسعتين السوداوين ، الناعمتين كالمخمل ، واحب دعاباتها الفرنسية البارعة ، ومرحها الخلاب .. لكنه احبها بطريقته الخشنة، دون أن يلقى بالا الى رقتها، وعراقتها،وحسها المرهف .. فانجبت منه ــ سنة ١٦٩٦ ــ طفلا غير شرعى اطلق عليه اسم : ((موريس ، كونت دى ساكس)) !

لكن كل صلة بين العاشقين انقطعت قبل أن تضع أورور حملها ، فقد هجرها الرجل فى نذالة .. فلجأت راغمة الى دير للراهبات ، حيث لم تلبث ان اقامت حفلة استقبال شائقة لامبراطور روسيا بطرس الاكبر ، ظلت حديث الناس زمنا.. وخلال الحفلة القت قصيدة فرنسية من تأليفها ، وغنت أغانى ايطالية ، وعزفت على القيثار .. حتى لقد أطلقت عليها ملكة السويد «البلبل الصداح» !.. وعاشت أورور بقية حياتها تتنقل من درسدن الى فينا ، ومن برلين الى ستوكهلم ، حتى ماتت سنة ١٧٢٨ وهى غارقة فى الديون التى تراكمت عليها من فرط اسرافها فى اقتناء الحلى والجواهر والثياب والعطور .. واسراف ابنها المدلل موريس دى ساكس فى الانفاق على عشيقاته .. !

والد الجدة : موريس دى ساكس

◆ **كان** موريس قد ورث جمال قسمات أمه وشموخ هامتها . وكان بطبعه مخلصا ، صريحا ، محبا .. وقد اظهر منذ صباه الباكر استعدادا طيبا للعسكرية ، فدربه ابوه فى مدرسة ذات نظم صارمة ، واجبره على ان يكتفى فى طعامه بالخبز والمرق ،

ويعبر أوربا سيرا على قدميه ، حاملا مهماته !

ولكن بقدر ميل الغلام الى العسكرية ، كان ميله ايضا الى النساء .. فلم يكد يبلغ الثالثة عشرة حتى فر مع فتاة من سنه ، وفى احشائها جنين منه ! .. وحين صار شابا باتت مغامراته الغرامية مع «الاميرة» دى كونتى ، و «الدوقة» دى بويون ، ومدام فافار ، حديث باريس بأسرها .. ثم عشق من تدعى «أدريين لوكوفرور» فباعت حليها من اجله ، كما فعلت امه من قبل !

ولم يستطع الفتى ان ينسى انه ابن ملك ، فعاش يتوق الى الملك بكل جوارحه . وقد كادت امنيته تتحقق يوما بالزواج من الارملة الروسية النبيلة «انا ايفانوفنا» ـ التى صارت فيما بعد قيصرة روسيا ـ لولا انه ، باستهتاره المعهود ، ادخل احدى عشيقاته الى القصر .. واكتشف الحادث ، فتبخرت باكتشافه كل احلامه فى المجد . وهكذا كلفه الحب تاجا !

لكن الحب والمجد كانا فى ذلك العصر صنوين ..

*

◆ **ولم** يلبث موريس ان التحق بجيش ملك فرنسا ، ثم سعى حتى زوج ابنة اخيه من ولى عهد فرنسا ، فصارت فيما بعد اما لكل من الملوك : لويس السادس عشر ، والثامن عشر ، وشارل العاشر ! .. وهكذا ، وان لم يصبح موريس ملكا ، فانه بات ينتمى الى اسرة ملوك !

وكان ولوعا بالكتابة والتأليف : فى فنون الحرب والتدمير .. وفنون الاصلاح والتعمير .. ومن آرائه «الاصلاحية» العجيبة دعوته الى ان يكون الزواج موقوتا ، مدته خمس

سنوات ، على ان لا يجدد بعد ذلك لمدة اخرى الا بفتوى خاصة يشترط فيها ان يكون الزوجان قد رزقا طفلا واحدا على الاقل . . !

اما فى ميدان القتال فكان صاحبنا قديرا ومحظوظا فى الوقت نفسه ، فتقلب فى مناصب الدولة العسكرية حتى بلغ أرفعها وهو منصب «ماريشال فرنسا» ، لكنه خلال تاريخه الحافل بالفتوحات لم يفقد لحظة شغفه بالنساء - وقد بادلنه هن هذا الشغف ! - **وبرغم نبله وكرم محتده فقد كانت له فى هذا المجال عادات داعر مستهتر . كان يمضى الى ميدان القتال وفى ركابه فرقة من الممثلات ، رهن تصرفه ونزواته .. وفى كل ليلة كن يقدمن برنامجا مسليا ، يعلن فى نهايته عن معركة اليوم التالى من فوق خشبة المسرح !**

وذاعت مغامرات الماريشال الاعظم فى كل انحاء باريس ، وكانت تقطنها يومئذ اسرة من الطبقة المتوسطة تتألف من الزوج - ويدعى مسيو رانتو - وزوجته ، وابنتاهما «مارى» و «جنفييف» .. فلما قرر الوالدان فى سنة ١٧٤٥ ان يرتزقا من جمال ابنتيهما ، وضعا نصب عينيهما صيدا دسما ، هو الماريشال دى ساكس ! وافلحت جهودهما بالفعل فشغف الرجل بالبنت الكبرى مارى - وكانت فى السابعة عشرة - واتخذ لها مسكنا خاصا .. وفى سنة ١٧٤٨ انجبت له طفلة اطلقا عليها اسم جدتها «اورور»

الجدة : اورور دى هورن

◆ **وورثت** «اورور» جمال والديها ، وكان ذلك كل ما ورثته عنهما .. فقد اكتشف الماريشال ذات يوم ان عشيقته تخونه فى غيابه ، فلما مات (سنة ١٧٥٠) تبين انه حرمها وابنتهما

بسبب تلك الخيانات من كل ميراث !.. واذ ذاك تقدمتا الى ابنة أخيه زوجة ولى العهد بملتمس تطلبان فيه معاشا « لابنة ماريشال فرنسا موريس دى ساكس» .. فمنح الملك «أورور» معاشا سنويا قدره ثمانمائة جنيه ، على ان تلتحق الطفلة بدير من الاديرة تختاره لها زوجة ولى العهد ..

وبالفعل اقامت اورور فى دير «سانت سير» المشهور بعراقة نزيلاته ، وهناك تلقت تربية ارستقراطية ممتازة .. حتى بلغت الثامنة عشرة وارادت ولية نعمتها تزويجها ، **لكن حرمانها من الاسم الشرعى حال دون العثور على زوج مناسب لها . وهنا تقدمت الفتاة الى البرلمان بالتماس تسجيل اسمها رسميا بوصف انها «الابنة غير الشرعية للكونت موريس دى ساكس ، الماريشال فى جيش فرنسا ، وللسيدة مارى رانتو..»**

ووافق البرلمان ، وللحال وجد الزوج المطلوب : وكان ضابطا فى الرابعة والاربعين يدعى « أنطوان دى هورن » .. وبعد خمسة اشهر عين الزوج حاكما عسكريا لبلدة صغيرة فى (الالزاس) ، لكنه لم يكد يصل الى مقر منصبه حتى اصيب فى اليوم التالى مباشرة بنوبة قلبيةقضت عليه فى خلال ثلاثةايام!

ومرة اخرى ارتمت الارملة الشابة على اعتاب الملك - لويس الخامس عشر - تلتمس احلالها مكان زوجها المتوفى فى منصبه كحاكم عسكرى للمدينة ! لكن الاقتراح رفض بالطبع، وزاد الامر سوءا ان «أورور» فقدت فى هذه الاثناء ولية نعمتها - التى ماتت سنة ١٧٦٧ - فلم تجد لها مصيرا غير الانزواء فى احد الاديرة .. ومن هناك قدمت الى وزارة الحرب الالتماس فى اثر الالتماس ، طالبة تقرير اعانة «لابنة الماريشال دى ساكس ، التى تعيش فى فقر مدقع» .. لكن الوزراء

المتعاقبين اصموا آذانهم عن ملتمساتها ، حتى طردت آخر الامر من الدير .. فلجأت فى هذه المرة الى امها وخالتها اللتين كانتا قد اتخذتا مسكنا انيقا وعاشتا معيشة مترفة فى كنف عشاقهما العديدين ، وكان من بينهم عدد من الشعراء ورجال الادب البارزين ..

وهناك وقع بصر احد اولئك العشاق ـ وكان موسيقيا كهلا يدعى «كلود دوبان» ـ على الابنة الارملة «اورور» ، فأعجبته تربيتها ومواهبها . وكان فى البيت مسرح خاص يشرف على تقديم «برامجه» ناقد فنان من المترددين على الدار ، فأظهر اورور فى كثير من الادوار التمثيلية والغنائية ، مستغلا موهبتها الموسيقية وذوقها الفنى .. والى جانب هذه المواهب كانت اورور على قدر كبير من رجاحة العقل وقوة التفكير وبعد النظر ، فضلا عن احترام الذات والاعتداد بالكرامة والوقار . ولم تكن تميل الى المغازلة والعبث ، برغم انها عاشت فى مجتمع فاسد وعصر ينضح استهتارا .. وهكذا لم يصبها أى رشاش من السنة الشائعات والفضائح ، وظلت بمنجاة من اعاصير الشهوات والعواطف الحارة .. ولعل دراستها المفصلة لفلسفة افلاطون ، منذ صباها الباكر ، قد ساهمت فى تحويل فكرها عن مفاتن الحس الى مفاتن العقل ..

كل هذه الخصال والمواهب ، مجتمعة ، بهرت صاحبنا الموسيقى الكهل « كلود دوبان » ـ عشيق خالتها « جنفييف » ـ فلما ماتت امها «مارى» ، سنة ١٧٧٥ ، وآثرت اورور ترك بيت خالتها والانزواء مرة اخرى فى احد الاديرة ، اخذ دوبان يتردد عليها فى الدير بانتظام .. فأعجبتها شخصيته ، برغم الفارق الكبير بينهما فى السن ، وفى سنة ١٧٧٨ طلب يدها للزواج .

كان هو يومئذ فى الثانية والستين ، بينما لم تكن هى قد جاوزت الثلاثين .. ومع ذلك فقد قبلته !.. فان ترملها طيلة خمسة عشر عاما كان قد اكسبها حكمة ، وتعلقا بالجوهر دون القشور ..

وعاشا سعيدين ، سعادة تحدثت عنها مدام دوبان فى شيخوختها الى حفيدتها «جورج صاند» بهذه العبارات :

« ان الشيخ يا ابنتى اقدر على الحب من الشاب !.. ومن المستحيل ان لا تحب المرأة شخصا يحبها حبا يقرب من التفانى بل العبادة ! لقد الفت ان ادعوه «زوجى العجوز» او «ابى» ، وكان يحب ان يسمعنى اناديه هكذا ، وصار هو ينادينى بكلمة «ابنتى» ، حتى فى المجتمعات امام الملأ !.. ولكن فى تلك الايام لم تكن هناك شيخوخة .. فحتى يوم وفاته كان جدك انيقا ، وسيما ، مرحا ، محبا ، دمث الطباع ، زكى الرائحة ! ولا شك انه فى شبابه كان من الوسامة والجاذبية بحيث ماكنت لاسعد معه .. كانت تكون لى فى حبه منافسات وغريمات لا حصر لهن ! والواقع انى استمتعت معه باعذب فترة من حياته ، وما كان يمكن لشاب ان يسعد زوجته الشابة مثل ما اسعدنى هو فى زواجى .. لم نكن نفترق قط ، ولم اشعر معه بلحظة واحدة من السأم او الضجر . كان «دائرة معارف» حية للافكار ، والمعلومات ، والمواهب .. ومنبعا لا ينضب للبهجة.. يعزف على الكمان ، ويطهى الطعام ، ويصلح الساعات ، ويرسم ، ويقرض الشعر ، ويضع الالحان ، ويتقن النجارة ، والتطريز .. وقد بدد اكثر امواله لارضاء مزاجه وهواياته المتعددة .. وفى سهراتنا كنا نجلس معا ، ونقرأ معا ، ونزور الاصدقاء ــ او نستقبلهم ــ معا .. بحيث كانت صديقاتى ، المتزوجات من

شبان ، يحسدنني جميعا على زوجى !»

هكذا عاش مسيو ومدام دوبان معيشة الامراء فى قصرهما «شاتو راوول» ، يمارسان هواية الادب والموسيقى ، ويعجبان كلاهما بمعاصرهما «جان جاك روسو» ، ويستقبلانه فى بيتهما كصديق .. وقد أنفقا ثروة على الموسيقى ، والاحسان ، والطفيليين !.. حتى مات الزوج سنة ١٧٨٨ ، تاركا لزوجته ايرادا شهريا قدره ستة الاف جنيه .. وصبيا فى العاشرة ، سمى باسم جده الماريشال الاعظم : موريس !

الاب : موريس دوبان

◆ **واستقرت** مدام دوبان ووحيدها موريس فى مسكن صغير بشارع «ملك صقلية» ، ومعهما «الاب ديشارتر» ، المعلم الخاص للصبى .. وكان موريس جميلا كالبنات ، ورث عن سلالة (كونيجسمارك) سحر العيون الناعمة كالقطيفة ، وحب الموسيقى والشعر ، وروعة اسلوب الكتابة .. وشغفت الام والابن حبا بأحدهما الاخر .. وحين انتقل زمام الثورة من زعامة ميرابو الى زعامة دانتون فترت حماسة مدام دوبان للثورة وتنكرت عواطفها لها ، فارتكبت حماقة اقراض مؤسسة للنبلاء المهاجرين مبلغ خمسة وستين الف جنيه . وحين ادركت خطأها رأت بدافع الحيطة ان تنزوى عن العاصمة فتقيم فى الريف زمنا ، حتى تنسى فعلتها ! .. فاشترت ـ فى ٢٣ أغسطس سنة ١٧٩٣ ـ ضيعة تتوسطها دار جميلة فى جهة (نوهان) ، مقابل ثلاثين الفا من الجنيهات . وكانت الدار فى الاصل قصرا شيده سيد من سادة الاقطاع فى القرن الرابع عشر ، ثم تهدم بمضى الزمن حتى لم يبق منه غير برج يموج بهديل الحمائم ..

واخيرا شيدت مكانـه دار كبيرة مريحـة على طراز لويس السادس عشر ..

وفيما كانت مدام دوبان تتأهب للانتقال الى دارهـا الجديدة فى الريف ، اذ وشى احدهم بها لدى احـدى لجان الثورة ـ وكان الارهاب يومئذ فى عنفوانه ! ـ بتهمة اقراضها ذلك المبلغ لمؤسسة النبلاء المهاجرين ، واحتفاظها بأوانى فضية وحلى وجواهر من التى حرم قانون الثورة اقتناءها .. الخ

والقى القبض على المسكينة ـ فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٧٩٣ ـ وزج بها فى معتقل ((النساء الانجليزيات)) .. وكانت صدمة رهيبة لابنها ومعلمه الخاص ، فدفعهما الخوف على حياتها الى الاقدام على مخاطرة رهيبة لانقاذها : تسللا ليلا الى مقر لجنة الامن العام ، حيث تحفظ الاوراق الخاصة بقرضها لمؤسسة النبلاء .. وبجرأة منقطعة النظير حطما الاقفال واحرقا تلك المستندات التى تدينها !.. ثم راحا يواصلان السـعى لدى سلطات الثورة فى سبيل الافراج عنها ، ولم تتوان هى من ناحيتها عن كتابة العرائض والملتمسات الى لجنة الامن العام دفاعا عن نفسها .. حتى افرج اخيرا عنها ومنحت شهادة تكفل حمايتها فى المستقبل ، وذلك بتوصية من خادم سابق من خدمها كان من غزاة الباستيل !

وهكذا اتيح للمرأة اخيرا ـ فى اكتوبر ١٧٩٤ ـ ان تنتقل الى دارها المنزوية فى (نوهان) ، وبصحبتها ابنها موريس . ولم يكن قد بقى من ثروتها غير قدر يدر ريعا لا يكاد يتجاوز الالف جنيه شهريا .. فعكفت على تربية الطفل وتهذيبـه بمساعدة الاب ديشارتر . وبعد أربع سنوات صار لابد للصبى من اختيار المهنة التى ينوى احترافها ، فلم يتردد موريس فى

اختيار العسكرية .. ورغم محاولات امه القوية لاثنائه عن عزمه ، فانه انخرط فى سلك المتطوعين !

فى تلك الايام كان الفرنسيون يحلمون بتحرير شعوب اوربا جميعا ، ورفع راية الدفاع عن الحق والعدالة .. على ان موريس دوبان غزا – فى معسكر تدريبه بمدينة كولونى – غزوات من نوع آخر ، وروى لامه كل شىء عن غرامياته ! **وكانت هى – برغم عفتها، الناتجة عن استعدادها الفطرى اكثر منها عن مبادئها الخلقية ! – كانت هى برغم كل شىء امرأة من نساء القرن الثامن عشر ، مستعدة لان تغفر للرجل مجونه ، ما دام يراعى فى مغازلاته اسلوبا خاصا ! .. وهكذا ، وفاء من موريس لتقاليد الاسرة ، لم يغادر (نوهان) الى طوابيره العسكرية الا بعد ان ترك جنينا منه فى احشاء خادم صغيرة من خادمات البيت !**

وتولت مدام دوبان رعاية حفيدها غير الشرعى ، من بعيد ، تاركة اياه فى حضانة امرأة قروية تعيش بالقرب من (نوهان) . وكانت الجدة ترسل انباءه اولا باول الى ابيه ، فتقول فى رسالتها مثلا : «الصغير بخير ، وحجمه خارق للمألوف. وله ضحكة جذابة .. وانا اقضى وقتى فى هدهدته .. والعجيب ان الشقى بدأ يعرفنى !»

وكانت خطابات موريس الى امه رقيقة ، يمليها شعور شاعرى .. فكان اذا ذهب الى المسرح وسمع اغنية اعتادت امه ان تغنيها كتب اليها يقول : «.. فى ومضة برق كنت قد عدت اعيش معك ، فى مخدعك الرمادى المعطر بشارع (ملك صقلية) ! ما اغرب ما تعيد الموسيقى المرء الى ذكريات الماضى .. وتشبه الموسيقى فى ذلك الروائح : فانى لا اكاد اشم خطابك

حتى احس كأنى معك فى غرفتك بدارنا فى (نوهان) ، ويدق قلبى وانا اتوقع ان اراك تفتحين الدرج الذى يفوح منه ذلك الشذى العطرى ! »

الام : صوفى ديلابورد

◆ **ولكن** بقدر ما كانت مدام دوبان تتوق الى السلام كان ابنها يشتاق الى الحرب ، كيما يصير ضابطا ! «واذا أبليت بلاء حسنا فى ميدان القتال ، فسوف ارقى الى مرتبة اعلى .. فأية سعادة ! واى مجد !»

وفى سنة ١٨٠٠ ، فى (ميلانو) بايطاليا ، وقد اضحى موريس دوبان ضابط اركان حرب تحلى كتفه ريشة صفراء وحزام قرمزى مذهب ، التقى فى حجرة قائده بحسناء فاتنة الطرف ضاحكة السن ، كانت تملأ خريف حياة المحارب الشيخ بهجة وشبابا .. وكان اسمها : انطوانيت - صوفى - فيكتوار ديلابورد !

وتقول جورج صاند فى (قصة حياتى) : « لقد اوردت أسماء أمى الثلاثة ، لانها خلال حياتها الحافلة غير المستقرة استعملت هذه الاسماء جميعا على التعاقب : ففى طفولتها كانت تعرف باسم انطوانيت ، لانه كان اسم ملكة فرنسا .. وخلال حروب نابليون الظافرة كان اسم «فيكتوار» هو انسب الاسماء لها .. وبعد زواجها كان ابى يناديها دائما باسم «صوفى»!

كانت صوفى ديلابورد ابنة تاجر عصافير وطيور ملونة .. وكان قد بدأ حياته صاحب مقهى متخصص فى لعبة البلياردو ، ثم احترف بعد ذلك بيع طيور الكنارى على ارصفة باريس .. وكانت صوفى قد عانت فى نشأتها طفولة عاصفة ، فقد كانت اسرتها فقيرة ، والايام سيئة !

وقد كتبت عنها جورج صاند : **((كانت امى من النوريات الفجر ، سليلة جنس منحط متشرد ٠٠ وقد كانت ـ فى فترة من حياتها ـ راقصة ، أو على الاصح شيئا أحط من راقصة ، فى ملهى من إقذر ملاهى باريس سمعة !٠٠ حتى قيضت لها الاقدار رجلا موسرا أنقذها من هذا الوحل ، ولكن ليفرض عليها حياة أكثر وحلا ! وحين التقى ابى بها كانت فى الثلاثين ، تعيش فى دوامة من الفوضى الضارية ٠٠ لكنه كان ذا قلب كبير ، وقد ادرك ان الحسناء التعسة ما تزال قديرة على ان تحب ، وتهب قلبها مخلصا لمن تحب !))**

وكانت صوفى قد أنجبت من عشيق سابق ابنة ، سمتها «كارولين» ، أخذتها معها حين رحلت الى ايطاليا فى ركاب الجيش الفرنسى الظافر ٠٠ فلما التقت الام بالضابط الوسيم موريس دوبان ، ضربت عرض الحائط بكل اعتبارات الفوارق الشاسعة بينه وبين رئيسه القائد ، فى المرتبة والمركز ، وهجرت «الجنرال» من أجل «الملازم» البسيط ٠٠ الذى خلبته بسحر عواطفها الحارة والرقيقة معا !٠٠ فكتب الى أمه يقول : « ما أمتع أن يكون المرء محبوبا !٠٠ أن يجد أما رؤوما ، وأصدقاء أوفياء ، وخليلة فاتنة ، ونصيبا من المجد ، وجيادا أصيلة ، وأعداء يحاربهم ! »

على أن هذه العلاقة النسوية الجديدة طال أمدها أكثر من المعتاد ٠٠ فبدأت الام تقلق على ابنها ! فبرغم تتلمذها على روسو ، كانت تؤثر أن تكون لابنها علاقات عابرة متعددة ، على أن يشتبك فى علاقة وثيقة تتعمق جذورها ٠٠ وكان حرمانها الجنسى الذى عانته أكثر حياتها ، نتيجة لطبعها المتزمت ، قد

جعلها تخص ابنها بكل عواطفها وغيرتها !٠٠ فلما عاد موريس الى نوهان ، سنة ١٨٠١ ، اضطر الى ترك خليلته فى حانة « الرأس الاسود » بجهة (لاشاتر) القريبة ٠٠

وكان معلمه الخاص «ديشارتر» رجلا لم يذق طعم الحب فى حياته ، ومن ثم لم يعرف شيئا عن نيران العواطف الملتهبة ٠٠ فدفعه اخلاصه لمدام دوبان الى محاولة طرد « صوفى » من الضاحية ٠ وهكذا شهدت الحانة عددا من المشاهد الصاخبة الحامية التى وثبت فيها المرأة على رقبة المعلم كالنمرة الهائجة ، وكاد موريس ينضم اليها فى العراك ٠٠ لولا أنه تذكر شهامة معلمه وانقاذه لامه من براثن الارهاب أيام محنتها المروعة !

على أن تدخل المعلم بين العاشقين أوضح حقيقة أخرى لها خطرها ، هى أن مدام دوبان تزداد اشفاقا يوما بعد يوم من فكرة ٠٠ زواجهما ! وهى الفكرة التى لم يكونا قد وجدا ، بعد ، الجرأة على بحثها ٠٠ جديا !

وانتهت تلك الازمة الطارئة الى ارجاء البت فى الامر كله ، وعودة المياه الى مجاريها بين الام والابن والمعلم ٠٠ مع بقاء موريس على وفائه لخليلته !

وكتب موريس الى أمه بعد عودته الى معسكره ـ فى مايو سنة ١٨٠٢ ـ خطاب عتاب ، قال فيه : « دعينا نكون منطقيين يا أماه ٠٠ لماذا يكون اعجابى بهذه المرأة أو تلك ، فى نظرك ، اهانة لك ٠٠ أو خطرا على ؟ ولم تقلقين وينتابك الهم ، أو تذرفين الدموع ، من أجل أمر كهذا ؟ انى لم أعد طفلا ، بل لقد غدوت رجلا فى وسعه أن يقرر أين تكمن عواطفه والى أين تتجه ٠٠ وأنا أقر «ديشارتر» على أنه توجد نساء ذوات عواطف رخيصة ،

لكنى لاأحبهن أو أفكر فى السعى اليهن ، فهن لايقارن بحال بذوات القلوب الكريمة ! **ان الحب يطهر كل شىء ، ويضفى نبلا على أحط المخلوقات ، أولئك الذين جريمتهم الوحيدة أنهم - لسوء حظهم - قذف بهم الى الدنيا دون أى سند من خلق ، أو مال ، أو ناصح يحسن توجيههم !٠٠ فلماذا ندين امرأة لا حول لها ولا طول ، ولا حامى لها أو مدافع عنها ؟ »**

ومرت الايام ٠٠

ولحقت صوفى « باليوزباشى » موريس حيث تعسكر فرقته فى (بولونى) ٠٠ وكانت قد حملت منه ، فلما أحست باقتراب موعد وضع مولودها عادت الى باريس ، ثم لحق بها موريس ٠٠ وفى يوم ١٦ أبريل سنة ١٨٠٤ عقدا زواجهما سرا فى دار العمدة بأحد أحياء العاصمة ، كى يكفلا للمولود القادم اسما شرعيا ٠٠ وكانت «العروس» فى حال من الفرح والانفعال لاتوصف ، فقد طالما هفت الى هذا الزواج ، وان لم يخالجها أى أمل فى امكان تحقيقه ! وقد لبثت حتى اللحظة الاخيرة تهيىء نفسها للانسحاب والعدول عن مشروعها ، من فرط ادراكها لمدى الرعب ووخز الضمير اللذين يعانيهما حبيبها ويقعدانه عن مصارحة أمه بما يعتزمان !

وعلى أثر اتمام العقد انطلق موريس من فوره الى (نوهان) ليبوح لامه باعتراف كامل ٠٠ لكنه لم يستطع ، فانه لم يكد يشرع فى الكلام حتى سالت دموع مدام دوبان وقالت له باكية: « هناك من تحبها أكثر منى ، ومعنى هذا انك لم تعد تحبنى على الاطلاق ! ٠٠ ليتنى مت مع غيرى فى حملة الارهاب سنة ١٧٩٣ ، قبل أن تكون لى غريمة تقاسمنى حبك ! »

واضطر موريس لان يطوى قلبه على سره ، ويعود من حيث أتى !

أورور الثالثة !

◆ **وفى** مساء أول يولية سنة ١٨٠٤ ، بينما كانت صوفى ترقص رقصة رباعية ، فى احدى الحفلات ، وزوجها يعزف على الكمان ·· أحست بتعب مفاجىء ، فأوت الى الحجرة المجاورة· وبعد لحظة خرجت أختها «لوسى» تصيح بموريس فى انفعال : « تعال أسرع ·· لقد رزقت بنتا ! » ·· فكان جوابه : « اذن سندعوها أورور ، باسم أمى المسكينة ! » ·· وقالت لوسى : «لقد ولدت على أنغام الموسيقى ، وأمها ترتدى ثوبا ورديا ·· ومعنى هذا انها سوف تكون فى حياتها سعيدة ومحظوظة ! »

وكان والد الطفلة يومئذ فى السادسة والعشرين ، وأمها فى الثلاثين ··

ولم يعد فى الامكان كتمان النبأ بعد ذلك، فلما علمت به مدام دوبان بذلت كل حيلة فى وسعها كى تلغى الزواج ·· لكنها اصطدمت بعزيمة ابنها الحازمة وقد تصدى لها قائلا ، بأسلوب خليق بجان جاك روسو : « لا تلوميني على كونى أتصرف وفقا للتربية التى غرستها أنت فى ! »

ومنعت الام ابنها من أن يذكر اسم زوجته أمامها ·· وأبت فى اصرار أن ترى المرأة التى أفسدت خطتها لتزويج وحيدها زيجة ارستقراطية تتحدث عنها المجتمعات ، وتناسب مركز أسرته العريقة ·· !

وبذل موريس كل جهده كى يظفر بصفح أمه ، ويراها

تأخذ الصغيرة بين ذراعيها ٠٠ وذات يوم ، فوجئت مدام دوبان بأحد الخدم يدخل عليها حاملا طفلة رضيعة بين يديه ، فلم يكد بصرها يصافح عيني حفيدتها القاتمتين ، الناعمتين كالقطيفة ـ شأن عيون افراد سلالة كونيجسمارك جميعا ـ حتى نسيت نفسها فهتفت فى تأثر : « ياللمسكينة ، انه ليس ذنبها ! من الذى أحضرها ؟ »

ـ ابنك بشخصه ياسيدتى ٠٠ وهو ينتظر فى الطابق الاسفل

وصعد موريس السلالم قفزا ، والدموع تتسابق على خديه ٠٠ وعانقته أمه ! ٠٠ ثم قبلت ابنته الرضيعة : « أورور دوبان » ٠٠ التى سنرى نجمها يلمع فى التاريخ ، باسم « جورج صاند » !

اقرأ الفصل الثانى من الكتاب فى (كتابى) القادم

القوات البحرية

تقبل القوات البحرية عطاءات لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم :
١٩٥٣/٨/٢٤ عن توريد كساوى شتوى
١٩٥٣/٨/٢٥ عن توريد كساوى صيفى
١٩٥٣/٨/٢٦ عن توريد أحذية

ثمن النسخة من شروط كل مناقصة على حدة — ٥٠٠ مليما ، ويضاف اليه ٣٠ مليما أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة فئة ٥٠ مليما

٥١٢٧

اعلان

تقبل عطاءات بمكتب السيد مدير ادارة الميزانية واللوازم بوزارة الداخلية لغاية ظهر يوم ٤ أغسطس سنة ١٩٥٣ عن توريد الملبوسات واللوازم المطلوبة للبوليس والخفر لسنة ١٩٥٤/١٩٥٣ وتطلب الشروط من ادارة أسلحة ومهمات البوليس نظير مبلغ ٢٠٠ مليم للنسخة الواحدة يضاف اليه ٣٠ مليم أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة من فئة الخمسين مليما

٥١٢٩

وزارة الحربية والبحرية
سلاح خدمة الجيش

تقبل عطاءات بادارة سلاح خدمة الجيش بثكنات العباسية لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم ١٩٥٣/٨/٢٢ عن توريد الزيتون الاسود اللازم للجيش وبعض المصالح الاخرى فى عام ١٩٥٤/٥٣ .

ويمكن الحصول على الشروط والمواصفات من ادارة السلاح المذكور مقابل مبلغ ٢٥٠ مليما يضاف اليه مبلغ أربعون مليما اجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما .

٥١١٩

(اعلان مناقصة)

تقبل العطاءات بمكتب تفتيش مشروعات رى قسم الشرق بالزقازيق لغاية الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ١٩٥٣/٩/٣ عن عملية امتداد ترعة المكباتى وتقسيم جنابية ميت عاصم اليمنى . وتطلب المواصفات من مكتب التفتيش المذكور على ورقة تمغة فئة ٥٠ مليما (خمسون مليما) نظير توريد مبلغ ٧٥٠ مليما باليد أو ٩٠٠ مليم بالبريد ويمكن الاطلاع على الرسومات بمكتب التفتيش المذكور - وسوف لا يلتفت للعطاء الغير مصحوب بتأمين مؤقت كامل قدره ٢٪ من قيمة العطاء

٥١١٥

جامعة فؤاد الاول
كلية الزراعة
بالجيزه

تعلن كلية الزراعة بالجيزة عن وجود وظيفة خالية بها لاستاذ «ج» (٧٠ - ٨٠ جنيها شهريا) لكرسى الحيوان الزراعى وأنها ترغب فى شغل هذا الكرسى بأحد خريجى المعاهد الزراعية ممن تتوفر فيهم الشروط المنصوص عنها فى لوائح الجامعة بشرط أن يكون له أبحاث قيمة مبتكرة .

فمن يرى فى نفسه توفر هذه الشروط فليتقدم بطلبه برسم حضرة الاستاذ عميد كلية الزراعة بالجيزة فى ميعاد غايته أسبوعين من تاريخ النشر والموظفين تكون طلباتهم عن طريق الوزارات التابعين لها

٥١٥٩

محتويات الكتاب

وليم تل .. وولده

الرسم المنشور فى مقدمة مسرحية « وليم تل » ـ صفحة ٩٩ ـ مأخوذ عن تمثال «وليم تل» البرونزى الضخم المقام فى مدخل مدينة « التدورف » بسويسرا ، رمزا لكفاح الشعب السويسرى من أجـل حريته .. وهو من صنع المثال « كيسلنج »

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية

كتابى

الثامن عشر

«.. وحين تجسمت فى ذهنه فكرة انها قد وهبت نفسها لغيره وأراقت على الدنيا موجات حبها، وانه لم يطبع شفتيه منها.. هب واقفا والشرر يتطاير من عينيه وصرخ من أعماق نفسه الحزينة، ثم أنشب أظافره فى صدره وراح يمزق جلده ويعض ذراعيه وينتحب!.. ثم انتابه حنين طاغ ورغبة جارفة فى ان يلقى بنفسه بين ذراعيها المصوغتين من اللحم وشذى الأزهار، ويدفن رأسه فى صدرها العارى.. وفجأة عادت تطرق قلبه بقوة هذه الكلمات: "تاييس على وشك أن تموت!"

«ايا جنود النهار، ويا ظلال الليل الفضية.. أيتها النجوم، والسماوات، والأشجار ذات الهامات المتمايلة.. ويا وحوش البرية، وحيوانات الأدغال، وقلوب الرجال، الا تفهمين: "ان تاييس على وشك أن تموت!".. ويا أيها النور والنسيم والعبير، اختفِ كلك من الوجود!.. وأنت يا جميع الأشياء والأفكار، امّحى من الأرض.. فان تاييس على وشك أن تموت!»

(من قصة «تاييس»، احدى قصص هذا العدد)